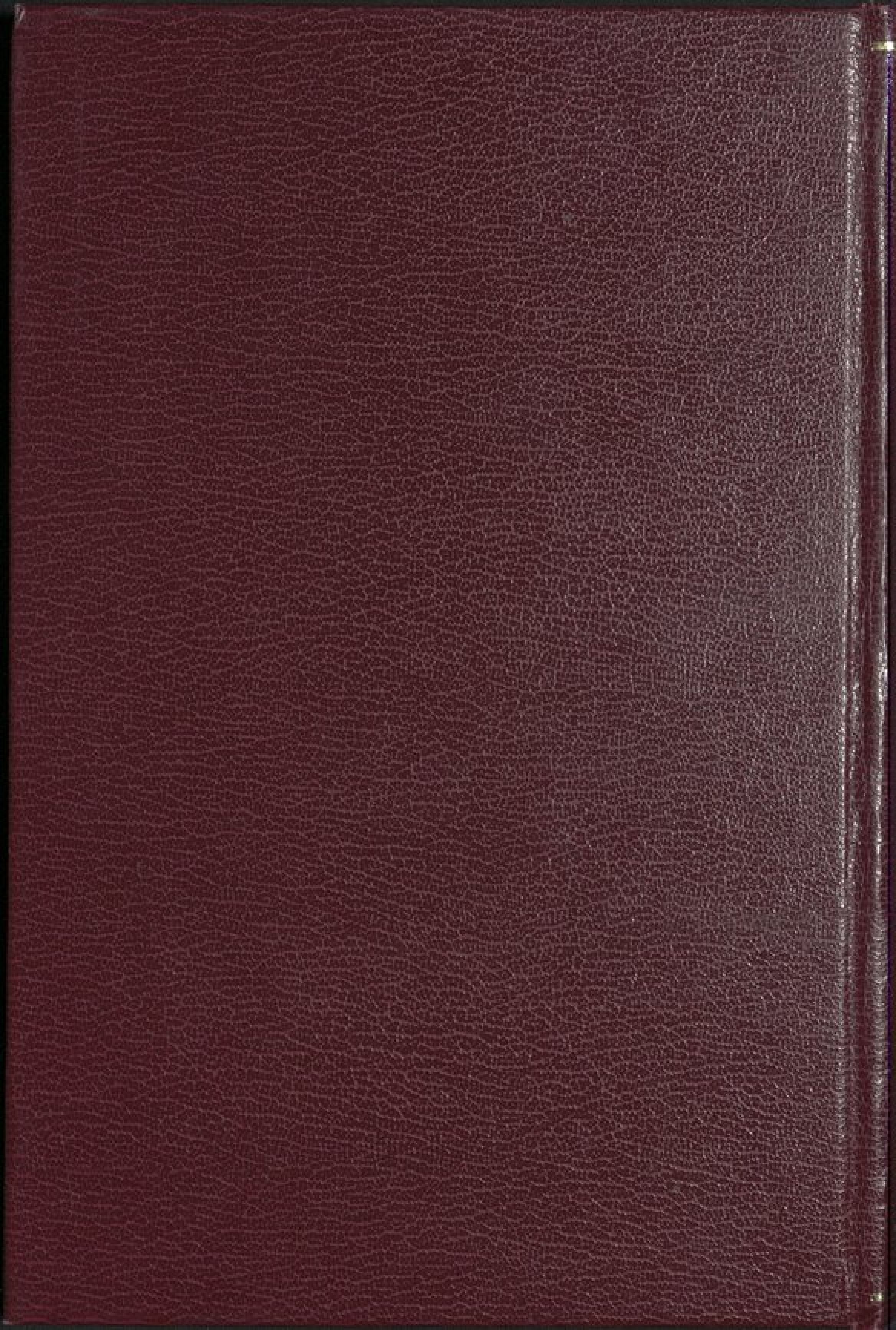
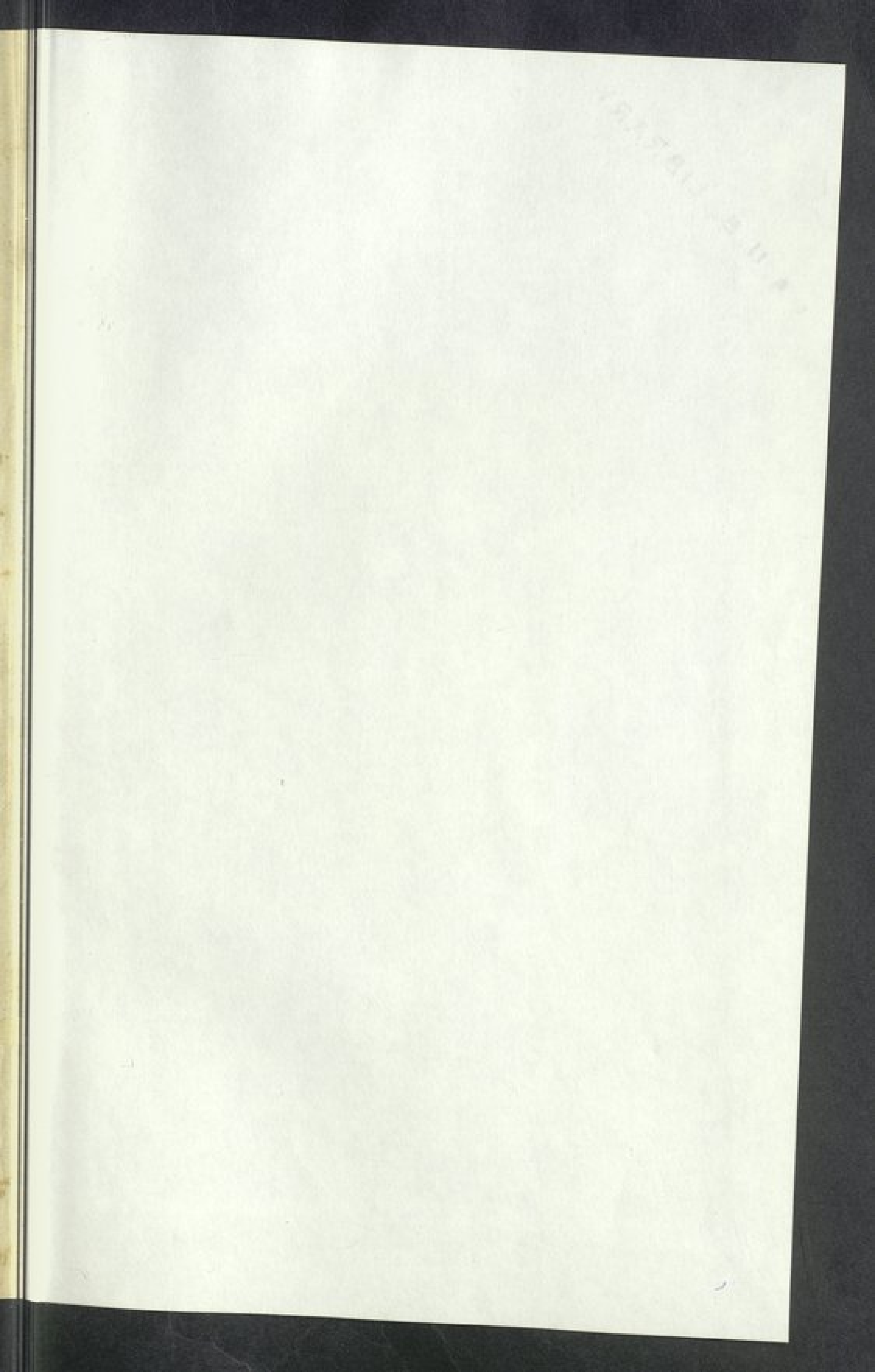



AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT
UNIVERSITY
LIBRARY
1866



اللغة والتجدد



حضرة صاحب الجلالة

الملك فاروق الاول ملك مصر المعظم

الكتاب

يرفع الى سدة الملك الصالح صاحب الجلالة فاروق الأول ايده الله

فاروق يا انشودة الـ — عـلياء في ثغر الزمان

الملك بين يديك يد — فق بالسنى والمنفوان

والعرب سمّرت الجفو — ن عليك زاخرة الاماني

فأزل كآبة همها — وأسل حناجرها اغاني

***

فاروق حسبي أن اعطـ — ـر باسمك العالي بياني

لا تحتمي لغة النبي — بغير عطفك والحنانِ

هذى الهدية رمز إجـ — ـلال كمين في جناني

إن ترض عنها ارض عن — دهري واقرنه امتناني

يا صاحب الجلالة

لقد اختاركم الله للعربية حافظاً وظهيراً ، كما اختار جلالة والدكم وسلفكم من قبل ، فانتم حماة اللغة وذادتها ، وبكم اشرقت شمس مصر على الاقطار العربية وهذا كتاب في لغة الجزيرة ، ارفعه الى جلالتكم ، ابقاكم الله ملاذاً للعروبة .

المخلص

عبد القادر الكرماني

سوريا — حلب

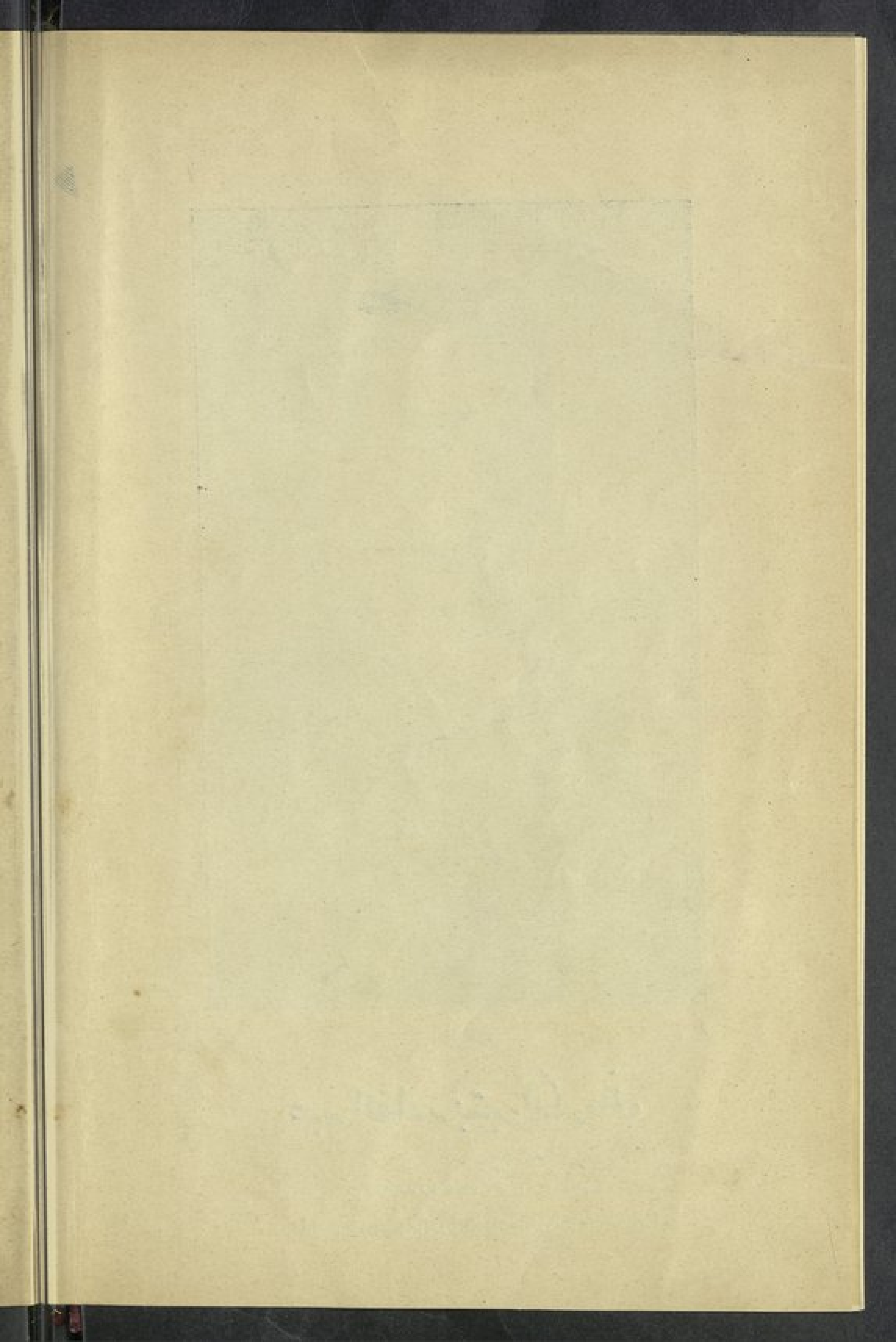


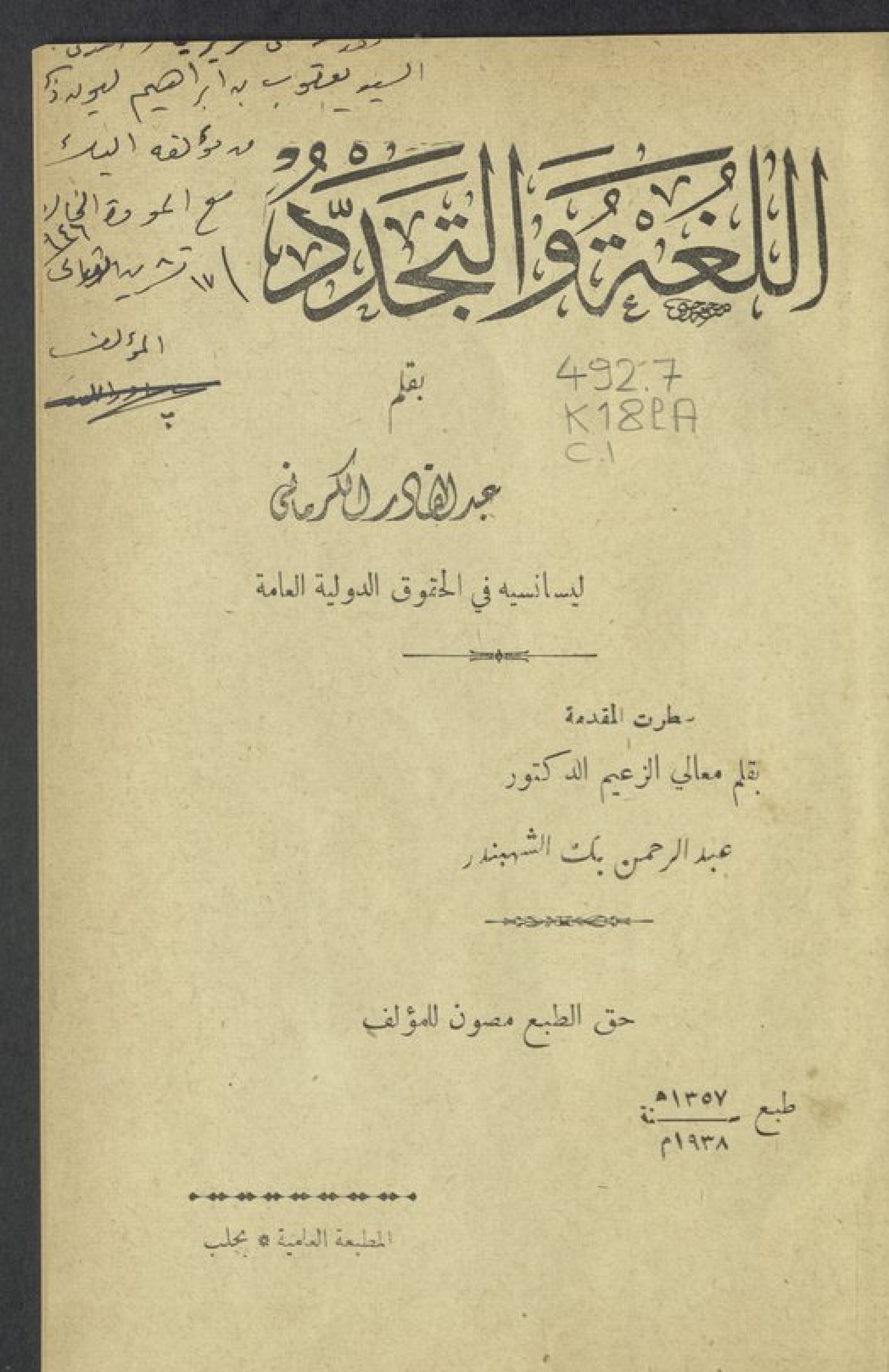
المؤلف

عبد القادر بشير الكرماني

A. Karmani

Licencier en droit international public





اللغة والتجدد

بقلم

عبد القادر الكرماني

ليسانسيه في الحقوق الدولية العامة

سطرت المقدمة

بقلم معالي الزعيم الدكتور

عبد الرحمن بك الشهبندر

طبع سنة ١٣٥٧هـ
١٩٣٨م

المطبعة العلمية * بحلب

اللغة العربية واثرها في بناء القومية

بقلم معالي الزعيم الدكتور عبد الرحمن بك الشهبندر

من دواعي امتناني ان يكلفني الاستاذ الكرماني كتابة كلمة في اللغة العربية وأثرها في بناء القومية ليجعلها مقدمة لهذا الكتاب النفيس، فقد اتاح لي بذلك فرصة تصفحه والاطلاع على ما فيه من آراء شخصية مستقلة مختمرة، وكان مما استوقف نظري النحو التجددي الذي نحاه بصورة قلما اقدم عليها غيره من الكتاب، وحسبه ان يجمل عنوان اول صفحة من صفحاته «التجدد في اللغة عامل من عوامل الحياة» في حين نرى غيره اجمالاً ينعى على الكتاب في جميع ما يكتب خروجهم قيد انملة عن المسالك التقليدية المتوارثة التي سلكها الكتاب الغابرون حتى كاد الجمود يكون ظاهرة عامة في ادب هؤلاء الناعين.

وفي المجتمع قوتان عظيمتان متكافئتان تارة ومتفاوتتان تارة اخرى تتجاذبانه فيسير في خط قُطري يتعين اتجاهه بمقدار ما فيهما من جذب، وهاتان القوتان هما المحافظة والتجدد. فالتشادد الحاصل بينهما يعين السبيل التي تسلكها الجماعات.

لقد كانت الصين الى اجل قريب جداً مظهراً للتمسك بكل شيء قديم تمسكاً اعمى، حتى بلغت محافظتها درجة الجمود فاصبح مجتمعها اجناً اسناً في

حين كانت الروسيا في اوائل عهد الثورة البولشفية مظهراً للتجدد الطليق حتى اصبحت عنوان التقلقل والاستهتار .

والمجتمع الرصين هو الذي يسير الى الامام بخطى ثابتة فيحتفظ من القديم بالنافع ويقبل من الجديد مايساعد على النشوء والارتقاء .

ان هذه القاعدة الطبيعية الاجتماعية تنطبق كل الانطباق على اللغة ما دامت اللغة سجل حضارة الامم والعنوان الدال على تاريخها منذ همجيتها الاولى السابقة للآثار والمدونات الى ان تبوأت مكانتها في الثقافة والعمران .

لقد مرّ على لغتنا العربية دور جامد ولكنه ضروري للاستقرار طبق فيه اللغويون عليها تلك القواعد التي لا تطبق عادة الاّ على المستندات الدينية المتوارثة ، فلا يجوز في نظرهم استعمال أية كلمة لم يروها متسقطو الكلام عن ثبت يعتمد عليه وسند صحيح يركن اليه ، واللفظ يخرج من فم بدوي جلف في الصحراء يرويه الثقات بعضهم عن بعض خير في نظرهم من علوم الاوائل والاواخر [ولعمري ان جموداً من هذا النمط لو استمر لقضى قضاء مبرماً على كل ارتقاء في اللغة وفي آدابها ، ولكانت معه المجامع والاكاديميات ضرباً من الهذيان ، ذلك لان الحياة من اولها الى آخرها في الخلائق كما في المجتمعات هي حركة ذاتية ونمو وتوالد فاذا ما انقطعت هذه العلامات الجوهرية عن مظاهر الحياة كان الموت المحقق . واللغة الحية هي التي تتحرك بحركة اهلها ثم تعود فتحركهم وتنمو نمواً متواصلاً بالوضع

لآلاتها وادواتها ولا اكاد اعرف اسما واحدا عربيا صحيحا للدلالة على هذه المسميات. وقصارى القول ان العرب الاوائل اتوا بما يشبه الاعجاز في وضع لغتهم اما نحن فقد توقفنا وجمدنا؟ وحسبهم فخرا ان تمتاز العربية بهذا العدد الوافر من الامثلة المختلفة المدونة في كتب الصرف والبالغة اربعا وعشرين صيغة مما لم نجد له مثيلاً في اللغات الاخرى الحية والميتة.

للغة المقام الاول في صوغ الشعب في قالب واحد وصهره في بوتقة التجانس الذي لا حوزة بدونه وهي اداة التفاهم بين افراده والحافز الاكبر الذي يحفزهم الى العمل، وبين طياتها تخزن العلوم والفنون التي يتركها الاوائل للاواخر وبواسطتها تنقل افكار الامم القريبة والبعيدة حتى يصير المقيمون على خط الاستواء متصلين بالفكر بالقاطنين في المناطق المتجمدة، واذا كان العلم مشاعاً بين الناس فان لغته كذلك مشاعة لا تتأثر بالبيئة حولها، ولكن الفن وطني مطبوع بالطابع القومي الخاص فلغته هي بهذا المعنى وطنية قومية خاصة تستوحي من قلوب الامة وتوحي اليها، وتسير مع الامة وتسيّرها فهي وليدتها ووالدتها تتعلم منها وتعلمها حتى يصبح المتكلم والكلام في الميزان الاجتماعي شيئاً واحداً.

الامم الحية لغاتها حية مثلها، والامم الميتة لغاتها ميتة ولو كان اهلها يأكلون ويشربون، والعبرة بالمعاني لا بالالفاظ، وبالافكار السامية لا بالسخافات

المبتذلة ، والقابضون على اعنة اللغة والادب من اهل الاخلاق هم الذين ينشرون مركبة المجتمع في حديقة الحرية والثقافة وتحت سماء المجد والشرف .]

القاهرة في ٨ نيسان سنة ١٩٣٨

عبد الرحمن الشهبندر

ننشر هذه الكلمة التي كتبتها جريدة (الوقت)
الغراء في عددها الصادر بتاريخ ١٧ آذار سنة ١٩٣٨
ذي الرقم (١٥٠٢) مع الشكر الجزيل .

كتاب لغوي يهز المجامع العلمية

بقلم الاستاذ الكبير الكرماني

ان للنبوغ أثراً ، وان للعبقرية نتاجاً . وبين هذا وذاك يتبلج الصبح بوميضه اللامع ، فتشرق الحقيقة ، ويتجلى الهدف الاسمى المطلوب .

واذا كان للشيوخ خبرتهم ومزاولتهم للامور والاشياء ، فان للشباب اليوم أثراً صادقاً فعالاً ، وعلماً صحيحاً ، رافقته نظرات صادقة ، وآراء ثاقبة في نواحيهم جمعاء .

اما العالم فهو تجدد ما بين الفينة والفينة في كل شيء ، والتجدد هو الذي يأخذ بيد البشرية الى المثل العليا ، ويغذيها بروحه وتعاليمه ، لتصل الى المحل الارفع المنشود ؛ والشباب هم المجددون الاماثل ، الذين يقودون اممهم الى الصراط المستقيم ، صراط الهداية والنور والحياة الحقة .

والاستاذ عبد القادر الكرماني من خيرة شباب هذا البلد الامين ، الذي لا يألو جهداً في تقديم نظراته العلمية ، وآرائه الحصيفة ، كشاب مجدد مثقف عليم ، فهو قد درس العلوم الدينية وتخرج من المدرسة العلمية

الخسروية ، فيحدثك عن الدين وشئونه واحكامه ، كعلامة مجدد ديني نحرير ، جمع بين نور العصر وحكم الدين،وهو استاذ قوي في عبارته،متين في بيانه ، عليم في ادب لغته ، خبر العربية وفقه آدابها وقواعدها ، وظل استاذاً للادب العربي عدة سنوات ، ولقد علق بالسياسة واشتغل فيها ، ولكنه لم يكتب له النجاح .

على ان هذه الصحيفة التي ما زالت تعد الاستاذ الكرماني فرداً من عائلتها،حيث بقي رئيساً لتحريرها امداً طويلاً لتقدر فيه هذه المواهب حق قدرها ، وتشدو بعلمه وادبه ، لا سيما بعد ان بلغها انه نال شهادة الليسانس في الحقوق الدولية العامة ، التي تضيف الى معرفته في اللغة العربية النظرات السياسية الصائبة ، والعلوم الدولية ، خصوصاً وهو اول من يختص في هذه الناحية .

فالوقت الذي علمت بانتهاء طبع كتابه (اللغة والتجدد) الذي سيهز المجامع العلمية ، تثني الثناء العاطر على جهوده ، وتمنى لكتابه الرواج والانتشار .

بسم الله الرحمن الرحيم

لماذا وضعت كتابي ؟

جرت سنة المؤلفين ان يفتتحوا كتبهم بمقدمة ، يعربون فيها عن الغاية التي وضعوا مؤلفاتهم من اجلها ؛ وقد درج الناس على ذلك زمناً طويلاً ، تفننوا فيها ما شاء لهم الوضع الاجتماعي ، الذي طبعهم بطابع خاص . اما انا فحسب كتابي ان تسطر مقدمته بيراعة الزعيم المجاهد الاكبر عبد الرحمن بك الشهبندر ، وكفى قراءه ان يروا كلمة دبجها رجلٌ ، طالما فكر في مصلحة العرب ، وجاهد في سبيل الله والوطن والعروبة ، فما اقرب الشبه بين المقدمة والكتاب ! هذا وضع في سبيل نموّ العربية ، وتلك سطرت من اجل ارتقاء القومية ، وفي كلتا الحالين خدمة للعرب ، وامنية غالية تحفز اليها لغة القرآن .

والآن ازعم ان نفسي تتطلع منذ زمن ، الى الكتابة في موضوع لغوي حيوي ، يهصر غصن اللغة ، ويفتح برعوماً او برعومين من براعمها ، وقد بقيت برهة افكر في موضوع يسد الثغرة الفاغرة ، التي فتحتها مخترعات هذا العصر ، وتلبّدُ افكار اناسٍ ، سيطر عليهم الركود في كل شيء حتى ظنوا ان الخير كل الخير في الخلود الى الراحة ، وعدم منح اللغة

ما تحتاجه من سنن النشوء والارتقاء !! وكنت اراقب افق اللغة ،والنفس جياشة ملتوية ، غير ان الايمان قوي،لا يلبله شيء ،وكانت فنون الاجتماع تراودني ما بين آونة واخرى ، فاقتحمها بالصبر والجلد ، الى ان يحون الاوان ،لا سيما واني عالم جد العلم اني سأكتب في سبيل تطور لغة العروبة بل من اجل تجدد العربية ، تجدداً يجعلها لغة حية تفي بحاجات هذا العصر، وتقوم بواجبات مكتشفاته ومخترعاته ، مهما تعاظمت وتعالت .

ان هذه اللغة التي ينطق بها ثمانون مليون شخص او اكثر ، قد خدشها مرور الزمن بكبريائه ، وكاد ان يأتي عليها الذبول ، ولم يبق لها سوى ترادف أخلّ بتوازنها،وهوى بها حضيضاً اوهد ، فظل لها عشرات الاسماء ، بل مئات الاسماء ، بل عشرات المئات لشيء واحد ، ثم في الوقت ذاته تقف حيرى امام الوف الاشياء ، التي تتصل بالحياة الاجتماعية اتصالاً وثيقاً ،دون ان تجد لها اسماء ، وهنا يُغلب الكاتب العربي على امره .

ان هذا لموضوع جلل ، شئت ان اعالجه في بعض فصول هـذا الكتاب ، لتسير العربية نحو الكمال الذي تستحقه ، سواء بكيانها ، او بماضيها الاغر ، اللذين لا يستطيع ان يجحدهما جاحد؛ على ان القرآن الكريم افسح لنا المجال في سطوره ، واعطانا امثولة طيبة صالحة ؛ لنقتدى به ، ونسير حسب ما ارشدنا اليه في غضون هذه الحياة الصاخبة ، التي تتجدد ما بين الفينة والفينة،وتعطينا من نتاج طارف ، تتسابق الأمم في مضماره،

وتستحق من الحياة قدر ما تتناوله من ذلك النتاج .

وانا حينما اعالج هذا الموضوع ، فانما اعالج قضية عامة ، تستهوى افئدة الناطقين بالضاد اجمع ، وتندمج اندماجاً كلياً في كيان الامة العربية ، التي تحفز للوثوب الابي ، وتنشد الرقي والاستعلاء اللذين ينشدهما كافة شعوب الارض . فاللغة هي الأمة ، والأمة هي اللغة ، وحياة احداهما مرتبطة بالاخرى ارتباطاً وثيقاً .

***

ان الأمم العربية اليوم قد نهضت من كبوة تبتغي العيشة الراضية ، وكل فرد من افراد العروبة آلى القسم المظيم ، لينهضن بوطنه العربي ، نهضة تقرب الاصقاع العربية ، وتوحد أهدافهم واطماعهم ، حتى تبدو الوحدة العربية الكبرى ، التي يستهدفها المخلصون ، ويعمل من اجلها الوطنيون الصادقون ؛ واذا كان للعمل السياسي اثره الفعال في نيل ذلك الهدف النبيل ، واذا كان لرجال السياسة عمل غير منكور فيه ، واذا كان للخطط السياسية تأثير بين في السير نحو الأمل المرغوب ، فان للغة كل الاثر ، وجميع العمل ، وكافة التأثير ، وكفى اللغة اثراً انها توحد الشعور وتوجه الاتجاه العام نحو الاحساس القومي المقدس . على انني استطيع ان اقول في غير حرج ، ان العرب سائرون نحو الحياة القوية الحرة : تلك الحياة

التي ترفعهم من الهوة التي ترد وابها، الى السهل الطليق الحر، ليستنشقوا نسمات الحرية، ونفحات المجد والاستعلاء .

***

لقد سطرت هذه الكلمة، بعد ان انهيت فصول الكتاب وطبعها، لذا لم ارَ ان احدث القراء عن حاجة اللغة الى ماتصبو اليه، او عما يجده الناطقون بالضاد من العسر والصعوبة في الاعراب عن مخترعات هذا العصر، وايجاد اسماء ومصطلحات لها، وهنا ازعم انني اتممت كل شيء في الكتاب، وصورت الحاجة وقوادمها وخوافيها ولم اترك جللاً الا وتحدثت عنه.

اما التجدد وما يحمل في حناياه من وميض ينير سبل الباحثين، ويسد عوامل الاحتياج الضروري؛ فقد اسهبت القول فيه، وذكرت التجدد والمجددين، وما له ولهم من حسن الصنيع، سواء اكانوا ادباء ام شعراء، ام علماء، ام فنانين؛ وحسب التجدد انه لولاه لما فضّل الانسان على غيره، ولمَا وصلت البشرية الى ماوصلت اليه اليوم من الرقي والمدنية، ولما كان العالم الانساني يزهو بكبريائه، فالتجدد اس كل شيء في هذه الدنيا، ولولا تجدد التنفس والهواء لما عاش الانسان، ولولا ان يجدد العلماء ثقافتهم وفنونهم، لما وصلت الحضارة الى هذا الشأو المزدهر؛ واللغة اسنت وركدت ردحاً من الزمن، فتهرأت جوانبها، وذبلت كلماتها، واصبحت

تتطلع الى من يأخذ بيدها فيوصلها الى آمالها المرغوبة .

* * *

ان للسيادة التي تتعالى اليها نفوس العرب اليوم اساساً تقوم عليه، وهو نشر العلم والثقافة بين ابنائها، ومحاربة الأمية والجهالة، التي تفشت في اصقاعها وديارها، ولهذه العلوم كيان ترتكز عليه ووجود تظهر فيه، وما كيانها ووجودها الا اسماء توضع لاجزائها وانواعها واجناسها واقسامها، وهي المعبر عنها باللغة، فاذا كانت اللغة حية، وفت بحاجة المتكلمين بها، والا كانت لغة قزمة مائتة؛ واللغة ما انفكت — في كل عصر ومصر — آلة قوية للحضارة والتقدم، وعجزها ونقصانها عن تأدية اسماء العلوم والفنون يوجب العجز والنقصان في كافة اسباب الحضارة والتقدم، اذن فليس من الحضارة والتقدم في شيء ان تعجز اللغة عن ايجاد اسماء لهما، واذن فليس من العقل والمنطق في شيء ان تكون اللغة الحية عاجزة عن تسمية المخترعات والمكتشفات والمبتدعات باسماء تطلق عليها وتعرف بها، واذن فليس من الحياة الصحيحة في شيء ان تكون امة تنشد الحياة والسيادة والاستقلال، ثم تكون لغتها عاجزة عن تسمية عناصر النهضة ومقوماتها فالحياة الابية الصحيحة تتطلب اليقظة والحركة والانتباه، ولا يقظة ولا حركة ولا انتباه الا اذا كانت الأمة كيسة حكيمة، تقوم بتأدية واجباتها، وتضع كل شيء في محله، والا فالقلت والبوار والانحطاط.

لم تكن هذه المخترعات موجودة قبل ، ولا عرفتها الانسانية مرة واحدة بل في فترات وفينات ، ولا انحصرت في امة دون اخرى . اذن فهي متساوية لدى الشعوب والقبائل (ومار كوني) الايطالي اخترع الراديو ، واوجدها من عالم اللاشيء ، واطلق عليها اسم (راديو) . وتلقتها امته الايطالية بفرح وابتهاج ، ووافقت على تسميتها بالراديو ، ولم تخالفه في شيء مما ذكر. اما بقية الأمم فلم تر حرجاً ولا تثريباً في ان تلتقط ما اوجده (مار كوني) ، وتوافق على الاسم والمسمى ؟! ولكن العرب لا زالوا يبحثون في الاسم ، ويترددون في التسمية ، وقد وقعوا في بحران من الحيرة والتردد ، واوشكت مجامعهم العلمية ان ترتاب ارتياب الهائم المهصور !! كل ذلك من اجل وضع اسم لهذه الآلة ، او لهذه اللاقطة اللاسلكية ، فالعرب شكوا وترددوا فيما اجمعت عليه شعوب الأرض وامم العالم ، فكل امة اطلقت على ما اخترعه (مار كوني) راديو . امانحن فهل نسميها الراديو ، او الراد ، او الملتقطة اللاسلكية ؟ واذا سميناها راديو مثلاً ، فهل يجوز تعريب هذه الكلمة ؟ وهل يباح لنا — معشر الخلف — ان نعرب اسماء اعجمية ؟ كما عربها اباؤنا الاولون؟ واذا عربناها! فما هي شروط التعريب ؟ هنا لغط وهناك جلبة ، وهذا يصرخ ، وذاك يصيح ، ولكن علامَ ؟ ولِمَ وفيمهْ ؟

الواقع يأبى ، والعقل ينفي ، والمنطق يحيل ان يكون في الوجود لغة

حية سامية لم تستعر كلمات من غيرها، او ما اخذت الفاظاً واسماء من لغات اخرى ، وها نحن نرى في اللغة العربية آلاف الكلمات المعربة ، اخذها سلفنا الكريم ، واستعملها اجدادنا الأولون، بل ان الحضارة العربية التي كانت تاريخاً مستقلاً في سجل الانسانية، قامت على حضارة الاغيار، وعلى الاسماء الدخيلة، وعلى الكلمات التي عربها القرآن العظيم والجدود والبهاليل، لا سيما ونحن نعلم علم اليقين ان الأمة العربية كانت في جاهليتها منحطة في الصناعة والزراعة والتجارة ، متأخرة في ضروب العلم وفنون العرفان ، اذن فلماذا نحجم اليوم عما اقدم عليه آباؤنا بالامس ؟ ولاي شيء نحرم على انفسنا ما اباحه العقل والمنطق والمصلحة العامة وسلفنا الصالح ؟ خصوصاً واننا لا نستغني عن التعريب، ولا يمكن ان نستغني عنه ، بل ان الاستغناء عنه مستحيل ، وكيف يمكننا ان نستغني عنه والدماغ الانساني في تهطال مستمر وتفكير دائم ، فهو ابداً يخترع ويجدد ، وتنازع البقاء يقضي باخذ كل جديد مفيد ، مهما كان مصدره ، والجديد لا بد له من اسم يعرف به، ويخصص من اجله .

يقول السيد في حواشيه : « ان المعرب هو لفظ وضعه غير العرب لمعنى ، ثم استعملته العرب بناء على ذلك الوضع » . واذا استطعنا ان نطلق لفظ السيارة على (الاوتوموبيل .) مثلاً واستغنينا عن تعريب لفظة (الاوتوموبيل) فان هذا لا يكفي ، ذلك ان

للسيارة انواعاً ، وكل منها له اسم مخصوص،ناهيك عن انواع(الكاميون والكامينت والاوتوكار والاوتوروتيير) فكل هذه الاسماء تحتاج الى ما يقابلها في اللغة العربية ، ولا يسد هذا الاحتياج الا تعريب هذه الكلمات الحديثة ،وليس في امكان اللغة العربية ان توجد الفاظاً عربية لتلك الاسماء الاعجمية ،القريبة التشابه، ما لم تعمد الى التعريب .

وبعد فان العلامة سيبويه وجمهوراً كبيراً من اهل اللغة يذهبون الى ان التعريب هو ان تتكلم العرب بالكلمة الاعجمية مطلقاً ،سواء أكانت موافقة لأوزان الكلمات العربية ام لا : كصراط وشيطان ، وخراسان ، وابراهيم وآجر ، فان كلمة خراسان وابراهيم وآجر لا توافق الاوزان العربية ، اذ لا يوجد فيها : فعالان وإفعاليل وفاعُل) بخلاف صراط وشيطان ، فانهما موافقان لها . واذا كانت طبيعة العرب تأبى الهجين من القول ، فلم يشترطوا شيئاً للتعريب قبلُ ، فانني ارى الآن ان نعرب الكلمات التي نحتاج اليها مطلقاً، سواء اكانت موافقة لأوزان العربية ام لا، على شرط ان يقرها مجمع علمي ،لتصبح شائعة عامة ،ولنصون لغتنا الكريمة من الابتذال ، وانني احسب ان الحاجة العامة تقضي على علماء العربية وجهابذة اللغة ،ان ينسجوا على هذا المنوال ، لتحيا لغتنا العربية حياة تتلاءم مع امانينا القومية ، واهدافنا السامية الوطنية ، التي ما فتئنا نبذل النفس والنفيس في سبيل الوصول اليها .

قف دون رأيك في الحياة مجاهداً ✡ ان الحياة عقيدة وجهادُ

حكمة بالغة طالما رددتها واتخذتها هدفاً في حياتي العلمية والعملية، وحسبي اني افكر فاعمل ثم لا انثني ولا اتراجع مهما رأيت امامي من العقبات.

اجل انني افكر ثم اعمل حسب ما اتخذته رأياً وعقيدة، ولا ابالي بعد ذلك بشيء، اما ما يقوله الناس، واما ما يعتقده الجمهرة، فلا شيء حيال ايماني وعقيدتي، ولو اصبح مجمعاً عليه، واية قيمة للاجماع امام اعتقاد المرء؟ ولا سيما اذا علمنا ان الاجماع كثيراً ما يكون مصدره الفرد، ولكن لامرٍ ما اصبح اجماعاً. وإخال انني اتذكر جيداً حينما دخلت المعترك السياسي، وكنت اذ ذاك تلميذاً — فلقد فكرت كثيراً، ثم انتهجت سياسة الاعتدال، واتخذتها مبدأً لي وعقيدة، وقمت اعمل في حقولها ومع رجالها؛ لا يصدني عنها صاد، ولا يمنعني منها مانع، حتى ان خصومي السياسيين تآمروا على حياتي اكثر من مرة، وارسلوا لي من اطلق الرصاص علي، بقصد قتلي «١»، ولكن الله سبحانه ابى الا ان ينقذني من الاذى، فشملتني عنايته، وابت بنعمة الله سالماً، ولم يصبني ضرر.

مع هذا ثبت على مبدئي، وما تركته، رغم كل ما اثاروه عليَّ من حملات نكراء، ثم تطور الموقف السياسي في البلاد السورية، فاذا كل شيء يتبدل الا اياي — وقليلاً من المؤمنين —، فقد ثبت وصمدت، وكان الله في عون

«١» كان ذلك يوم الاحد الموافق ٣ محرم ١٣٥١ و ٨ ايار سنة ١٩٣٢

الثابتين الصامدين .

غضبة للنسور لا النصر فيها
بمتاحٍ ولا الونى بمباحِ

* * *

بهذه العقيدة الثابتة ، وبهذا الايمان الراسخ ، قمت اصنف هذا الكتاب اللغوي ، خدمة للغتي العزيزة الحية المقدسة ، وايفاء للواجب المحتم على كل عربي ، وانا اشد قوة وايماناً من كل وقت ، وغايتي من هذا الا يشك شاك ولا يظن ظان ان اللغة العربية قاصرة عن تأدية عوامل الرقي ، او شروط العلم والثقافة ، فهي ارفع واعلى ، وان اللغة التي استطاع ناطقوها في جاهلية جهلاء ان يضعوا الف اسم للسيف الذي كانوا به وحده يدافعون عن استقلالهم ، ويذودون عن بلادهم ، ويصونون حريتهم وسيادتهم ، لا يعجزها ان تمد عناصر المدنية الحاضرة بالفاظٍ واسماء ، تسد الحاجة وتفي بالمطلوب .

سوريا — حلب

عبد القادر الكرماني

التنازل

عن

الحرية

بمثابة

التنازل

عن

الحياة

«جان جاك روسو»

حاجة العربية الى التجدد

التجدد في اللغة عامل من عوامل الحياة «١»

لقد نمت الحياة اليوم بنمو الحضارة ، وازدادت شئون العيش وحوائجه بانتشار الثقافة ، فاتسع نطاقها في قسميها الخاص والعام ، وغدا الفرد منا يجد وراء ما يشاهده ويلمسه من متع الحياة ، ويضطر ان يعرب عن هذه المشاهدات بما يوافق معانيها ، غير ان المرء العربي يحار في الاعراب عن بغيته ، اذ لا يجد في لغته من الالفاظ ما يكفي لامثال هذه المعاني ، وآنئذ لا يرى بداً من ان يستعمل الكلمات الاعجمية بقضها وقضيضها ، بل بعُجَرها وبُجَرها ، دون ان يضعها في قسطاس العروبة ، او يزنها باوزان لغة قريش ، أضف الى هذا وذاك ان ليس في الاصقاع العربية مجمع لغوي يحف هذه الناحية بمقرراته ، ويسد هذا النقص بخبرة اعضائه ، وبسبب هذا النقص الشائن أضحت اللغة العربية تُنتقص في بيانها وتشان في كرامتها وتبيانها ، فيدخلها الهجين المكتئب ، مما ينال من عليائها وقدرها ، اذ تمتزج كلماتها وتختلط فقراتها بكلمات اعجمية دخيلة ، وبذا تغدو شبيهة بلغة الامة المستعمرة التي

«١» نشر هذا المقال في جريدة صوت الاحرار الغراء ، عدد (١١٧٧) المؤرخ ١٤ آب عام ١٩٣٧ . ونشر ايضاً في جريدة « الايام » الغراء عدد (١٤٦٣) المؤرخ في ٢٢ آب سنة ١٩٣٧ .

أخنى عليها الظلم ، ومزقها الضغط والارهاق .

هذه هي اللغة التي يقف ذووها منها موقف الواجم المهصور ، الذي يحيا بلا امل ، فهم يحرمون ادخال الجديد عليها ، وان مست الحاجة اليه ، ويرمون كل من يقدم لها منهجاً اصلاحياً بالعقوق تارة ، وبالمروق أخرى ، وقد يصيبونه برشاش الزندقة والالحاد ، وبذا أضحت الكتابة عسيرة ، ويحتم على الكاتب العربي — اديباً كان او طبيباً او فناناً — ان يستعمل الالفاظ والاسماء الاعجمية دون ما تحرير ، او تحوير ، او نحت ، او تعريب ، او تجوز او اشتقاق ، او ابدال ، او قلب ، او تعريب ؛ وكثيراً ما يضطر ان يكتب تلك الكلمات بحروفها الافرنجية ، سواء أكانت فرنسية او انكليزية اولاتينية .

* * *

لو شاء كاتب ان يصف السيارة وآلاتها ، او الطيارة وادواتها ، وما تضم كل منهما في جوفهما من لوالب ومحركات ، واراد ان ينعم النظر في كل جزء من اجزائهما ، وفي الوظيفة التي يقوم بها ، والعمل الذي يؤديه ، لبهت وحار ؛ ولما وجد الى ذلك سبيلاً ، اذانه يحتاج الى مئات الكلمات التي تفي بهذا الغرض ، والعربية خالية منها ، وانني احسب ان اكبر كاتب فينا ، واعظم شاعر بيننا ، واشدنا ثقافة وعلماً ، ليعجز افدح العجز واهجنه عن ان يصف أثاث غرفة جلوسه ، او صالة استقباله ، او مهجعه ، او مكتبه ، او غرفة طعامه ، بالفاظ عربية خالصة صحيحة فصيحة ، ذلك لاننا لا نجد في لغتنا اليوم من

الاسماء والصيغ والمصطلحات والمسميات، مايكفي لقبس حضارة هذا العصر التي تزكو وتزهو يوماً بعد يوم . اذن كيف العمل ؟ ولمَ هذا النقص في لغة الجزيرة ؟ وهلا توجب المصلحة العامة ان يتلقف الكاتب تلك الكلمات كما هي ؟ ويرصفها في كتابته ؟ ام يلوي عنها كشحه ويهمل الكتابة في هذه الناحية، لفقده الالفاظ اللازمة ؟ وبذا تكون اللغة العربية بعيدة عن لآلئ حضارة اليوم ، وفقيرة من كل عامل يعود عليها بالضياء والخير .

ان الكياسة والعقل والمنطق وفلسفة الكون تقضي ان تكون اللغة موافقة لعوامل حضارة كل عصر ، وملائمة لرقي كل زمن ، ومستعدة لتقديم الاسماء والمصطلحات التي يوجدها ازدياد الحضارة وتقدم المدنية والرقي ، مهما اختلفت مقاييسه ، وتعددت اشكاله ، وسما تقدمه ، وها هي لغات العالم الحية تنطق بصحة ما نقول . خذ اللغة الفرنسية مثلاً ، فانها ضمت اليها الوف الكلمات من عربية وفارسية وتركية ولاتينية ، وكذا قل عن اللغة الانكليزية . . ان هاتين اللغتين الحيتين ، اللتين اجمع العالم المتمدين على انهما من ارقى لغات الدنيا ، ما استنكفتا عن اخذ الكلمات اللازمة من اللغات الاجنبية ، ولا عد هذا العمل فيهما عاراً ولا شناراً ، وما استطاع احد في هذا الكون الشمسي ان يحط من قدرهما او ينقص من كرامتهما ، بسبب وجود الكلمات الدخيلة التي تتماوج في سطورهما وجملهما ، بل انهما تفخران بعملهما هذا ، لكونهما سارتا مع عوامل الحضارة وتطور الزمن ، واوفتا شعبهما ما يحتاجان اليه ، خدمة

لسيادة الامة، وضناً بمصلحة البلاد من الضياع، وايفاء للواجب العام الذي تستضي الامة بقبسه، وتميس به فخراً وعلياء، وحسبهما ان دول العالم اجمعوا ـ منذ انتهاء الحرب الكونية الكبرى عام ١٩١٨ ـ على انهما اللغتان الرسميتان اللتان تخاطب بهما ساسة شعوب الارض Les hommes d'état ، ويتفاهم بواسطتهما مندوبو دول المعمورة.

وها هي محكمة لاهاى الدولية وجامعة الامم ، بل ها هي مؤتمرات الدول العالمية ، فان اللغة الرسمية التي يجب ان يتفاهم بها القوم ، في هذه الاجتماعات والمؤتمرات ، هي الفرنسية والانكليزية فقط ، لانهما حيتان ساميتان ، ولانهما تسيران مع عامل النشوء والارتقاء في كافة مضامير الحضارة والثقافة والعلم ، مهما تعالى الاستكشاف ، وتعاظم الاستنباط ، وسما الاستحداث ، وسيرى القارئ مقالات اخرى من هذا الكتاب ان القرآن الكريم استعمل عشرات الكلمات الاعجمية التي لها مرادف عربي قح ، وكان السبب في استعماله اياها هو المحافظة على حياة اللغة ونموها وموافقتها لتطورات الزمن ، وليكون لنا ـ معشر العرب ـ قدوة صالحة في خدمة لغتنا العربية ، بصورة نحافظ بها على كيانها وحياتها وتطورها .

للتجدد ناحيتانه

ان تجدد اللغة لا ينحصر في ايجاد اسماء للمخترعات ، او مصطلحات للاشياء المكتشفة ، فهذا وان كان الاساس في نمو اللغة وازديادها ، الا ان هناك

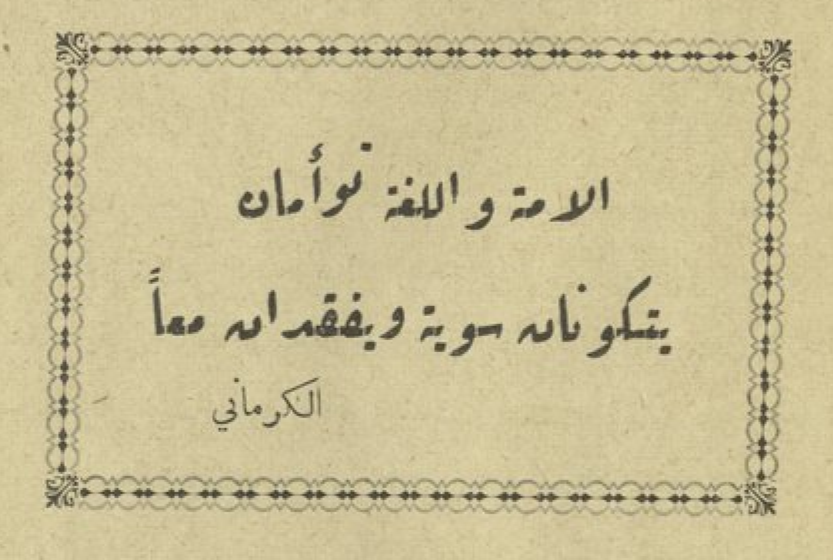
ناحيةً اخرى لها مكانها الامثل في تهذيب اللغة ورقيها وانسجامها، بل ان هذه الناحية هي كالثوب الحريري اللامع ، بالنسبة الى الغادة الحسناء ، فهي التي تقودها الى حظائر اللغات الحية، وتمشي بها في المروج السندسية الخضراء، كي تنال قسطها المدنى في عالم الارتقاء ، ان هذه الناحية تبدو في احلال كلمات حية رقيقة ، خفيفة لطيفة ، ذات نبرات سهلة لا تخدش الآذان، مكان كلمات اخرى حوشية ، ثقيلة ، غريبة ، مستهجنة ، يتلعثم اللسان في التلفظ بها ، ويلتاع السمع لدى سماعها، سواء اكانت هذه الكلمات الحية اصيلة او دخيلة ، فهي تعني موت الفاظ واحياء غيرها مرادفة لها ؛ والى قرائي الكرام امثالاً في ذلك . خذوا السجلاط والياسمين ، والتامورة والابريق ، والحوجم والورد ، والزمخر والناي ، والقتد والخيار ، والفرسك والخوخ ، والحدج والباذنجان ، والدجر واللوبياء ، والناطس والجاسوس ، والصرفان والرصاص ،والفرصاد والتوت، الى غير ذلك من الامثال الكثيرة التي لا تدخل تحت حصر، والتي نرى ان الكلمات المبدلة تسيل رقة وعذوبة، وان الالفاظ المستبدلة تماوج برطانة اعجمية ، يمجها الذوق وتأباها النفس السليمة .

على ان الذي اود ان احدث قرائي الكرام عما يعجبون منه ، وقد لا يصدقونه ، ولا يرونه ملائماً ، ولا موافقاً هو: ان الياسمين والابريق والورد والناي والخيار والخوخ واللوبياء والجاسوس الخ . كلمات اعجمية دخيلة، لا تمت

بصلة الى العنصر العربي ، وان السجلاط والتامورة والحوجم والزمخر والقند والفرسك والحدج والدجر والناطس هي الفاظ عربية قحة ، عرفها الملك الضليل ، ورددها النابغة الذبياني ، وخطب بها قس بن ساعدة !!. فانظروا الفرق — الا رحمكم الله — بين الاعجمي والعربي وتبينوا البون بين هذه وتلكم ، لكي تعرفوا لماذا ابدل آباؤنا الاولون كلمات بكلمات ، واحتضنوا قسماً ونبذوا آخر ؟

انه الاحساس ، انه العواطف ، انه الذوق ، انه السعي وراء عوامل الحياة الزاهية ، انه خدمة البلاد والوطن ، لانهما يحيان بحياة اللغة ويضعفان او يموتان بضعفها او موتها . ولذا قال الكاتب التركي الكبير كمال بك : « ان مثل لغتنا وسائر اللغات الحية كرجل دخل حديقة ، فجعل يقطف من ازهارها ما يروقه ويحلو في عينيه ؛ حتى تألف له من ذلك باقة : كل زهرة من زهراتها حسن جميل » .




الامة واللغة توأمان
يتكونان سوية ويفقدان معاً
الكرماني

اللغة الرسمية الدولية «١»

المساواة الدولية ـ اللغة اللاتينية ـ اللغة الفرنسية

اللغة الانكليزية — اللغة الاصطناعية

ان الاعتزاز باللغة «٢» والمحافظة عليها ، والعمل على الكتابة والتكلم بها ، واجب وطني لازب ، يحتمه الاخلاص ، وتفرضه القومية ، اذ اللغة هي احدى الاسس التي يبني عليها الشعب مجده وسؤدده ، وهي دعامة كبرى من دعائم تاريخ الامة ، الذي تفخر به ، وتخلده في قرارة نفسها ، ولذا تعمل كل امة وكل شعب — مهما علا مقامه او انحطت مكانته — على نشر لغته وتلقينها للابناء والاحفاد ، وصهرها مخاطبة وتكلماً ، حتى ان التاريخ السياسي الدولي يحدثنا ان كثيراً من الاشخاص الدوليين من ممثلين ومفاوضين ، كان كل فرد منهم يتكلم بلغة قومه وعشيرته ، مع علمه ان سامعيه يجيدون لغته ، وهكذا كان الاثير يحمل شتى اللغات من مجلس واحد مما ينبئ بسيطرة

«١» ان هذا المقال فصل من اطروحة قدمها الاستاذ الكرماني تحت عنوان: «معاهدة فرساي والقانون الدولي» لنيل شهادة الليسانس في الحقوق الدولية العامة ، وقد نالت تلك الاطروحة استحساناً وتقديراً من اساتيذ الجامعة

«٢» نشرت هذه الكلمة في مجلة الضاد الغراء في اعدادها ٦ و ٧ و ٨ من سنتها السابعة بتاريخ آب ، ايلول ، وتشرين الاول من عام ١٩٣٧ .

القومية وطغيانها على كل اعتبار آخر .

غير ان هذا العمل لم يكن رسمياً، كما ان القانون الدولي يحادده وينا كره، اذ كثرة اللغات وتعددها يخلق بلبلة في الاعمال ،وعرقلة في سيرها ، ولذا كان ضرورياً ان يوضع حد لتلك الفوضى اللغوية في المجالس الرسمية، والمؤتمرات الدولية ،الا ان الذي كان يقف عثرة في سبيل ذلك، هو المساواة التي اقرتها الحقوق الدولية ،وسارت على غررها رسمياً كافة الدول والحكومات.

المساواة الدولية

ان حق المساواة هو من الحقوق الدولية الاساسية ، التي تترنم بها الحكومات ومندوبوها على اختلاف اقطارهم وامصارهم ،وقد فسر معنى هذه المساواة الوزير الاميركي سومنير Sumner في خطاب القاه في مجلس الشيوخ الاميركي بتاريخ ٢١ آذار سنة ١٨٧١ بقوله: « يجب ان لا نعامل الدولة الصغيرة بما لا نستطيع ان نعامل به الدولة الكبيرة ، والا نعامل الغير بما لا نرضى ان نعامل به » .

كما ان زميله الوزير روت E.Root قال في المؤتمر الاميركي الثالث ، المنعقد في ريودي جانيرو عام ١٩٠٦ : « ان استقلال اصغر دولة واضعفها جدير بالاحترام في نظرنا ، كاستقلال اية دولة من الدول العظمى واننا نعتبر المساواة في هـذا الاحترام بمثابة ضمانة اصلية للضعفاء ضد تعسف

الاقوياء » . وهكذا فان الرئيس الاميركي ويلسن ، اعرب عن المساواة الدولية ، الواجبة الاتباع بقوله : « مساواة الامم التي يرتكز عليها دوام السلام ، يجب ان يكون في مساواة الحقوق بعضها بعضاً ، والضمانات المتبادلة لا تجوز ان تقر اي فارق بين الدول الصغيرة والدول الكبيرة ، او بين الدول الضعيفة والدول القوية ، والقانون يجب ان يرتكز على اساس القوة المشتركة للدول ، لا على اساس قوتها الفردية ... لان الذي يهم الانسانية هو حرية الحياة لا الموازنة في القوة .

* * *

هذه اقوال فاه بها ساسة الدول Les hommes d'etat وامراء السياسة ، واذا قارنا بين ما قاله سومنير وبين ما فاه به ويلسن ، نرى ان هناك قريب نصف قرن ، ورغم بُعد هذا الزمن ، فان الدول ما فتئت تتغنى بالمساواة ، وبمبادئ المساواة ، ولذلك فان القانون الدولي اباح لكل دولة ان تستعمل لغتها في علاقاتها ومراسلاتها السياسية دون ان ترغم على استعمال لغة اجنبية ، ولولا الاضطراب الناجم عن تعدد المتفاوضين ، ولولا التبلبل الحاصل من كثرة الالسن في مجتمع واحد لوجب الا تكون ثمة لغة رسمية يتخاطب بها المندوبون السياسيون ، ومؤتمر الدول وجامعة الامم ، ولكن هي الحاجة الماسة ، والضرورة الملحة ؛ ولهذا السبب فقد اتفقت الدول زمناً طويلاً على التخاطب باللغة اللاتينية ، وجعلها لغة دولية عامة ،

وظلت هذه اللغة لغة السياسة والدول ، حتى القرن الثامن عشر ، وقد كتبت بها عدة معاهدات منها معاهدة اوترخت Utrecht عام /١٧١٣/ التي نزعت بلجيكا من اسبانيا وضمتها الى النمسا ، وحرمت جمع عرش اسبانيا وفرنسا تحت تاج واحد ، وقضت باستيلاء انكلترا نهائياً على جبل طارق، الذي كان بدء عظمة انكلترا البحرية .

ومنها معاهدة فيينا المبرمة عام/ ١٧٣٨/ .

اللغة الفرنسية

في عهد لويس الرابع عشر

ثم في عهد الملك لويس الرابع عشر ١٦٤٣—١٧١٥ حيث بُدئت عظمة فرنسا بعد معاهدة وستفاليا Westphalia المنعقدة في تشرين الاول سنة /١٦٤٨/ التي اعلنت الجهر بالحرية الدينية ودخول البروتستانت في الجمعية الدولية مثل الكاثوليك ، والاعتراف باستقلال سويسرة وهولنده ، وبوجود /٣٥٥/دولة صغرى في الامبراطورية الجرمانية ، ولقد تجلى نفوذ فرنسا وعظمتها في اجلّ مظاهره امام هذا الملك الذي قال : « الدولة هي انا — L'état c'est moi والذي كان يمثل سياسة الملوك الشخصية بجلالتها وجبروتها تمثيلاً تاماً ، وقد صرف مواهبه واهتمامه في ازدهار فرنسا ، وكان من جملة عمله في سبيل تقوية فرنسا ونفوذها، ان جعل لغته الفرنسية لغة

السياسة بين الحكومات والدول ، وكان ذلك اثراً عظيماً خالداً للويس الرابع عشر ، حفظه له التاريخ ، وقدره الشعب الفرنسي ، وقد حررت باللغة المذكورة—اذ ذاك—عدة معاهدات :

منها معاهدة فيانا المنعقدة عام /١٨١٥/ التي شهد مؤتمرها ممثلو جميع دول اوروبا ، مع ملوك روسيا وبروسيا والنمسا ، والتي قررت اعلان حياد سويسرا الابدي ، وتقوية بروسيا بضم مدن الرن اليها ، وبتأسيس الاتحاد الجرماني ، واعادة بيوت المالكة الى عروشها ، وتحريم العروش على عائلة نابوليون .

ومنها معاهدة باريس المؤرخة عام /١٨٥٦/ ، التي قررت قبول تركيافي المجمع الدولي Institut International لتتمتع بالحقوق المقررة في القانون الدولي الاوربي ، وحرمان روسيا من حق الانفراد بحماية المسيحيين في تركيا ، واشتراك جميع الدول الموقعة على هذه المعاهدة معها في ذلك ، واستمرار قفل الدردنيل والبوسفور في وجه السفن الحربية الاجنبية ما دامت تركيا في حال السلم . ومنها معاهدة برلين المبرمة عام /١٨٧٨/ ، التي اضاعت بها الدولة العثمانية شطراً كبيراً من املاكها في اوربا ، والحقت جزيرة قبرص ببريطانيا ، واستولت النمسا على البوسنه والهرسك ، وصارت بلغاريا مستقلة تحت سيادة الامبراطورية العثمانية ، واضيفت بساربيا الى روسيا ، واعترف بامارة الصرب والجبل الاسود .

ان هذه المؤتمرات الثلاثة الهامة ، قد خطت فيها معاهداتها باللغة الفرنسية ، التي جعلها لويس الرابع عشر لغة السياسة الرسمية — الاقليلا — ، وهكذا فقد ظل الحال على هذا المنوال ، وبقيت اللغة الفرنسية سائدة بين الدول ، الى انتهاء الحرب العالمية الكبرى عام /١٩١٨/ ، وخروج الحلفاء منها ظافرين غانمين .

اللغة الفرنسية واللغة الانكليزية

اجتمع مؤتمر السلم في فرسايل بتاريخ ١٨ كانون الثاني /١٩١٩/ ، ووضع عدة معاهدات : منها معاهدة فرسايل Traité de versaille المنعقدة مع المانيا في ٢٥ حزيران سنة /١٩١٩/ التي غلت فيها المانيا ، وقضى عليها الحلفاء القضاء المبرم ، حيث جعلت الجيش الالماني مؤلفاً من مائة الف جندي فقط ، منهم اربعة آلاف ضابط ، والغاء التجنيد الجبري ، وابطال هيئة الشورى الحربية والتمارين العسكرية الكبرى ، ودوائر التعبئة العامة ، والغاء الطيارات العسكرية الغاء باتاً ، ومنع النمسا من الانضمام الى المانيا الا بموافقة جمعية الامم . وقد كتبت هذه المعاهدة باللغتين الفرنسية والانكليزية .

ومنها معاهدة سان جرمن Sain germain المنعقدة بين الحلفاء والنمسا ، التي قضت بانحلال دولة النمسا وتقسيم املاكها بين دول تشيكوسلوفاكيا الحديثة وسربيا التي اتسعت حدودها وسميت دولة الصرب ، ويوغوسلافيا Youg--Slavie وبولونيا التي انشئت بعد الحرب المذكورة ؛ واضيف قسم

كبير من اراضيها الى بريطانيا ورومانيا . وقد كتبت هذه المعاهدة باللغات الفرنسية والانكليزية والايطالية ؛ على ان يعتبر المتن الفرنسي فقط عند وقوع خلاف بين المتعاقدين ؛ الا فيما يتعلق بصك جامعة الامم ؛ وقضايا ديوان العمل الدولي ، فانه لا بد من الرجوع في هذين الامرين الى اللغة الفرنسية والانكليزية معاً . وهكذا فقد بدأت اللغة الانكليزية بالتألق والزهو ، وغدت تزاحم لغة السين ، التي انضجتها ادمغة رجال فرنسا ، لتكون لها الهينمة على غيرها من اللغات ، ولتكون لغة الساسة والسياسة ، ومنذ ذلك الوقت اضحت الانكليزية صنواً للغة الفرنسية ، واصبح ابناء التايمس يسمعون لغتهم في المؤتمرات الدولية ، والمجتمعات العامة ، فتعقد بها المعاهدات وتخط بها المراسلات .

ولكن مهما يكن من الامر فان الفرنسية هي اللغة الدولية السائدة ، وهي لغة التخاطب في جامعة الامم ، وهي اللغة التي تتقفها الدول والحكومات العالمية في اكثر بقاع الارض ، فكل دولتين تريدان ان تحالفا او تعاقدا او تشدا اواصر الصداقة ، او روابط الجوار بمعاهدة ، فانهما — غالباً — تسطرانها بلغتيهما ، وتزيدان عليهما اللغة الفرنسية .

المعاهدة العراقية الايرانية

وها هي المعاهدة العراقية الايرانية التي عقدها وزير خارجية العراق

(الدكتور) ناجي الاصيل ، ووزير ايران عناية الله سميعي في ١٨ تموز عام ١٩٣٧/، فقد جاء في ذيل هذه المعاهدة ما يلي : « كتب في طهران ، في اليوم الثامن عشر من شهر تموز سنة/ ١٩٣٧ / بنسختين ، باللغات العربية والفارسية والفرنسية ، وعند وجود الاختلاف يكون النص الفرنسي هو النص المعول عليه .

ان هاتين الدولتين المتعاقدتين هما شرقيتان ، ولغتاهما لا تمتان الى اللغات الاوربية بصلة، وليس بينهما دولة فرنسا، او دولة ثالثة حتى يكون اتخاذهما الفرنسية مبرراً لعملهما، ومع هذا كله، فقد حررتا معاهدتيهما بلغتيهما الوطنيتين وهما العربية والفارسية، واضافتا عليهما اللغة الفرنسية، بل وجعلتاها هي اللغة الرسمية التي تحل الخلاف اذا نشب بينهما، ولا يجب ان ننسى ان فرنسا لا اثر لها في قطري المتعاقدين ، ولا كانت قط منتدبة عليهما ، او على احدهما ! !

ولا ريب ان عملهما هذا يعطينا دليلاً ناصعاً على ما لهذه اللغة من اثر في المؤتمرات والاجتماعات الرسمية .

اللغة الفرنسية

اذن لا بد ان يكون للغة الفرنسية ميزة او خصيصة ، كونت منها لغة سائدة دولية ، اختياراً لا اضطراراً ، ورغبة لا رهبة ، فما هي هذه الميزة ؟ وما هي تلكم الخصيصة ؟ يقولون : ان الاسلوب السياسي فيها معروف ، وان اصطلاحها الانشائي في شئون السياسة لا يدخله ابهام ولا

غموض ، اضف الى هذا ان الكنية والمجاز لا اثر لهما فيها ، فالتعابير واضحة ، والجمل بينة ، والنسق ظاهر ، وكل كلمة منها حجر مبنى ، لا يستقيم البناء الا به ، ولا يتم الغرض الا بوجوده ، اما الترادف في الجمل واما التكرار في الكلمات . فاللغة الفرنسية لا تعرف لهما وجهاً ، وما وجدت لهما في اسطرها خبراً ، كما ان البلاغة الفرنسية لا تجيز لاديب ولا لكاتب ما ان يعيد جملة او لفظاً ، لان ترادف الجمل فيها محظور ممنوع . ولذا رغبتها الامم ، وحبتها الحكومات بعطفها ، وتلقتها الدول بهيام وتيم ، حتى غدت لغة السياسة الرسمية ، ولسان الساسة الدوليين ، اذ لا ابهام فيها ولا غموض .

اللغة الاصطناعية

على انه مهما يكن ثمة من محسنات ورغائب فان هيمنة لغة واحدة «١»

«١» الاسبيرانتو لغة جديدة ، وضعها الطبيب البولوني لو فانج زمنوف Ludwing zamenhof ، لتكون لسان جميع البشر ، وقد كان بعض علماء اوروبا — قبل لودفانج زمنزف — مثل ديكارت Descartes يسعى لايجاد لغة عالمية ، يتكلم بها كافة افراد الانسان ، اذ رأى ان تعدد اللغات ادى صعوبة التفاهم بين البشر ، وقد نتج عن هذا تلكوء في سير المدنية . ولذا بادر لودفانج المذكور الى ايجاد لغة الاسبيرانتو ، وجعل معظم كلماتها من اللغة الرومانية والانكليزية ، وقد اعتمد في تأليفها على ٢٨ حرفاً ، وجعل كل قواعدها ١٦ قاعدة فقط ، وهي لغة اطرادية لا شاذ فيها تكتب كما تلفظ .

وفي العالم جمعيات كثيرة تدعو لهذا اللسان ، تقرب من (٢٠٠٠) ، وفي المانيا وحدها (٤٤٠) جمعية ، والمراكز الرئيسي لهذه الجمعيات مدينة ليبسيك .

على عشرات الدول ، مما يتنافى مع المساواة الدولية ، التي اعربنا عنها في صدر هذا المقال،ولذا يفكر بعض الرجال في اتخاذ لغة اصطناعية ، سموها لغة الاسبيرانتو Esperanto وهي عبارة عن لغة ينشئونها مجدداً ويصطلحون على كلماتها ،ويتوخون فيهاالسهولة والايجاز بقدر المستطاع ، واشترط بعضهم ان لا تزيد كلماتها على المئآت ، حتى اذا ما تم لها ذلك قررت الدول اتخاذها لغة رسمية في جميع البقاع والاقطار ، وفي كافة المؤتمرات والاجتماعات ، ولقد طلب عدة مندوبين تحقيق هذا المشروع في احدى جلسات الجمعية العمومية لجامعة الامم ، في سنة/ ١٩٢٠ / و / ١٩٢١ / ، غير ان الجامعة لم تعر هذا الطلب اهتماماً ، لان المحرك لهذه المؤسسة الدولية دولتان او ثلاث فقط ، ولغات هذه الدول هي التي تصك بها الصكوك وتعقد بها المعاهدات كما قدمنا .

وبعد فان المساواة الدولية توجب ان تستعمل كل دولة لغتها الوطنية في مراسلاتها ومكاتباتها ، ولا تجبر على استعمال لغة اجنبية ، بيد ان التبلبل المنبعث عن كثرة اللغات ،قضى باتخاذ اللغة اللاتينية فالفرنسية، والانكليزية لغة رسمية، وها هو واجب المساواة وحب القومية يحتمان على القوم اتخاذ لغة خاصة لتتخاطب بها الدول ، وقد لا يمضي زمن طويل حتى تظهر لغة (الاسبرانتو) للوجود ، وتغدو لغة عامة تتعاقد بها الدول وتتخاطب .

***

تطور جديد في عصبة الامم

ولقد طرأ على اللغة الدولية الرسمية حادث جديد ، رأيت الواجب يدعوني لان اسطره في ذيل هذا المقال ، لا سيما وانه سيكون حدثاً عظيماً في المكانة الدولية ، واحسب انه ستتلوه مفاجآت عديدة ، وسيفتح باباً واسعاً على جامعة الامم Société des nations ، تلجه امم كثير ، وتطلب فيه ان تكون لغاتها رسميه دولية ؟ وماذا يكون جواب هذه الجامعة ، حينما يأتي مندوب روسيا ، او مندوب ايطاليا «١» ، او ممثل تركيا او غيرهم ، ويطلبون من الجامعة الاممية ان تخذ قراراً ، وتجعل لغاتهم كلها رسمية دولية ، اسوة باللغة العربية ، وهنا حدث عن الفوضى اللغوية التي تهتز لها جوانب العصبة ولا حرج ، مما ستضطر العصبة الى ان تعيد النظر في قرارها الذي اتخذته ، او ان تحتاج لاجابة سؤل هؤلاء ، واصدار بياناتها — فيما بعد — بلغات شتى ، بصورة يؤخر سير اعمالها ويعيقها عن التنفيذ .

وبعد وافتنا انباء البرق « اللاسلكي » بما يلي :

ظهر علي الشمسي باشا مندوب مصر في عصبة الامم ، للمرة الاولى

«١» في ١١ كانون الاول الاول من عام ١٩٣٧ اعلن ديكتاتور ايطاليا السنيور موسوليني انسحاب حكومته من جامعة الأمم .

في اللجنة السادسة ، التابعة لهذه العصبة ، فاحرز فيها نجاحاً جديراً بان تفاخر به مصر ، وبان تشكره عليه جميع البلاد العربية . فمن المعلوم ان جميع البيانات والمنشورات التي تتعلق بالتعاون الفكري ، كانت تصدر حتى الآن باللغتين : الفرنسية والانكليزية ، ولكن علي الشمسي باشا اظهر ما لمصر من المكانة، منذ افتتاح جلسة اللجنة ، بتدخله في المباحثات تدخلاً باهراً ، اثبت على أثره الفائدة العظيمة ، والحاجة الماسة الى الاعتراف للغة العربية، بمثل الحقوق التي تتمتع بها اللغتان : الفرنسية والانكليزية .

وقد اوضح هذه النظرية ببلاغة نادرة ، وايدها بحجج دامغة ، وافق عليها جميع المندوبين ، وهم من اعظم المفكرين في البلدان . وهكذا قبل اقتراح الشمسي باشا ، ووافقت اللجنة باجماع الاراء على استعمال اللغة العربية ، فدخلت هذه اللغة دخولاً باهراً في الميدان الدولي ، واصبح من الواجب الاعتراف لعلي باشا ، بانه ادى لمصر ولجميع البلاد العربية اعظم الخدم واجلها .

هذا ما وافتنا به انباء البرق بتاريخ ٢٠ ايلول ١٩٣٧ . وفي ٢٦ منه وردت برقية من جنيف تقول : ستدرس (سكرتيرية) عصبة الامم العامة، في آخر الدورة ، كيفية استخدام اللغة العربية ، في نشرات الاذاعة اللاسلكية ، التي تهم التعاون الفكري ، وسوف نرى نتيجة التطور .

ليست لغة العرب اغنى لغات العالم فحسب، بل ان الذين نبغوا بها في التأليف لا يكاد يأتي عليهم العد، وان اختلافنا عنهم في الزمن والاخلاق، اقام بيننا وبينهم ما ألفوا فيها حجاباً؛ لا نتبين ما وراءه الا بصعوبة.

فريتاغ الالماني من معجمه الكبير في اللاتينية «١» والعربية.

«١» جرى كتاب العربية اليوم، ان يكتبوا (اللاتينية) بالتاء كما ترى؛ غير ان ابن خلدون وغيره من العلماء السابقين، كانوا يكتبونها بالطاء هكذا (اللاطينية).

لم استعمل القرآن الالفاظ الدخيلة ؟

مع وجود مرادف عربي لها

يقول ابن خالويه فى شرح الفصيح : «قد اجمع الناس جميعاً ان اللغة اذا وردت فى القرآن، فهي افصح مما فى غير القرآن، لاخلاف فى ذلك ابداً » .

فالقرآن هو الخضم الطامي ، الذي تنساب منه جداول العذوبة وينابيع الفرات ، لا خلاف فى ذلك ابداً . ولقد استقر رأي الناس وتضافروا على ان القرآن اساس للغة العروبة ، ودعامة لكل ما اشتملت عليه من لغة ، وقواعد ، ومسميات ، واساليب ، وفصاحة ، وتبيان ، لا خلاف فى ذلك ابداً .

ان القرآن هو الذي يعطينا القواعد المطلوبة، وهو الذي يمنحنا دستوراً يرشدنا الى ما يجب عمله، في المحافظة على تراث لغة قريش ، وهو الذي ينادينا الى طريق الهداية والرشاد ، لنعمل في سبيل صون لغته ، وتقدمها ونموّها ، وحسبه انه تحدى فصحاء الجزيرة ، وبلغاء مكة ، وهم يمضغون الشيح والقَيصوم : بعبارات قارعة محرجة ، ولهجة واخزة مرغمة . وهم لا يزالون فى ظل وارف ، من سلامة اللغة وحفظ الطبع ، وصون اللسان من ان يري الخطأ او يلتفت اليه .

وبعدها بالك بكتاب يأتي اليه عدوه فيطأطئ الرأس اليه ويحنو ؟ مع انه لن يبرح كافراً به ، ملحداً بتنزيله ، مارقاً من كل آتى به او أرشد اليه. ذلك لانه صفى اللغة من أكدارها ؛ فجاء بها في ماء الجمال املأ من السحاب ، وفى طراءة الاسلوب أجمل من الشباب .

وها هو سيد من اسياد قريش « عتبة بن ربيعة » يذهب لمقابلة محمد ابن عبدالله (صلعم) حانقاً عليه غضباً ، حتى اذا ما سمع منه سورة تنزيل، ناشده الرحم ،ان يكف ، ثم آب الى رهطه وعشيرته، يعظهم، ويهديهم سواء السبيل بقوله : « يا معشر قريش اني سمعت قولاً ... والله ما سمعت مثله ، والله ما هو بالشعر ، ولا بالسحر ، ولا بكهانة » .

* * *

اما بعد : فها كم القرآن المعجز ، تروا فيه كلمات اعجمية دخيلة ، وقد اشتمل عليها ، ونضدها في فقراته ، وادخلها بين كلماته ، وقد يكون لها مرادف في لغة العرب ، بيد ان القرآن طرح اللفظ العربي جانباً ، واخذ اللفظ الدخيل الاعجمي ، فغدا لهذه الكلمات الشرف الارفع ، والمقام الامثل، لان القرآن استخدمها في لغته ، واستعملها في بغيته ، وظل القرآن هو هو ، يتحدى امم الارض في المشارق والمغارب ، دون ان يلمسه لامس او ينحت من اثلته ناحت ، ولقد تتبعها العلامة العربي الكبير

عمرو بن بحر، المكنى بابي عثمان، الملقب بالجاحظ «١» فبلغت. مائة او اكثر.

مائة كلمة (اجنبية) الاصل ، تحادد لغة العرب ، وتناكر لسان قريش ، استعملها القرآن ، ودمجها بين كلماته ، مع ان لكثير منها مرادفاً عربياً ، فعلام هذا ؟ ولم ؟ وهلا في الامر سر ؟؟!

«١» الجاحظ ١٥٠ ـ ٢٥٥ هـ

ما رزقت العربية استاذاً اكثر علماً ، ولا اوسع مادة ، ولا اجمع لانواع العلوم من الجاحظ . قال ثابت بن قرة : ما احسد هذه الامة العربية الا على ثلاثة : اولهم عمر ابن الخطاب في سياسته ويقظته .. والثاني الحسن البصري في تقواه وورعه .. والثالث ابو عثمان الجاحظ ، فهو خطيب المسلمين ، وشيخ المتكلمين ومدره المتقدمين والمتاخرين وشيخ الادب ، ولسان العرب . وكان الجاحظ قد هجا الشاعر ابا حفان ، فقيل له ان الجاحظ هجاك ، فلمَ لا تهجوه ؟ فقال : والله لو وضع رسالة في ارنبة انفي ، لما امست الا بالصين شهرة ، ولو قلت فيه الف بيت ، لما طن منها بيت في الف سنة .

ولد الجاحظ عام ١٥٠ في البصرة مهد الادباء وامضى شطراً كبيراً في بغداد عاصمة العلم والحضارة ، وتوفي سنة ٢٥٥ ، فلا عجب ان كان نبوغه متألقاً في افق التاريخ العربي اضف الى ذلك عبقريته ، وحرصه على العلم ، حتى انه كان لا يقع في يده كتاب الا استوفى قراءته كائناً ما كان ، وبلغ فيه الحرص ان كان يبيت في دكاكين الوارقين ليقرأ ما فيها .
كان دميم المنظر ، مشوه الخلق ، جاحظ العينين ، وقد قال بعضهم فيه :

لو يمسخ الخنزير مسخاً ثانياً ما كان الا دون قبح الجاحظ

رجل ينوب عن الجحيم بنفسه وهو القذى في كل طرف لاحظ

وقد كان شيخاً من شيوخ المعتزلة القائلين ان العبد يخلق افعال نفسه . واليه تنسب الطائفة الجاحظية .
وللجاحظ اكثر من (٣٥٠) مؤلفاً ، طبع منها (١٣) كتاباً . اصيب آخر حياته بالفالج ، فاراد الخليفة المتوكل ان يراه فبعث في طلبه فقال الجاحظ لمن اراد حمله : وما يصنع امير المؤمنين بامرئ ليس بطائل ذي من شق مائل ، ولعاب سائل ، وفرج بائل ، وعقل حائل .

ان في هذا تنبيهاً لنا —معشر العرب— الى وجوب العناية بامر اللغة، واسترشاداً ان ليس في ادخال الكلمات الغريبة على اللغة شين ولا شنار، اذا كان في الامر تلطيف، اوابدال غلظة بعذوبة ورشاقة، او وضع اسماء لمسميات مستحدثة مبتكرة، وهذا كله اجمع في سبيل احياء اللغة، ونموها وجعلها صالحة ملائمة، لان تفي كافة الحضارات والمدنيات حقها مما يخصها من تقديم الكلمات! ولاجل الاخذ بعوامل الارتقاء ونواحيه ومرافقه جمعاء، ولتحيا امة العرب حياة حرة سعيدة، لايشوبها كدر ولا عناء.

واذا كان ساسة العالم ومشرعو الكون، اجمعوا على ان كيان الشعوب يقوم على ثلاثة مبادئ: التوازن الدولي، وتقرير المصير، والقومية؛ فان في تطور اللغة ووحدتها من التأثير شيئاً كثيراً، فهي هي تخلق ذهنية واحدة، وتفكيراً متماثلاً، وادباً مشتركاً، ومثلاً أعلى، وهي هي التي تكوّن القومية وتغذيها وتجعلها اساساً في سعادة الامة وهنائها.

لذلك فان القرآن كما هدى امم العرب الى الرشاد في طرق الحياة، فانه علمهم كيف تحيا اللغة وتخلد، وكيف يعيش اهلوها اعزاء اقوياء.

هذه هي الاسباب التي حدت بالقرآن الكريم ان يستعمل الكلمات الاعجمية الغريبة عنه، حتى لا نرى ثمة عاراً في الاقتداء به، ولا في النسج على منواله، اذ هو الدستور الذي يعمل العرب بمقتضاه في كل آونة وآن.

***

قلنا ان الكلمات الاعجمية التي استعملها القرآن، بلغت اكثر من مائة، كما رواه الامام الجاحظ. ولقد قال القرآن: «إهدنا الصراط المستقيم» ولم يقل اهدنا الطريق المستقيم؛ مع ان الصراط لفظ اعجمي، والطريق لفظ عربي. وقال تعالى «على الارائك ينظرون» ولم يقل على السرور، مع ان الارائك لفظ اعجمي، والسرور لفظ عربي. واستعمل ابريقاً وهو فارسي، وترك مرادفه العربي وهو التامورة، وقال: «وزنوا بالقسطاس المستقيم» ولم يقل وزنوا بالميزان المستقيم، مع ان الميزان عربي والقسطاس اعجمي. واستعمل (بعيراً) وهو اعجمي، وترك دابة او حماراً وهما عربيان. وقال (سجيلاً وفوماً ودرّياً) وترك حجارة وحنطة ومضيئاً.

وهكذا فقد جاء في القرآن العظيم: طور وغساق — بارد منتن — ويمّ، وحَصَب؛ ورقيم وسجيل، واستبرق، وكواكب، وابّ؛ وابلعي، واخلد، واسباط، واسفار، وإصري، وتحتها في قوله تعالى: وناداها من تحتها الا تحزني، اي من بطنها، وهي من اللغة النبطية، وتتبيرا، وبيع — جمع بيعة — وتنور، وبطائن، واوّاه، وأوّاب، وأوّبي، وربانيون، وربّيون، وسرادق؛ وجبت، وشيطان، وابليس، وكفلين؛ وحواريون وجهنم، وحطة، وحُوبا، والرحمن — كلمة عبرانية اصلها الرخمن — والرقيم وسقَر، وسفر، وسجين، والسجل، وسندس، وسلسبيل، وسنة، وثناء، وشطر، وشهر، وطه، وطاغوت، وطفقا، وطوبى، وطوى، وفردوس وكورت

في «اذا الشمس كورت» ومرقوم ، ومزكاة ،وملكوت، ومُهل ،ومنفطر ووَزَر ،وياقوت، الى غير ذلك من الكلمات القرآنية التي يطفح بها القرآن .

وبعد فما بال رجال يستنكرون كلما سمعوا اديباً او شاعراً يستعمل لفظة اعجمية ، كأن القائل أتى امراً اداً ، وارتكب حوباً كبيراً ، مع ان القرآن الذي هو افصح كتاب عربي ،مليء بكلمات، اخذها عن لغات شتى، وعرّبها ،واصبح لها ما للكلمات العربية ، وعليها ما عليهن ، أفلا يكون لنا قدوة حسنة نتبعه ونسير على غرره ، كما عملت الامم الحية والشعوب الراقية، الذين لا يدخرون وسعاً في تهذيب لغتهم، والحاقهم بها ما تقتضيه المصلحة العامة وحياة الشعب .

وكأنني بالسوقة «١» ، لا يألون جهداً في السعي وراء ما يستفيدون منه ، في كل شأن من شئون الحياة ، سواء أكان طريفاً ام تليداً . اذن فحري بقادة النهضة، وعلماء الأمة، أن ينسجوا على ذلك المنوال ، وقديماً كان يقال : « الحكمة ضالة الانسان »انىّ وجدها التقطها.«٢»

«١» السوقة «بضم السين» : الرعية من الناس ، يستوى فيه المفرد والمثنى والجمع، والمذكر والمؤنث ، كما نص الفيروزابادي في معجمه «القاموس المحيط» . قيل : سموا بذلك ، لان الملك يسوقهم الى ما شاء . ومنه قول جبلة بن الايهم : الا يفضل في هذا الدين ملك على سوقة ؟ فقيل له : الملك والسوقة في الاسلام سواء . اما اخلاط الناس فهم اوباشهم وسفلتهم (بكسر السين وسكون الفاء ، او بفتح السين وكسر الفاء) وكذا طغام الناس بفتح الطاء، فمعناه اوغاد الناس وارذالهم .

«٢» نشر هذا المقال في جريدة صوت الاحرار الغراء بعددها المؤرخ في ١ آب عام ١٩٣٧

في بيان اللغة قوة جبارة، وفي لسان الامة عظمة خالدة. فاذا اتحدت القوة مع العظمة، تكوّن شعب رفيع اتخذ العلياء هدفاً له، في كل مرفق من مرافق الحياة.

الكرماني

رضخ - لا تفيد معنى خضع «١»

صحفي ، صحافة ، صحاف ، منامة

رضخ - خضع: كثيراً ما يستعمل الكتاب والادباء والصحافيون كلمة (رضخ) بمعنى (خضع) فيقولون : ان الامة لم ترضخ للاستبداد مثلاً ، يعنون انها لم تخضع ، غير ان هذا خطأ صرف ، اذ ان اللغة العربية لا تتعرف على رضخ بمعنى خضع ، بل رضخ في اللغة تأتي بمعنى : كسر ، او اعطاه قليلاً ، او جلد به الارض . وها هي المعاجم تنبئنا بصحة الخبر . ففي القاموس المحيط في باب الخاء وفصل الراء ما يلي : «رضخ العصا كسرها ، ورضخ له اعطاه غير كثير ، ورضخ به الارض جلده بها . » ولا ريب ان هذه الفقرة تعرب اعراباً لا غموض فيه ان «رضخ» لا تفيد معنى الخضوع ابداً ؛ وان استعمال (رضخ) بمعني (خضع) جهل وخطأ في اللغة . ومع هذا كله ، فان الاستعمال متفاقم ، والاقلام اليفة فمه ايها الكتاب ، وحذارِ من الخلط اللغوي ، فلكل كلمة معنى .

صحافي - او صحفي - صحافة - صحاف: بعد ان درجت الصحف السيارة او الجرائد

«١» نشر في جريدة الاتحاد الحلبية الزاهرة في عددها (٦٢١) المؤرخ في ٨ ايار عام ١٩٣٦ .

—سمها ما شئت—وغدا للصحافة الأثر البليغ في تكييف الامة وقيادتها، واضحت مهنة حرة لها مكانتها الفائقة في تسيير الشعب وتطوره ، حتى لقبت بذات الجلالة ، واضحت القوة الرابعة في الدولة .

اجل بعد هذا الشيوع والأثر ، كثر ترداد (الصحافي) على القلم واللسان ، وذاع استعماله ذيوعاً كبيراً . ومعلوم ان الصحافي او الصحفي نسبته الى الصحيفة ، اذن فاية اللفظتين اصح ؟ واية الكلمتين يجب ان نستعملها ؟ اصحافي ام صحفي ؟

ان بعضهم يقول صحافي بوضع الف بعد الحاء ، وبعضهم يقول صحفي بدون الف ، لمن يمتهن الصحافة. ولقد تتبعت معاجم اللغة، وبحثت في قواميسها فلم ار اثراً للفظة (صحافي) وكأني بها غير موجودة ولا معروفة لدى اللغويين . اما (صحفي) فكتب اللغة طافحة بها . فقد جاء في (اساس البلاغة) في مادة (صحف) ما يلي : معه صحيفة وصحف وصحائف وهي قطعة من جلد او قرطاس يكتب فيه وهو صحفي . وجاء في معجم (اقرب الموارد) في مادة صحف ايضاً ما يأتي : الصحفي الذي يروي الخطأ عن الصحف باشباه الحروف مولدة ، ومن يأخذ العلم من الصحيفة لا عن استاذ ، وهو منسوب اليها بحذف الياء على القياس كحنفي الى حنيفة .

من هذا يتضح ان (صحفي) — بفتح الصاد والحاء — مروي في اسفار اللغة ، وهذه اللفظة تفيد معنى من يمتهن اصدار الصحف السيارة،

هذا من حيث السماع ؛ اما القياس فموافق تمام الموافقة لان الصحفي نسبة الى الصحيفة ، والقاعدة العربية تقضي بحذف الياء والتاء، واضافة ياء النسبة؛ فتصبح (صحفياً) .

اذن السماع والقياس مجمعان على صحفي بفتح الصاد والحاء .

اما « صِحافة » — بكسر الصاد — فهي على القياس .لان كل مصدر يدل على حرفة فهو على وزن « فعالة » مثل . خياطة، وحياكة ، ونجارة وعطارة، ووزارة.

وهكذا فان صحافة تكون موافقة لزميلاتها. بقي علينا ان نرى لفظة نطلقها على من يبيع الصحف ، حتى تكون هذه المهنة — ذات الجلالة — تامة في اسمائها .

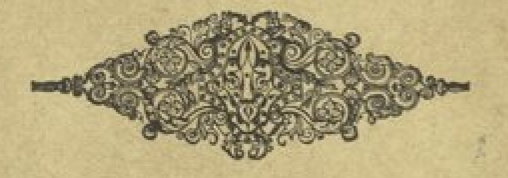
ونحن نرى ان لفظة « صحّاف » تفيد معنى بائع الصحف ،فقدجاء في ذيل اقرب الموارد: الصحاف كشداد بائع الصحف .

والخلاصة ان هناك ثلاث كلمات : صحفي — صحافة — صحاف . فالاولى لمن يصدر الصحف ،والثانية لذات المهنة ،والثالثة لبائع الصحف .

منامة - ثوب النوم : قد يحتاج المرء الى كلمة تفيد معنى الثوب الذي يلبسه وقت النوم ، والمسموع المتداول الآن ،ان الكتاب يستعملون ثوب النوم ،باضافة ثوب الى النوم، اضافة اختصاص ،غير ان هذا الاستعمال غير فصيح ، وربما لا يكون

صحيحاً ، لان ثوب النوم كلمة مركبة ، والتركيب لا يصار اليه الا في الضرورة ، واية ضرورة ثمة بعد ان نرى في كتاب « لطائف اللغة» قوله: « المنامة : « الثوب الذي ينام فيه » .

ولا ريب ان هذه الكلمة افصح واصرح واصح ، لانها نصٌ في مسماها، ولانها لفظة لا تركيب فيها .



ويل لامة اشاحت بوجهها عن
دراسة لغتها، وانكبت على تعلم لغة
اجنبية .

الكرماني

هل في اللغات ترادف ؟ «١»

قد يكون الترادف في اللغة العربية خصيصة من خصائصها ، لا تطاولها فيه لغة ، وحسب المتتبع ان يردد الطرف في كتب العلامة العربى ، عمرو بن بحر ، الشهير (بالجاحظ) ، لا سيما كتابه (البيان والتبيين) لكي يجلى له ، ان المعنى الواحد ، كان يخصص له صحيفة كبرى . اضف الى هذا ، ان للسيف فى لغة الجزيرة الف اسم ، وللداهية خمسمائة اسم ، وللاسد اربعمائة ، وللشمس كذا ، وللخمر كذا و كذا .

ونحن ابناء العروبة ، نرى ان الترادف يمنح الكتابة رونقاً وجمالاً ، وبهجة وجلالاً ، وهو الذي يترك الكاتب فى اختيار الكلمات حراً ، يستعمل ما يشتهيه ، وينبذ ما يزدريه . هذا هو الشائع المستفيض الذي تلقفناه خلفاً عن سلف . بيد ان جهابذة اللغة ابوا هذا المذهب . وفندوه ، وقد كان الامام الثعالبي في طليعة من جحد الترادف وانكره ، اذ انه قال : لا ترادف في اللغة العربية ، ومهما رأينا كلمات نبتت في صعيد واحد ، فاتحد معناها ، فلا بد ان يكون ثمة من فرق ، ولو كان جزئياً .

ان لفظة « الـكيـسة » و « الخرقة » و « البـدرة » و « الفلذة »

«١» نشرت هذه الكلمة فى جريدة التقدم الغراء فى عددها ٤٨٢٤ المؤرخ في ٣ ايلول سنة ١٩٣٧

و «البقعة» (بضم الباء وفتحها) هي كلمات ترادف لفظة «قطعة»، بيد ان الانسان لو تتبع منظوم العرب ومنثورهم، لاتضح له ان لا ترادف في هذه الكلمات، لانهم كانوا يستعملون: الكسرة للخبز، والخرقة للثوب، والبدرة للنقدين، والفلذة للكبد، والبقعة للارض.

اذن ان بين هذه الكلمات فرقاً، الا ان عدم اطلاعنا على فقه اللغة وخوافيها، هو الذي اظهر لنا ان تلك الكلمات مترادفة.

روى علماء الادب: ان قتيبة بن مسلم قال لاهل خراسان: من كان في يده شيء من مال عبد الله بن حازم فلينبذه، ومن كان في فيه فليلفظه، ومن كان في صدره فلينفثه. فتعجب الناس من حسن ما فصل وقسم.

* * *

على ان علماء اللغة الفرنسية، جحدوا الترادف La Synonymie، وحكموا ان بين الكلمات فرقاً، وقد رأيت في كتاب قواعد اللغة الفرنسية التامة للمؤلف بولس شينو Grammaire Conplète de La Langue Française par le R. P. Paul Cheneau ما يلي:

Aproprement parler, il n'y point de synonymes parfaits, parce que dans une langue bien faite chaque mot possède une valeur qui lui est propre.

اي في الحقيقة اللغوية لا يوجد كلمات كاملة الترادف، اذ ما من كلمة في اللغات السامية، الا ولها معنى خصيص بها، وقيمة مقصورة عليها. ثم اتى بامثال تعرب عن هذه النظرية فقال:

Il est facile de voir que les mots : maison , demeure ,chaumiére logis , expriment la même idée d'habitation , mais toutefais avec des muances , qui la présentent des aspects différents .

اي من السهل علينا أنْ ندرك أنَّ كلاً من بيت ، ومسكن ، و كوخ ، وقصر، يوضح معنى واحداً هو السكن والمأوى ،ولكن على كل حال يظهر لنا فرق الاشكال المختلفة : شكل الكوخ الحقير امام القصر العظيم .

اذن لاشك انك الآن ادركت ما يقوله الفرنسيون نحو مترادفات كلماتهم ،وكيف أنهم ينكرون وجود الترادف الخالص من شائبة التفاوت ! واستطيع الآن القول : ان اللغات الحية على هذا المنوال .



دراسة اللغة تخلق في النفس
سؤدد الآباء، وجبروت الأسلاف.

الكرماني

نشرة لغوية «١»

اسماء الخيل السوابق في الرهان

كثر اليوم سباق الخيل وازدادت رغبة الناس في الرهان ، وغدا عشاق السباق يؤمون الميادين افواجاً افواجاً ، وقد لا يمضي زمن قصير الا ونرى الرجال يتنافسون في اقتناء الخيول العربية ، تنافساً يعيد لها ما كانت عليه من عناية وازدهار ، ولما كانت خيول الرهان تختلف في الجري والفوز فمنها السبّاق ، ومنها المتأخر والوسط ، فقد كان قميناً باللغة العربية ان تضع لكل فرس من افراس الحلبة اسماً يطلق عليه ، كي تعلم درجته في السباق. وهكذا فقد سمعت شخصاً ينال من العربية لزعمه انها خالية من اسماء الخيل السوابق ، غير انني افهمته خطأه ، وسردت له ما ورثناه عن اجدادنا العرب من هذه الاسماء ، ورأيت الفائدة تجلي في نشرها بالصحف السيارة ، اذ الصحافة غدت مدارس متنقلة ، يقتطف ثمارها الناس اجمعون .

الحلبة — بفتح الحاء وسكون اللام — الدفعة من الخيل في الرهان، او الرهان، او خيل تجتمع للسباق من كل اوب للنصرة .

الميدان — الارض الذي تجري فيها الخيل وتتسابق .

«١» نشرت هذه الكلمة في جريدة الدستور الغراء عدد ٣٦٢ تاريخ ١٠ ايار عام ١٩٣٦

واسماء خيل الحلبة عشرة، ذلك لان العرب كانوا يرسلونها عشرة عشرة ، وسموا كل فرس منها باسم خاص .

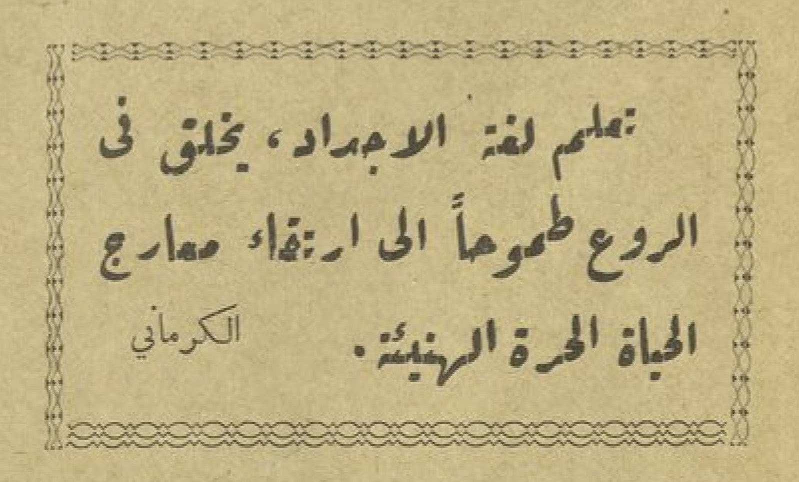
فالاول وهو السابق والمبرز يسمى المجلي لانه يجلي عن صاحبه الهم. والثاني المصلي لانه يضع جحفلته (اي شفته) على صلا (أي ذنب) السابق .

والثالث المسلي لانه يسلي صاحبه .

والرابع التالي. والخامس المُرتاح .والسادس العاطف. والسابع الحَظِي، والثامن المؤمّل، والتاسع اللطيم، والعاشر السُكَيْت (بضم السين وفتح الكاف) لانه يعلوه وجوم وسكوت . ثم الذي يأتي آخر الخيل في الحلبة يسمى « فسكلا »(بضم الفاء وسكون السين وضم الكاف) .

هذه هي اسماء الخيل التي تجري في ميدان السباق ، استعملها العرب قديماً، وذكرها اساطين اللغة وعلماؤها . فكم يجدر بنا ـ معشر الخلف ـ ان نسعى لاحياء تراث السلف ، ونتسابق في حلبة المفاخرة في تعلم لغتنا المجيدة .

هذا وان الحبل الذي يجعل في صدور الخيل عند السباق يدعى المقوس (بوزن منبر)، وكذا يطلق هذا الاسم على الموضع الذي تجرى منه الخيل ،فيقال صفت الخيل في المقوس ثم اطلق لها العنان؛ وقد قال عليه الصلاة والسلام : الخيل تجري باعراقها وعنقها ، فاذا وضعت على المقوس جرت بجدود اربابها .


تعلم لغة الاجداد، يخلق فى
الروح طموحاً الى ارتقاء معارج
الحياة الحرة الهنيئة.
الكرماني

اللغة «١»

تتهادى الشمس سائرة نحو الغروب مصفرة مكتئبة ، بخطى بطيئة ، ما اشبهها بدنف برح به الهوى ! فامتص فتوته ، او مريض هفا اليه داء عياء ، فتقلصت اطرافه ، وعفت عليه آثار فاقمة تلاشت معها عصارة الشباب ، وتركت وراءها خطوطاً ترتسم فيها آية الردى وعلامة الفناء !. انها لتدنو من الافق ، والمرء ينظر اليها بعينين هاميتين ، فيراها تقرب منه كأن لها غرضاً هي في حاجة اليه ، ولكن الخفر قد اخذ منها مأخذه ، فهي لا ترنو اليه ، بل تسير القهقرى في منهاج خبرته ، لافتة وجهها شطر مكانها الاول ، تاركة وراءها خيوطاً وضاءة لامعة ، ولكنها مبللة بصفرة الموت ، متكسرة على صخور هذا العالم الجبار . وهكذا فاننا نشاهد هذه الخيوط الصفراء ، وقد فعلت بنا فعلها الاخاذ ، بقلب حسير ، وطرف كسير . نتلوى من اجلها بحركة غير طبيعية ، متذكرين ما كانت عليه ذكاء النيرة ، هذا الكوكب الذي تتسامى اليه البشرية في كل ناحية من نواحيها .

اثر فعال كبير ، دل على ما كانت عليه امه الزعوم ، من عظمة خالدة ،

«١» نشر هذا المقال في جريدة الاتحاد الحلبية الزاهرة في اعدادها (٦٢٨) الى (٦٣١) المؤرخ في ايار عام ١٩٣٦ .

لم تستطع صروف الايام ان تمد اليها يداً ، وفصيل جذب اليه الانظار لتتحسس رفعة ذلك الاصل ، وكي تدل عليه في كل اثر من آثاره .

وهكذا فما اللغة الا مرآة صافية، تنعكس فيها حياة الشعب بنواحيها ومرافقها جمعاء ، ذلك لانها وليدة الاجتماع ونتاج الجماعة (اذ الانسان الواحد لا يستقل وحده بجميع حاجاته ، بل لا بد من التعاون ، ولا تعاون الا بالتعارف ولا تعارف الا باسباب : كحركات ، او اشارات ، او الفاظ توضع بازاء المقاصد ، وايدرها وافيدها واعمها الالفاظ) .

واللغة ما انفكت عنصراً قوياً في تكوين الجماعة ، واساً مكيناً في تشييد بناء الامة ونموّها .

ذلك لان وحدتها تجمع بين الاقوام في صعيد واحد ، وتوحد بين غايتهم السامية ، مهما بعدت بهم الديار ، ونأى بهم الوطن ، حتى اضحى المتكلمون بلغة واحدة مطبوعين بطابع خاص ، يميزهم عما عداهم ، وبذا تكونت الامة العربية ، والامة الجرمانية ، والامة اللاتينية مثلاً .

* * *

اللغة رابطة قوية بين افرادها ، وعامل فعال في ظهور جماعاتها ؛ ولها سلطان قاهر ، ونفوذ باهر ، في بقاء كيان الامة ، نامياً حساساً حياً ، فكل امة باقية ما بقيت لغتها، وما انتشر لسانها؛ حتى اصبح علماء الاجتماع يعدون

اللغة مقوماً كبيراً من مقومات الاستقلال، وشرطاً لازماً من شروط الحرية، التي ينشدها الاقوام، ودليلاً قوياً على حياتها، حتى اذا ما تلاشت واضمحلت، تلاشت معها الامة واضمحل كيانها، واندمجت في غيرها من الشعوب.

ان التاريخ يحدثنا عن امة كانت تسمى فينيقية، واخرى حيثية، فاين هما؟ وماذا فعل الدهر بهما؟ وهل أتى عليهما الملوان؟ فابتلع حروفهما؟ وقضم «١» الفاظهما؟ وهضم كلماتهما؟ ام هل ان وباء عاماً، وطاعوناً فتاكاً أتيا على هاتين الامتين، فاجتزا جذورهما، واباداهما عن بكرة ابيهما، ولم يبقيا من جماعاتهما وافرادهما دياراً؟ اللهم كلا ... ! لم يك هذا ولا ذاك، وانما تقوضت لغتهما، وتلاشى مع كرور الايام لسانهما، وقوي في ديارهما لسان آخر، صفع لغة الحيثيين والفينيقيين صفعة اليمة، هوت بها الى الحضيض الاوهد، فماتت تانك الجنسيتان، وقبرت هاتان الامتان، ولربما نكون نحن من احفادهما، وخلفهما، ولكن تكلمنا باللغة العربية القرشية هو الذي جعلنا عرباً كراماً.

ثم اي شيء جعل الاسبانيين اليوم، والاندلسيين امس افرنجاً، بعدان تألقت العروبة والحضارة العربية والازدهار العربي في تلك الديار ردحاً طويلاً؟

ان الاندلس كان بالامس مهد الاسلام، وعاصمة الحضارة العربية،

وحصن لغة بني يعرب ، وها هو اليوم يتنكر للغة القرآن ،ويحادداخلاق العرب ، ويحارب قوانين الاسلام ، ولم يعد لاندلس اليوم صلة باندلس امس ،بل اصبحت هناك امة عرفت بامة اسبانية غربية افرنجية ، لاتمت للعرب بصلة ولا آصر .

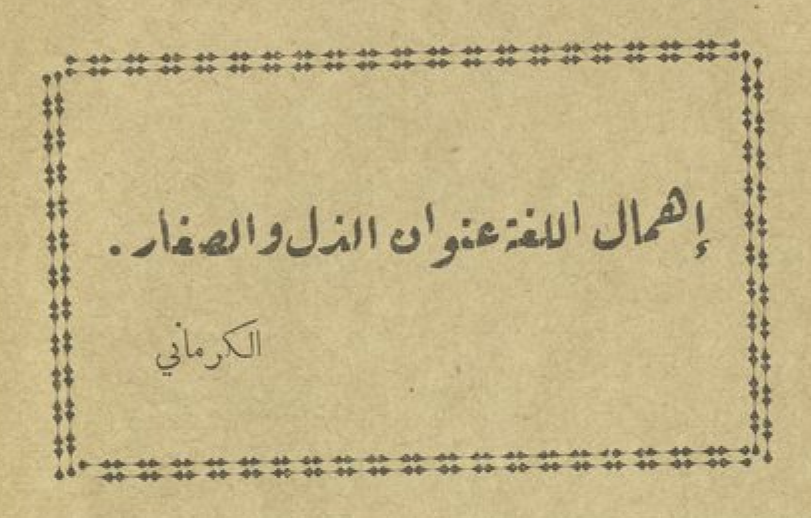
فلم ذلك ..؟؟ وعلام هذا البون .؟.؟.

اجل لان اللغة العربية قد اضمحلت في تلك الاصقاع ، ولم يبق لها اثر ،وبذا ماتت الامة العربية هناك ؛ وغدت اثراً بعد عين ؛ كأن لم تك شيئاً مذكوراً .

وهذا عينه هو الذي جعل هذه البلاد السورية عربية .

لقد فهمنا الآن لماذا كانت اللغة مقوماً من مقومات الاستقلال ، وحافظاً اميناً لكيان الامة ووجودها ، ومن اجل هذا السبب نرى الدول الكبيرة اليوم —كالفرنسيين والانكليزين- مثلاً - يسعون ويبذلون مالديهم من حول وقوة · في سبيل نشر لغتهم وتعميمها في بقاع العالم ، بمختلف الاسباب والوسائل . وهذا ما صنعه العرب «١» والرومان واليونان في العصور الغابرة .

«١» يحدثنا المؤرخون ان الملك الشاب هشام ابن عبد الرحمن الداخل الذي ولي الملك عام ١٧٢ — ١٨٠ هـ في الاندلس ، حظر على الاندلسيين الاصليين ان يتكلموا بغير العربية ، واباح لهم الكتابة بلسانهم اللاتيني ، حتى اصبحت اللغة العربية هي اللغة الغالبة العامة ، وساد اللسان العربي في الاندلس اجمع .


إهمال اللغة عنوان الذل والصغار .
الكرماني

اللغة اقوى روابط الاجتماع «١»

اللغة اثر من آثار المجتمع، وعمل من اعمال المجموع، تتكوّن من الضرورة الملحفة في المحيط العام، ويتلقفها الافراد كأداة يسدون بها ثامة فاغرة، دون ان يكون لهم حق في التصرف بها تصرفاً يتبعه تغيير او تبديل، ذلك لانها مظهر من مظاهر الارادة العامة، التي تفرض على الامة فرضاً، فيقضون بها مصالحهم، ويشتركون في الآراء والافكار. وبهذا يتكوّن شعور واحد متحد، يعرب عما تتمخض به الجهود المشتركة، والتفاهم المشترك، حتى اذا ما رفرف جناحاهما فوق ربوع المستوى، الذي هما فيه، اتجهت القوى الى ايجاد النتاج المثمر، الذي تنبعث منه حضارة القوم، وازدهار العشيرة، بصورة تلم بثمار الجهود المبعثرة، وتضم ذلك العقد الاجتماعي، الذي ينضوي تحت لوائه رجالات الامة وافرادها.

ولذا يقول العالم الاجتماعي (تارد) «من كثرة ما يتكلم الناس على نحو واحد تقريباً، ينتهون الى التفكير على نحو واحد تقريباً.»

ولقد كان من اثر هذا التفكير وذلك الشعور المتحدين، ان نشأ اتجاه عام في الغايات والمآرب، التي تجاهد الامة من اجلها، فربط بينها ربطاً قوياً حتى اضحت قبائل الأمة واجزاؤها — مهما تعددت — تتطلع

«١» نشر هذا المقال في جريدة الاتحاد الحبية الغراء، عدد (٦٣٣) الى (٦٣٥) بتاريخ (٧) و(١٠) و(١٢) حزيران عام ٩٣٦. بتوقيع ابي نزار.

الى امنية واحدة، وتجذب نحو هدف واحد، وها هي الحوادث تمثل امامنا على مسرح هذه الحياة الصاخبة، وتمر منحدرة الى افق اللانهاية، تاركة وراءها آثاراً بادية، يلمسها الاجتماعيون في كل حدث وحادثة. وقد كانت النتيجة وفقاً لما قلناه وحكمنا به. والامثال عديدة بين ايدينا، والعالم اليوم يحفز ويثور، والامم قاطبة تلمس لاحب «١» النجاة، لكي تصل الى بر الامان وشاطئ السلامة.

والامة العربية غدت الآن جسماً واحداً، اذا اشتكى منه عضو واحد، تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر والالم. ألم تر ان السوري تهتز جوانحه لاخيه العراقي، والعراقي يتأثر بتأثر المصري والفلسطيني. وهذان يلتاعان لما يصيب الحجازي واليمني.

اذن لماذا ذلك؟ وعلام الشعور؟ واين ومتى وكيف تكوّن؟

لاجرم ان الرابطة العربية، والشعور العربي، ولغة يعرب التي ينطق بها هؤلاء الاقوام اجمعون، هي التي وحدت فيهم هذا الشعور المستعر السامي، وقادتهم الى سفح واحد؛ يرنون بطرفهم الى قنة ذلك الطود الشامخ، ولولا اتحاد اللسان؛ ووحدة اللغة، لما رأينا من هذا التعاضد شيئاً. واذا كان اقطاب العرب، وسياسيو العربية، يجاهدون من اجل الجامعة العربية الكبرى؛ وفي سبيل الرابطة العظمى، فان وحدة اللغة هي التي ستكون

«١» الطريق الواسعة.

لهم اكبر معين في هذه المهمة الشاقة ، التي ثبت ان اللغة هي اقوى رابطة من روابطها .

ليس للشعور المشتعل بلد ، ولا للامل الخفاق وطن ، بل ان سموّ الاماني مشترك في الشرق والغرب ، وان المآرب السامية تتحد وتتوحد ، ايان كانت عاطفة شريفة ، او غاية نبيلة ، ولذا نرى الامم قاطبة ، في هذا الكون الانساني ، من اقصاه الى اقصاه ، تشترك في اقتطاف ثمار وحدة اللغة ، وتتألب في تكييف ذلك الاتجاه ، الذي يعود على الرهط بوابل الخير وطله؛ لا فرق بين عربية او تركية، ولا بين فارسية ، او اوربية . وها هو الشعب النمساوي الذي يبلغ عدده السبعة ملايين نسمة ، يحن دوماً الى الامة الالمانية ،فوق ما يتمتع به من حضارة واستقلال وسيادة ...

فعمَّ هذا الطلب .. ؟ ولمَ هذا الالحاف ..؟

— ان هناك سبباً واحداً ، فمعظم السكان يتكلمون اللغة الالمانية ويتخاطبون بها ، فهم يتربون ويترعرعون على حب هذه اللغة ، وعلى الاندماج في مطارف الاجتماع الالماني ، فهم يتحدون في الثقافة والروح والشعور ، لذا فاننا نسمع الشيء الكثير عن تحفز النمساويين الى الاندماج في البيئة الالمانية، والاتحاد فيها ،هذا ما اراه العامل الاكبر في رغبة توحيد الامتين ؛ وان كان (الجغرافيون) يرون ان الباعث في ذلك انحلال الامبراطورية النمساوية واستفحال الازمة الاقتصادية فيها .

ليس للألفاظ الدالة على صور ذهنية فى لغة ، ترجمة محكمة فى لغة أخرى ؛ فاللفظ يدل على صورة عند أمة ، وعلى صورة تخالفها عند أمة أخرى .

كوستاف لوبون

اللغة بين الغالب والمغلوب «١»

التاريخ سلسلة حوادث مستمرة ، آخذ بعضها برقاب بعض ، والشعوب انما تقوم على وحدة الذكريات الغابرة ، والتطلع الى اماني المستقبل ، واساس هذا وذاك هو اللغة ، تلك التي تشد بين اواصر الافراد والجماعات ، وتوثق عرى الاخاء والمودة بين اجزاء الشعب . وان الامة التي لا ترنو بطرفها لماضيها ، لا تثق بحاضرها وآتيها ، كما ان لكل فريق ثقافة خاصة تصلح له ، وقد لا تصلح لغيره من الناس .

على ان اعتبار الماضي ، وتعهد الحاضر ، وامل المستقبل ، هذه العوامل الثلاثة ، يجب اخذها بعين الاعتبار ، ليصل المرء الى غايته المنشودة في هذه الحياة ؛ لان النظر الى الماضي ، وما خلفه الاجداد من تراث تليد ، هصرته مواهب الجدود ، ولثمته مكارم الآباء ، فغدا قبساً يشرق في صدور الاحفاد ، وسنداً يلوذون به ، حتى اذا ما حدا حاد ، كان ذلك الارث دعامة يهفون اليه ، ويتخذونه عظة وعبرة ، وقديماً كان يقال : «أن من لا ماضي له ، لا اساس له ، وإنَّ من لا اساس له كالريشة في مهب الرياح ، لا تستقر على حال »

ومن اجل ذلك يسعى الفاتحون ، والامم الغالبة المتسلطة ، في حمل

«١» نشر هذا المقال في عدة جرائد ومجلات عربية : منها جريدة الاتحاد الحلبية الغراء ، في اعدادها الصادرة في شهر حزيران عام ١٩٣٦ ؛ ومجلة الحكمة الدمشقية في عدديها (١٣) و (١٤) من السنة الثامنة ، بتاريخ تموز من عام ١٩٣٦ .

الشعوب الضعيفة المغلوبة على تناسيهم الماضي ، وقطع تلك الذكرى بينهم وبين اسلافهم ، بمختلف الاسباب والوسائل ، واكثر ما تقوم على نشر لغة الغالب ، وقبر لغة المغلوب او اهمالها .

***

فالغالب الفاتح لاتكاد قدمه تطأ ارض المغلوب على امره ، حتى يرسل رسله مبشرين ومنذرين بلغته ولسانه ، لكي ينتشر ويعم ، معتمداً على الاسباب التي توصله الى امله .

هو يدأب بكل ما لديه من حول وقوة ، لكي يقطع صلة المغلوب المنكسر بسلفه وغابره ، وينسيه تلك الذكرى المنبعثة من وميض ماضيه ، ويقطع ذلك الآصر ، الذي بفقده يغدو دخيلاً غريباً في بلاده ، وينشأ نشأة يريدها له عدوه وقاهره ، فيبقيه بلا امل يخفق له جانحه ، وبدون ضمير يتأثر لفقدان حريته ، وعزة وطنه ، وثروة اجداده . ولما كان محور هذا وذاك هو اللسان ، الذي ينقل للخلف شمائل السلف واخلاقهم ، ونفوسهم وذكرياتهم ، واخبارهم ، وما اشتملوا عليه من قوة وشكيمة ، وعزة وفضيلة ، وعظمة وفخار ، وهمة ونشاط ، وانتصار وغلبة ، وحضارة وثقافة ، وتقدم ورقي ، وعادات صالحة ملائمة مجيدة — يعمد القوي الغالب الى طمس معالم لغة الضعيف المغلوب ، واهمالها وتلاشيها ، لكي يكونهم تكويناً ، يتخذهم به خولاً وعبيداً ، فينسون كل شيء ، الا الاخلاص

لغالبهم ، ويجهلون كل امر ، الا التفاني في خدمة قاهرهم ، مما يجعله عندهم سيداً جحجاحاً ، يرتع فى مهايع السعادة ، ويعيس في بحابح الهناء.

اي ان الفاتح يسعى ليهيمن على مرافق حياة المقهور جمعاء، ويتصرف في بلاده كما يشاء له هواه، وكما يريد له جشعه ونهمه وحرصه، ولا وسيلة له في ذلك الا بإماتة ضمير المغلوب ، وقبر شعوره !! وهذا لا يكون الا بانتشار لغة الغالب ، واندحار لغة المغلوب ، وهو ما يسعى اليه الفاتحون المتغلبون .

***

والآن الاحق لنا ان نتساءل عما اشتملت عليه اللغة من قوة ، تفرعت منها مقومات امة بنت عليها صرح حياتها الاستقلالية ! وكيف انها كانت زهرة فواحة ، تنشر عبيقها الزكي ، لتبدد نتن ما اسن من متع الحياة وبنودها ، التي اضاءت جوانح الامة فى كل امل ترغب فيه .

***

ان للغة وجوداً خاصاً ، متحداً مع الجماعة ، ومستقلاً عن الفرد ، وهذا الوجود نشأ قبل الفرد ، وسوف يظل بعده ، وقد قضي ناموس هذا الكون ، ان كل ما نتج عن الجماعة ، فرض على المجموع فرضاً ، وكان ذا اتصال وثيق في شئون المجموع ، يحس به الفرد ، باعتباره جزءاً مكملاً للحياة الاجتماعية العامة التي يعرب عنها في كافة صورها

واحساساتها ، واتجاه ميولها ورغائبها ، ومن اجل هذا تتحد شعور ابناء اللغة ، ويتوحد احساسهم ، وتتلاءم عواطفهم وافكارهم ، حتى تكاد عقلية المجموع ان تحل في مستوى واحد ، ويوشك ان يكون تصور الشيء والاحساس به واحداً ايضاً،وهذا كله منبعث عن وحدة اللغة واتحادها، ومن هنا حكم الاجتماعيون : بان اللغة مرآة ينعكس فيها تاريخ الامم وروحهن ، وذوقهن ، وطرق تفكيرهن ، ولشدة الارتباط بين اللغة واساليب التفكير ، رأي المؤرخون ان اكتناه كنه اللغة مفتاح لمعرفة اساليب تفكير القوم .

* * *

وبناء على هذه النتيجة فقد رفرفت روح الالفة فوق من يتكلمون بلغة واحدة ، ونمت عوامل التآخي والتحابب بينهم . لان مجرى التفكير واحد كما قلنا ، فهم لا يشعرون بوحشة ولا نفور ، بل ان المرء عندما يدرس لغة غريبة ، تبدأ روح المحبة تدنو منه نحو تلك الامة ، التي يتعلم لغتها ، حتى اذا ما اجادها ، وفقه آدابها ، من نظم ونثر ، طفق يفكر مثل تفكيرها ، ويشعر نظير شعورها ، كأنه فرد من ابنائها ؛ يحس ويستسيغ — من حيث لا يحتسب — ما يحس ذاك ويستسيغه من كافة مناحي الحياة ومرافقها ؛ فيرد منهل ثقافتها ، ويستقي من حوض معينها ، ويكتسب من حضارة اهليها واخلاقهم ، ويشعر بالميل اليهم وتقليدهم .

وهذا ما حدا بالشعوب الحية وحكوماتها ، ان تسعى وتدأب في سبيل نشر لغاتها خارج بلادها ؛ طمعاً في محبة الغير ومودته ؛ ومن اجل هذه البغية ،يسعى المستعمرون ، والغالبون الفاتحون، في محو لغات الامم المغلوبة على امرها ، بشتى الاسباب والوسائل ، حيناً بالوعد ، وآخر بالوعيد ، وطوراً بالاكراه ، وآخر بالترغيب ،وبذا تضعف لغة المغلوب؛ او تندرس ، فينسى نفسه ، ويجهل شخصيته ، بنسيانه وجهله ذكريات قومه التاريخية، التي تعرب عنها كلمات اللغة والفاظها وفقراتها . وعلى هذا نسجت الامم القوية في الغابر والحاضر ، وعملت من اجله . وها هو التاريخ يحدثنا ان الدولة الاموية ، عمدت لنشر اللغة العربية في الاصقاع المصرية ، فاشترطت على من يريد ان يتقلد وظيفة في الدولة، وجوب المامه باللغة العربية ، وها هي الدول الاوروبية تحذو حذوها اليوم ، وتحتم في كل محل تهيمن فيه ،ان يكون الموظفون او طالبو الوظائف ملمين بلغاتها ، ان انكلترا فانكليزية ،وان فرنسا ففرنسية .

ويخبرنا التاريخ ان ملك الأندلس هشام بن عبد الرحمن الداخل ، حظر على ابناء بلاد الأندلس ان يتكلموا بغير العربية ، واباح لهم الكتابة بلغتهم اللاتينية ، لكي تصبح العربية اللغة العامة السائدة .

اللسان يسبق العقل في كثير من الناس ، أولئك انما يعرفون ما يجول بخواطرهم ، بعد أن يسمعوا ما يقولون .

« كوستاف لوبون »

اضمحلال العربية في العهد التركي «١»

... انا لا اريد ان احيل القارئ الى مثال بعيد عنه ، في استبداد الغالب وغشمه ، ولا اود ان اجهد له فكره ورويته في محوه لغة المغلوب ، كما انني لا احب ان يكون تحليلي الذي اقدمه بين يديه مشوهاً ابتر ، يلفحه هجير الاضطراب ، دون ان ينفذ الواقع اليه . وعلام العنت والشدة؟ ولمَ الهمس والطمس ؟ والعهد التركي لا يزال شاخصاً الينا في زاويته ، وما برح الشعب العربي يتردى في جحيم ارزائه وآلامه ، ويتلوى من ذلك الاثر السيء ، الذي تركه حكم العثمانيين في لغتنا العربية ، حتى كادت ان تموت وتقبر .

اي عهد آلم مما قاسته العربية زمن حكومة الاتراك ، حتى اوشك المبضع التركي ان يستنزف آخر قطرة من دم العروبة ؟ اي زمن اقسى من عصر تلاشت فيه اللغة العربية — الا من بضع مدارس دينية — واضمحلت منه لغة قريش ؟ ولم تبق الدولة ادنى صفة حكومية (رسمية) ، ترغّب الناس في دراستها وتعلمها .

لقد فرض رجال الاتراك الاقحاح ، وذوو الحل والعقد ارادتهم على

«١» نشر هذا المقال في جريدة الدستور الغراء ، عدد (٣٨٢) بتاريخ ٢٨ حزيران عام ١٩٣٦ .

كافة الشعوب العربية، في وجوب الانخراط في المستوى التركي، وخصصوا لذلك انواع الترغيب والترهيب ، لا سيما ولغة الترك لغة القوة والصولجان ، ولسان العزة والسلطان : فالمدارس لا يدرس فيها الا اللغة التركية ، والوظائف على اختلاف انواعها من ادارية وملكية وعسكرية ، لا تناط الا بمن يحسن ويجيد اللغة التركية ، والوجاهة لا تدنو الا ممن يستطيع الاعراب عما تختلج به الجوانح في اللغة التركية ، والزعامة والهيمنة لا ينالهما الا من اندمج في البيئة التركية ، اندماجاً ينسيه قوميته العربية ، والرعية التي كانت تنضوي تحت لواء الامبراطورية العثمانية ، والتي كان عددها يقارب الثمانين «١» مليوناً من البشر ، لا تعلم لها لغة سوى التركية ، ولا تروم الا تعلمها ، حتى بلغ من هيمنتها وتطاولها على العربية ، ان صار النحو العربي يدرّس بها .

* * *

يا للهول ! بل يا للفظاعة والغرابة !! حكومة اسلامية ، وشعب اسلامي ، وامبراطورية دينها المعتبر الاسلام ؛ وامة دخيلة على العروبة ،

«١» العدد اما مفرد ، او مركب ، او معطوف . فاذا كان مفرداً ، جاز ادخال (آل) على العدد وحده ، او على مميزه وحده او عليهما معاً . نحو : الثمانين مليوناً ، او ثمانين المليون ، او الثمانين المليون . واذا كان مركباً وجب ادخال (آل) على الجزء الاول فقط . نحو : الاربعة عشر كتاباً . واذا كان معطوفاً وجب ادخالها على الجزأين معاً . نحو الاربع والخمسين دولة .

غريبة عن العرب ، تحكم الطوائف العربية مع شعوبها جمعاء ، ثم هي تضن عليهم بتركهم احراراً يتعلمون لغتهم ، ويتلقون مبادئها وعلومها وفنونها ، بل هي تسعى ان تسلخهم عن قوميتهم العربية ، وتضع بينهم وبين ماضيهم صخرة صلداء ملساء ، لا يتبينون ما وراءها ابداً ، ما اصدقك يا الهي ! قتل الانسان ما اكفره !؟ أالستاذ يود ان يلقي محاضرته على تلاميذه في اصول العربية وبنودها ، في بديانها وقواعدها ، فاذا هو يحدث القوم بلغة غريبة عن اسس محاضرته ، فهو لا يقول لهم (الفاعل مرفوع) بل يحدثهم بلغة الفاتحين القاهرين ، بلغة المستعمرين الظالمين ، فيقول لهم: (فاعل مرفوعدر) !!!؟ وهل افظع من هذا الارهاب اللغوي ، الذي يحتم محو العربية ، ويقضي بسيادة التركية سيادة مطلقة !!!؟ وليس ثمة غاية او إرب ، سوى استتراك العرب ، واندماجهم في السواد التركي ولذا كان العلم في البلدان العربية قاحلاً ، والمعارف جدباء ، اتى الجهل على «١» سُبَدِها ولُبَدِها ، حتى كانت نسبة المتعلمين في الاصقاع العربية ضئيلة جداً ، لا تجاوز العشرة في الالف .

واخال ان شيوخ هذه البلاد يذكرون جيداً ، كيف ان المرء اذا جاءه تحرير او الوكة ، كان يفتش الحارة والحارتين ، والحي والحيين ،

«١» يقال : لدى له سبد ولا لبد «بضم السين واللام» «وضم وفتح الباءين» اي لا قليل ولا كثير .

والقرية والقريتين ، بل الناحية والناحيتين ، فلا يجد من يحسن قراءة تحريره العربي ، واذا وجد فهو جهبذ دهره وعلامة عصره ، وهل تظن ان في التحرير قطعة من انشاء الجاحظ ، او فصلاً من بيان ابي«١»العلاء ؟؟ كلا ، فانما هو صورة آسنة مكررة ، يستظهرها معظم الناس وجمهرتهم .

«١» ابو العلاء المعري — ٣٦٣—٤٤٩هـ. ان مد لفظ العلاء ، كانت العين مفتوحة، وان قصر ضمت العين. وهو احمد بن عبدالله بن سليمان التنوخي ، ولد بمعرة النعمان ، فلما بلغ الرابعة من عمره ، اصيب بالجدري «بضم الجيم وفتح الدال» فذهب بيسرى عينيه ، وابيضت اليمنى ، فنشأ ضريراً ، لا يعرف من الالوان الا الحمرة ، اذ انهم البسوه ثوباً معصفراً وهو مريض ، فكان هذا اللون اول ما عرف ، وآخر ما رأى .

ثم في سنة ٣٩٢ غادر المعرة الى بعض بلاد الشام ، فزار مكتبة طرابلس ، وعرج على اللاذقية ، وكان بها دير للرهبان ، فنزل به واقام بين اهله ، حتى درس العهدين القديم والحديث .

ثم عزم على السفر الى بغداد ، ليدرس الحكمة اليونانية ، والفلسفة الهندية ، وما احس البغادذة بقدمه حتى حفوا لاكرامه والترحاب به ، وفي بغداد فوجئ بنعي امه ، وكان والده توفي قبلها ، فوجد عليهما ، واضطربت حياته ايما اضطراب ، وتغيرت اطواره ، واعوزه المشفق والنصير ، فنظر الى العالم نظر قرف واشمئزاز ، وقرر في نفسه العزلة والخروج عن الدنيا ، ولازم منزله ، وسمى نفسه رهين المحبسين : العمى والمنزل.

ولقد عاد ابو العلاء الى المعرة عام (٤٠٠) هـ وظل عاكفاً على التعليم والتأليف ، لا يأكل الحيوان ولا ما ينتج منه ، قانعاً من الطعام بالعدس والحلوى والتين ، ومن المال بثلاثين ديناراً موقوفة عليه في كل عام ، وحرّم على نفسه الزواج ، ضناً بنسله على لؤم الناس وشقاء الحياة ، واوصى ان يكتب على قبره :

هذا ما جناه ابي علي وما جنيت على احد

اما مؤلفاته فهي سقط الزند واللزوميات ، والدرعيات ، وديوان رسائله ، ورسالة الملائكة ، ورسالة الغفران ، وتشبه المضحكة الالهية La Dévine comédie لدانتي

هذه هي حال اللغة العربية ، زمن الدولة التركية التي ظلت تحكم هذه البلاد احقاباً عديدة ، ولولا فئة صالحة من علماء الدين جافظوا على العربية بقدر ما استطاعوا الى ذلك سبيلاً ، ولولا هؤلاء الذين عرفوا صحيح اللغة من بهرجها ، واصيلها من هجينها ، فدرسوا انواع العلوم : من بيان ، ومنطق ، ونحو ، وفقه ، وحديث ، وتفسير ، وغير ذلك باللسان العربي المبين ، وباللغة القرشية الفصحى .

اجل ، لولا هؤلاء الاشاوس الامجاد ، ولولا حرص بعض رجال لبنان الكرام على هذه اللغة المجيدة ، ابان ذلك الاعصار التركي الثائر ، لرثينا لغتنا اليوم ، ولأقمنا لها مأتماً تنتجع فيه آخر قبس من نورها .

* * *

وبعد فان رجال الحكم التركي في ذلك العصر البائد ، وذوي الابرام والنقض منهم ، كانوا يسعون الى قطع الصلة بين حاضر الامة العربية وبين ماضيها وتاريخها اللامع ؛ ولكن العناية الالهية شاءت ان تكون العربية كزرع اخرج شطأه والتوى على سوقه ، يعجب الزراع .

Dante ، والفردوس المفقود Le Paradis Perdu لملتن Milton .

وله كتاب سماه «الايك والغصون» يقع في مائة وبضع عشر مجلداً ، وهو دائرة معارف كبرى ، ولكنه فقد ، ولم يبق منه سوى مجلد (٩٤) و(٩٧) ، وكلاهما في مكاتب اوروبا . كما ان له غير الايك والغصون فقدت ايضاً . مثل : شرح ديوان المتنبي ، وشرح ديوان ابي تمام ، وشرح ديوان البحتري ، وعبث الوليد ، ذكرى حبيب ومن شعره :

عجبي للطبيب يلحد في الخا ... لق من بعد درسه التشريحا

رب روح كطائر القفص المسـ ... ـجون ترجو بموتها التسريحا

أهمية المسميات في السياسة ، دون
أهمية الأسماء ، فكم نفذت نظريات
من الخرق بمكان ، في ظل ألفاظ
حسنة الانتقاء .

كوستاف لوبون

أثر اللغة في النفس «١»

قام شيخ ايطالي يحض فتى على تعلم لغة بلاده اللاتينية بقوله :

ان هذه اللغة الشريفة — يا بني — قد انستني آثارها الفريدة آلامي وشجوني في معظم الاوقات ، كنت اتغدى ؛ وما غدائي الا صفحة من « تاسيت » ، واتعشى وما عشائي الا اهجية من « جوفنال » . فاحرص عليها بقدر ما تحرص على اثمن شيء لديك ، واعلم انها هي التي ستعيد لنا حضارة وعظمة روما القديمة .

☆ ☆ ☆

ويحدثنا العلامة الفرنسي اناتول فرانس Anatole France عما يجد في نفسه من أثر اللغة بقوله :

اني احب معاجم اللغة ، وانا لا احبها لمجرد فائدتها العظيمة ، ولكنني احبها ، لانها تحتوي على شيء جميل فخم . انظر معجم « غازيه » او الى غيره من المعاجم ، وتصور كأنك ترى روح وطننا كله في هذا المعجم . ليتصور ذهنك ان في هذه الصفحات التي يبلغ عددها الف صفحة ؛ عبقرية فرنسا وطبيعتها . ليتصور ذهنك ان فيها افكارنا وافكار اجدادنا ، وافراحنا

«١» نشر هذا المقال في جريدتي الاتحاد الحلبية الغراء ، عدد (٦٤٣) بتاريخ ٦ تموز عام ٩٣٦ ، والدستور الغراء ٣٢٧ المؤرخ في ٥ تموز عام ١٩٣٦ .

وافراحهم ، واعمالنا واعمالهم ، وآلامنا وآلامهم . ليخطر ببالك ان في هذا المعجم آثار الحياة العامة ،وحياة الدور والمنازل ، آثار الذين استنشقوا الهواء الصالح ، وشموا النسيم العليل الذي نشمه اليوم.ليخطر ببالك ان كل كلمة من كلمات المعجم، يقابلها فكر من الافكار ، كان فكر طائفة من البشر لا يعلم عددهم ، وعاطفة من العواطف كانت عاطفة جمهور من الناس لا يحصى مقدارهم . ليهجس في صدرك ان كل هذه الكلمات المجموعة ، انما هي لحم الوطن والبشر ودمها وروحها .

ما احلى هذا القول ! وما اوقعه في النفس !! صحيح ان كل كلمة من كلمات اللغة هي لحم الوطن ، ودم الاجداد ، وروح الاحفاد ، يتألف منها مجموع ،شاء البيان البشري ان يسميه لغة .

***

نعم ان روح الوطن لتتغلغل في ثنايا اللغة وسطورها ، وتتجلى للمرء في قراءتها ومعرفتها ، وان القارئ ليعي في معجم يدرسه ، اوسفر لغة يقرؤه ، افكار الآباء والاجداد ، واعمالهم واحوالهم العامة ،ونظم عيشهم وعمرانهم ، حتى تطل عليه من افق الحقيقة ، حال اولئك الغابرين التي يتشكل من مجموعها نظام الوطن وحياة اهليه .

هذه هي الصلة التي تربط الامة بماضيها ، وهي وميض السلف الذي يستضيء به الخلف ، وتهفو اليه نفسه ، ويعتز به جنانه ، وتؤثر عليه اثراً

كبيراً ، وكيف لا يكون للغة هذا الأثر ؟ وهي مرآة يتراءى فيها تاريخ الامة الغابر ، وتصور لنا مكانة ما كانوا عليه ؛ في شتى العلوم والفنون ، من صناعة وزراعة وتجارة ، وطب وهندسة وموسيقى ، ورسم وتشريح وغير ذلك ، حتى غدا أثر كل اديب ، او شاعر ، او عالم ؛ بل بيت من شاعر ، وفقرة من اديب ؛ بل كلمة من معجم ، تعرب عن المرفق الذي وجدت فيه ، وتفصح عما كان عليه اولئك الاجداد من طبائع واخلاق ، وتقاليد وعادات ، بحيث تنفذ الى باطن ما اعتادوه افراداً وجماعات ، ناهيك عما نشاهده من بطولة الافذاذ ، الذين قادوا بلادهم الى مفاوز العلم والمجد والاعتلاء . هذا ... وان الامثال امامنا عديدة ، وكل تليد او طريف يلفت نظرنا اليه .

خذ العنوانين الآتيين : « الحاجة الى النبض » و « تركيب الادوية » واعرف انهما اسمان لكتابين في الطب ، الفهما الحكيم (جالينوس) ونقلهما الى العربية (حبيس الأعسم) ، وهما من جملة الكتب الطبية التي ترجمت الى العربية . أنعم النظر في ذينك العنوانين ، وارجع البصر فيهما ، حتى اذا ما تجلى لك فحواهما ، والى اية ناحية يرميان ، ادركت جيداً عناية الامة العربية بالطب ، وحرصها على السير في المنهج الملائم لمستواها الحي ، وصح ما رواه لنا التاريخ من ان بعض اجدادنا الكرام احصى اطباء بغداد ، في زمن الخليفة المقتدر بالله ، في اوائل القرن الرابع للهجرة

فبلغ عددهم (٨٦٠) طبيباً ، امتحنوا لنيل الاذن في التطبيب ، سوى من استغني عن الفحص لشهرته ، وسوى من كان في خدمة الخليفة ، او في خدمة احد رجال الدولة العظام ، حتى قدر المجموع بالف طبيب متعاصرين في مدينة واحدة .

(١٠٠٠) طبيب ينضوون تحت سماء بلد شرقي اسلامي واحد ، ويحتشدون في تلك البقعة المباركة من الارض ، ليدل دلالة بينة على مبلغ الرقي الذي وصلت اليه هاتيك الدولة ، وعلى الحضارة التي شادها اولئك الاقوام ، ويبرهن على ما كان عليه رهطنا الاول من سلطان دكت امام عظمته صروح الاكاسرة ، وعزة تضاءل امامها جبروت القياصرة ، ومدنية شملت امم العالم جمعاء ، واستقى منها كافة شعوب الارض .

أرأيت يا صاح كيف ان هاتين الكلمتين ، او ذينك العنوانين ، هديانا الى كل ما تقدم ، واوصلانا الى محط القوم والعشيرة ، وهذا هو الأثر الذي يخلق في روع الابناء ، عظمة الآباء ، وهي تجلى بكلمتين لغويتين ، وجدناهما في معجم من معاجم اللغة .

هذا واذا كانت اللغة عنوان الماضي ومرآة الحاضر ، وقبس المستقبل ، فكم يجدر بالامة ان تبذل ما لديها من حول وطول ، في انعاشها وازدهارها وانتشارها والمحافظة عليها ، وليعلم كل منا ان اللغة هي احد الاسس التي يبني الشعب عليها مجده وسؤدده ، وان الامة التي تقطع الصلة بينها وبين

ماضيها تنقاد الى العبودية العقلية التي لا يمكن دواؤها ولا يرجى شفاؤها مهما بذل من نطس الاطباء .

* * *

سأل الشيخ ابو علي الفارسي مؤلف الايضاح والتكملة ابا الطيب«١» المتنبي : كم لنا من الجموع على وزن فِعْلى ؟ فاجابه المتنبي في الحال حِجلى

«١» ٣٠٣ — ٣٥٤هـ هو احمد بن الحسين ، المكني بابي الطيب ، الملقب بالمتنبي ، ولد من ابوين فقيرين . كان ابوه سقا بالكوفة ، ثم سافر به وهو صغير الى الشام ، متنقلاً من البادية الى الحاضرة ، يسلمه الى المكاتب ، ويردده في القبائل . قال ابن خلكان في الجزء الاول ، صحيفة (٣٦) من تاريخه : واشتغل المتنبي بفنون الادب ، ومهر فيها ، وكان من المكثرين من نقل اللغة ، والمطلعين على غريبها وحوشيها ، ولا يسأل عن شيء الا واستشهد فيه بكلام العرب ، من النظم والنثر ، حتى قيل : ان الشيخ ابا علي الفارسي ، قال له يوماً .. الخ .

وحجلي « بكسر الحاء وسكون الجيم » مفرده حجل ، وهو طائر معروف ، ويسمى ايضاً (القبج) . وظربى مفرده ظربان وهو دويبة منتنة الرائحة .

ثم اتصل بسيف الدولة وامتدحه ثم بكافور الاخشيدي عام ٣٤٦ ومدحه بغية ان ينال الامارة عنده ، غير ان كافوراً خانه ، فزوى وجهه عنه ، وعندئذ هجاه وترك مصر وقصد بغداد ، ولم يمدح فيها احداً ، لانه كان يترفع عن مدح غير الملوك . ثم يمم نحو شيراز ليتصل بعضد الدولة ، وقام هذا يسبغ عليه نعمه ، ويوصله بآلاف الليرات ، غير انه لم يثق به ، لذا دس عليه من يسأله : اين هذا العطاء من عطاء سيف الدولة ؟ فاجابه : هذا اجزل الا انه متكلف ، وسيف الدولة كان يعطي طبعاً ، فغضب عضد الدولة من ذلك ، وارسل اليه فاتكاً الاسدي في قوم من بني ضبة ، فقتلوه عام ٣٥٤ . ومن قوله :

رماني الدهر بالارزاء حتى	فؤادي في غشاء من نبال
فصرت اذا اصابتني سهام	تكسرت النصال على النصال
وهان فما ابالي بالرزايا	لاني ما انتفعت بأن ابالي

وظربى . قال الشيخ ابو علي : فطالعت كتب اللغة ثلاث ليال ، علي اجد لهذين الجمعين ثالثاً ،فلم اجد .

***

سأل الشاعر الفرنسي (بودلير) الروائي الفرنسي النقاد (غوتيه) : هل تقرأ معجمات اللغة ؟ فاجابه اني اقرؤها ،وابتهج بقراءتها ، وواجب على كل شاعر او اديب ،ان يقرأ مفردات اللغة وتفاسيرها ، لتكون كنزاً له في ادبه .



إن كان الوحي ينزل على احد
بعد الانبياء ، فعلى بلغاء الكتاب

عبد الحميد الكاتب

اللغة العربية «١»

قالت الوقت الغراء : هذا فصل من كتاب سيصدره الاستاذ الكرماني عما قريب ، تحت عنوان (اللغة والتجدد) وهو يحلل فيه كيان اللغة وعواملها ودراستها ، وما لها من اثر بين في نيل الامة امانيها القومية . والاستاذ الكرماني اذا كتب، وفي الموضوع حقه باسلوب شيق ، وتحليل طريف ، وآراء جديدة ، بموهبة ومقدرة كبيرتين . فالوقت تنشر هذا الفصل شاكرة للاستاذ جهوده .

يقول الاستاذ الالماني (فريتاغ) في مقدمة معجمه الكبير في اللاتينية والعربية :

ليست لغة العرب اغنى لغات العالم فحسب ؛ بل ان الذين نبغوا بها في التأليف، لا يكاد يأتي عليهم العد. وان اختلافنا عنهم في الزمن والسجايا والاخلاق ، اقام بيننا — نحن الغرباء عن العربية — وبين ما الفوه فيها حجاباً لا نتبين ما وراءه الا بصعوبة .

***

ويقول ابن كلدة الثقفي :

ان للعرب انفساً سخية ، وقلوباً جرية ، وعقولاً صحية ، واحساباً نقية . فيمرق الكلام من افواههم مروق السهم من الوتر ، الين من الماء،

«١» نشرت هذه الكلمة في جريدة الوقت الغراء في عدد (١١٠٤) المؤرخ ٧ حزيران سنة ١٩٣٦ و (١١٢١) المؤرخ ٧ تموز ١٩٣٦ .

واعذب من الهواء .

***

وقال ابو الحسن : اسرع الناس جواباً عند البديهة قريش ، ثم بقية العرب .

***

واللغة العربية هي احدى اللغات السامية ، انبعثت هي وهن من ارومة ،ما برحت سراً في ضمير الغيب . ولسنا نود في هذه العجالة ان نأتي على ادوار هذه اللغة الحية المجيدة واطوارها ، ولا نرغب في ان نحلل عوامل النشوء التي ارتقت اليها ، وبواعث الهيمنة التي اطلت عليها من افق التاريخ ، انما نريد ان نقول : ان اللغة العربية التي تمثل الامة العربية بروحها وفكرها، واحلامها ومشاعرها، والتي اصبحت ارثاًشائعاً، يتلقف كل عربي منه نصيبه ، دون تفريق في المذاهب ، ولا تمييز في الاديان . هذه اللغة هي التي يستمد منها العربي وحيه وخاطره ، وبها يشيد صرح امانيه المشمخر في سبيل العروبة ومن اجل العرب .

ذلك لانها لغة ذلك الملك الوارف ، والعمران الدائم ، والسلطان القائم ، لغة ذلك القانون السماوي ، الذي ضرب بجناحي عدله فى اجواء المعمور ، من الدنيا القديمة، يوم ان بزغت شمس العروبة النيرة فى اقطارها، فنصبت فيها اعلام الهداية ورفرفت فوقها الوية الحضارة ، وضَمَّت الى

منهلها العذب شعوباً تخالفت طبائع واخلاقاً وصفات ، وجمعت امماً تباينت منشأ ونجاراً، ولكنهم غدوا باسلامهم وبفضل الثقافة العربية، وبنعمة الله اخوانا، انتقلوا بثقافتها من رعاية الغنم ، الى سياسة الامم ، ومن بسابس البداوة، الى قصور الحضارة. فحولوا وجهة التاريخ اليهم، ووضعوا اقدامهم في تاريخ الانسانية وشادوا لهم ملكاً وسلطاناً . نهضت بهم لغتهم ، واعربت ايما اعراب عما اقتضاه عمرانهم وسلطانهم ، ووسعت هذه اللغة الحية كل ما تطلبته حضارتهم من اسماء وكلمات ، ووفت بما جدّ لديهم من مسميات ومصطلحات، حتى برهنوا على ما انتهت اليه ثقافتهم من مبتكرات ومبتدعات.

انا البحر في احشائه الدر كامن ✲ فهل سألوا الغواص عن صدفاتي

اجل ان العربية لم يزلزل لها ركن ، ولا زعزع منها جانب ؛ رغم ما لاقته من حضارات مختلفة ، ومدنيات متعاقبة اذ ،انها لامست ثلاث مدنيات ،وصمدت لهن، وعادت صحيحة سالمة ، دون ان يهشم منها جانب او جزء . لامست في صدر الاسلام حضارة اليونان والرومان ، واخذت من هاتين الامتين مختلف العلوم والعرفان ، فلم تُغلَب ، ثم احتكت بالمدنية اللاتينية ،بعد ان اجتاز العرب مضيق جبل طارق فلم تُقهر ، ثم جابهت المدنية الاوروبية الحاضرة ، منذ القرن التاسع عشر فلم تمت ، وكانت في كل هذه الادوار قوية حية خالدة .

ان لغة لها هذا التاريخ المجيد ، المملوء بالمفاخر والمكرمات ، تقوي

على الدهر، ولا يقوى الدهر عليها - لهي لغة سامية تستحق الخلود والاكبار والعناية والاعتبار، وان لغة هذا سموّها، وذاك سؤددها، سوف يكون مستقبلها زاهياً زاهراً وضاء، مهما تغيرت الظروف، او تبدلت الاحوال .

***

يقول الاستاذ المؤرخ رينان Renan :

« من اغرب ما وقع في تاريخ البشر، وصعب اظهاره حقيقته، انتشار اللغة العربية، فقد كانت هذه اللغة غير معروفة بادئ بدء، ثم بدت فجأة غاية في الكمال، سلسلة غنية واي غنى؟ كاملة بحيث انها من ذلك العهد الى يومنا هذا، لم يدخل عليها اقل تعديل مهم، فليس لها طفولة ولا شيخوخة؛ ظهرت لاول امرها تامة، ولا ادري هل وقع مثل ذلك للغة من لغات الارض، دون ان تدخل في اطوار مختلفة » .

***

... ويحدثنا العلامة المستشرق السيد (سافاري) «١» عن اللغة العربية بقوله :

«١» هو الرحالة الفرنسي الذي زار مصر عام (١٧٧٦) م، ومكث فيها ثلاث سنوات، درس في غضونها الشريعة الاسلامية الغراء دراسة وافية دقيقة، ثم الف كتاباً في حياة النبي «صلعم»، وما كان له من الاثر البين في تحويل وجهة التاريخ اليه، وقد اقتطفت منه هذه الفقرات .

توفي السيد سافارى سنة (١٨٨٨) وعمره (٣٨) حولاً .

كان محمد(ص)واقفاً على اسرار بلاغة لغته، تلك اللغة التي هي اغزر مادة، والذ في السمع من جميع لغات الارض. تلك اللغة التي بواسطة تأليف مقاطعها، يمكنها ان تتابع الفكر مهما حدّق في جوّ الخيال، فتصوره اكمل تصوير. تلك اللغة التي بواسطة تناسب نغماتها، تسمعك تارةً زئير الاسود، وطوراً هدير الامواج، ومرة قصف الرعود، واحياناً هبوب النسمات. تلك اللغة التي وجدت منذ ان خلق الله البشر، والتي هذبها وحسّن ديباجتها الكثير من شعراء الجاهلية. بهذه اللغة كان يخطب محمد قومه فكان يعطي حكمه جميع ضروب التأثير السحري ... الخ.

***

ويروي لنا التاريخ عن ضياء الدين «١» بن الاثير في كتابه المثل السائر ما يلي:

حضر عندي في بعض الايام رجل من اليهود، وكنت اذ ذاك بالديار المصرية، وكان لليهود في هذا الرجل اعتقاد، لمكان علمه في دينهم وغيره، وكان لعمري كذلك. فجرى ذكر اللغات، وان اللغة العربية سيدة اللغات، وانها اشرفهن مكاناً واحسنهن وضعاً. فقال الرجل: كيف لا تكون كذلك ؟ وقد جاءت آخراً، فنفت القبيح من اللغات قبلها،

١) قال ابن خلكان: ولضياء الدين من التصانيف الدالة على غزارة فضله، وتحقيق نبله، كتابه الذي سماه المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر، وهو في مجلدين: جمع فيه فاوعى، ولم يترك شيئاً الا ذكره.

واخذت الحسن ، ثم ان واضعها تصرف في جميع اللغات السالفة، فاختصر ما اختصر ، وخفّف ما خفف ، فمن ذلك اسم الجمل فانه عندنا في اللسان العبراني (كوميل) ممالاً على وزن فوعيل ، فجاء واضع اللغة العربية ، وحذف منها الثقيل المستبشع ، وقال (جمل) فصار خفيفاً حسناً ، وكذلك فعل في كذا وكذا ، وذكر اشياء كثيرة ، ولقد صدق في الذي ذكره ، وهو كلام عالم به .

***

يا للعروبة ! شهادات تنبئ بسموّ لغة العرب ، وعلوّ تبيانها ، وتعرب عما يتغلغل في سطورها ، من عناصر الكمال التي تجعلها في مصاف اللغات الحية ، حتى اضحى قميناً بها ان تكون رمزاً لارتقاء الخيال ، وعنواناً للبديع الفائق ، وعلماً يأتم بها العلماء .

***

على اني اجحد ما ذهب اليه المؤرخ رينان : من كونها ليس لها طفولة ، وانكر مازعمه من انها بدت فجأة في الكمال ، اذ ان هذا يتنافى وقواعد العلم الثابتة ، ويخالف ما قرره مؤرخو العلوم الطبيعية ، ويستعصي على مذهب النشوء والارتقاء ، كما انه ليس من العقل في شيء ان يتكوّن امر تكويناً كاملاً ، دون ان يكون له بداية وطفولة ، فلقد حدثنا الامام

السيوطي «١» في كتابه المزهر عن نشأة اللغات بقوله :

« اصل اللغات كلها ، انما هو من الاصوات المسموعات : كدوي الريح ، وحنين الرعد ، وخرير الماء ، ونعيق الغراب ، وصهيل الفرس ، ونزيب الظبي ، ونحو ذلك ، ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد » .

ومهما يكن من شيء ، فان للغة العربية طفولة ، لا زال التاريخ يجهلها ، واو "لا" ولكن لا نعرف عنه شيئاً ، وذلك لبعده عنا ، وخفاء رسومه علينا ، والا فهل من العلم في شيء ، ان تكون اللغة الجاهلية نشأت كاملة على الصورة التي يرويها التاريخ ، وتحدثنا بها اسفار الادب ، دون ان يعمل عامل النشوء والارتقاء عمله ، واذا كان الامر كما يزعم رينان ، فماذا يبقى لاسواق الجاهلية من أثر ؟ وكيف كانت لغة قريش افصح القبائل جمعاء .

«١» هو الامام العلامة العربي الكبير ، عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي ، الملقب بجلال الدين ، شيخ علماء القرن العاشرة للهجرة ، وصاحب مئات المؤلفات ، حتى قال ابن اياس في تاريخه (ج ٣ ص ٦٣) : ان مؤلفات السيوطي بلغت (٦٠٠) مؤلف ، في مختلف العلوم والفنون . كان عالماً جليلاً محترماً لدى العامة والخاصة ، وقد روى كثير من معاصريه : ان السلطان الغوري ارسل اليه مرة خصياً والف دينار ، فرد الدنانير ، واخذ الخصي ، فاعتقه وجعله خادماً في الحجرة النبوية ، وقال لقاصد السلطان : لا تعد تأتينا بهدية ، فان الله اغنانا عن مثل ذلك .

***

توفي عام (٩١١) هـ بعد ان ترك الافتاء والتدريس . والسيوطي نسبة الى (سيوط او اسيوط) ، بتثليث اول كل منهما ، وهي مدينة بالصعيد .

قال ابو نصر «١» الفارابي في اول كتابه المسمي بالالفاظ :

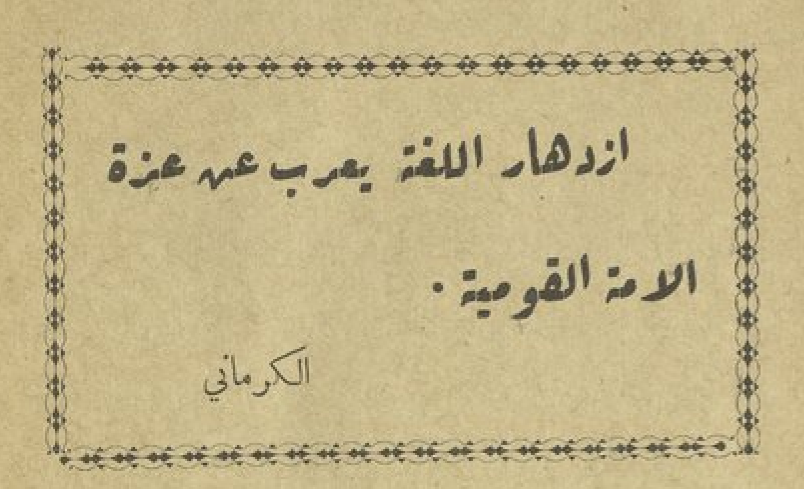
كانت قريش اجود العرب انتقاء للافصح من الالفاظ ، واسهلها على اللسان عند النطق ، واحسنها مسموعاً ، وابينها ابانة عما في النفس .

***

ويقول احمد بن فارس في كتابه الصاحبي «١»:

اجمع علماؤنا بكلام العرب، والرواة لاشعارهم ، والعالمين بلغاتهم وايامهم ومحالهم ، ان قريشاً افصح العرب السنة، واصفاهم لغة ، وكانت قريش مع فصاحتها اذا اتتهم الوفود من العرب، تخيروا من كلامهم واشعارهم احسن لغاتهم ، واصفى كلامهم ، فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات الى نحائرهم وسلائقهم ، التي طبعوا عليها، فصاروا بذلك افصح العرب. الا ترى انك لا تجد في كلامهم عنعنة تميم ، ولا كشكشة اسد ولا كسكسة ربيعة .

«١» احد علماء القرن الرابع ، يكنى ابا الحسين ، وقد قال فيه الصاحب بن عباد : «شيخنا ابو الحسين ممن رزق حسن التصنيف، وامن فيه من التصحيف».


ازدهار اللغة يعرب عن عزة
الامة القومية .
الكرماني

ان للعرب طبعاً سليماً «١»

كان العربي في جاهليته يتكلم اللغة الفصحى ، دون ما تكلف ولا جهد، ولا زخرف ولا غلو ، كما يتكلم احدنا اليوم بلغته التخاطبية العامة، وكانت سليقته تحدوه لان يتكلم بلغة صحيحة صريحة، فصيحة سليمة من كل خطأ ، من غير ان يدري شيئاً عن دستور النحاة ، او مواد البلغاء . فقواعد سيبويه كانت عند العربي مكنونة ، وبنود الجرجاني مجهولة لديه، وهو خال من تلك الاصطلاحات العلمية ، من تصنيف وتبويب ومسميات وفصول ، هو يقول بديهة وارتجالاً ، وكانه الهام ، وليست هناك معاناة ولا مكابدة ، ولا اعمال فكر ولا استعانة ، بل يكفيه ان يصرف وهمه الى الكلام الذي يقصده ، حتى تأتيه المعاني ارسالاً ، وتنهال عليه الالفاظ انهيالاً بلا تصنع ولا تحفظ ، ولا اساس نظري ينسج على منواله .

هو يعرف — مثلاً — ان الفاعل مرفوع ، ويتلفظ به مرفوعاً ، ولا يطاوعه لسانه ان يخطئ فيه ، ويحرّم عليه تبيانه ان يتردد في رفعه ، ولكنه لا يعلم قاعدته ، بل لا يستطيع ان يقول لك : « ان الفاعل مرفوع » ولماذا ؟ لانه لم يدرس هذه الاسس ، ولا تعودها ، ولا خطرت له على

«١» نشر هذا المقال في جريدة الدستور الغراء في اعدادها (٢٩٣) و(٣٩٤) و(٣٩٥) المؤرخة بشهر تموز عام ١٩٣٦ .

بال ، ولا لقنه اياها ابوه ولا معلمه ، اذ كلهم اجمعون يجهلونها ويجهلون اسمها واصطلاحها ، ولا يعرفون لها صفة ولا لقباً . وهكذا قل في كل بند من بنود العربية من نحو وبلاغة ولغة . ثم هل لعربي ان يجحد الاطناب في « واشتعل الرأس شيباً » هذه الفقرة التي تفيد معنى « كبر وطعن في السن » ؟ كلا ! انها لمعروفة لكل عربي ، ولكل فرد من افراد العرب ، ولكل من انبجس فيه معين العروبة ، بل لكل من لفحت وجهه شمس الجزيرة اذ ذاك . غير انه يستعمله ، ولا توسعه تسميته ، ويعلم الاطناب ويفهم فحواه ، ويدري اين ومتى يقع ، وكيف يجب ان يقع ؟ وايان يستعمل ؟ وما هو السبب في استعماله ؟ ولكن دون ان يفقه اسمه ، ولا ان يدري موضعه او محله الاصطلاحي ؟ هو أميّ ينشأ على اسس البيان العربي الفصيح ، ويترعرع على ميثاق التبيان المبين ، الذي لايشوبه لحن ولا يتطرأ اليه خطأ .

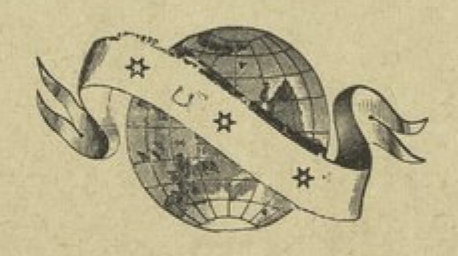
* * *

يحدثنا التاريخ العربي ان ابا بكر الصديق (رضى) ، بينما كان سائراً في الطريق ، اذ رأى رجلاً معه ثوب فناداه ابوبكر : أتبيع هذا الثوب يا رجل ؟ فاجابه : « لا يرحمك الله » وكان قصد الرجل نبيلاً بهذا الجواب !! يتكافأ مع مكانة ابي بكر الصديق ، فهو يود ان يقول له : « لا ابيعه ويرحمك الله » وابو بكر فهم مراده وعرف غايته ، وادرك ما يرمي اليه،

لذا حدجه بنظرة شزراء ،مصححاً له خطأه قائلاً له : «هلاقلت لاو يرحمك الله » ثم قام فخطب في قومه قائلاً : «لو استقمتم لاستقامت السنتكم !!».

***

ترى أكان ابو بكر يعرف الفصل والوصل ؟ ويعلم ان هذا الواو يجب وضعه لئلا يفسد الكلام ؟! اتحسب ان ابا بكر درس هذه الاوضاع ، وتعلم هذه الاصطلاحات ، ثم جاء يطبقها عندما سمع هذا الرجل يلفظ جملته المغلوطة ، التي استنكرها لسانه ،واستفظعها بيانه، وتبرأ منها جنانه . اللهم كلا والف كلا ! فابو بكر لم يعرف هذا ولا ذاك؛ وانما سمع جملة الرجل فهاله ما سمع ، لان طبعه العربي ابى هذا الهجين من القول؛ واستنكر ما سمع استنكاراً، واوجب تصحيح ما قيل له .



سيبويه «١» امام علماء اللغة، وشيخ اهل البصرة، واشهر من ان يعرّف .

«١» هو امام البصريين ، ابو بشر عمرو بن عثمان ، الملقب بسيبويه (اي رائحة التفاح) ، فارسي الاصل ، ولد ببلاد فارس ، ونشأ بالبصرة ، بلد الادب والعلوم ؛ وقد طلب الحديث والفقه في بدء امره ، وكان يوماً يستملي على حماد بن سلمة ، فاملى عليه قوله عليه الصلاة والسلام : « ليس من اصحابي احد الا لو شئت ، لاخذت عليه ، ليس ابا الدرداء . »

فقال سيبويه : « ليس ابو الدرداء ! » فصاح به حماد : « لحنت يا سيبويه ! انما هذا استثناء » فقال : « لاجرم .. لاطلبن علماً لا يلحنني معه احد » فطلب النحو ولازم الخليل بن احمد وغيره ، من علماء النحو ، حتى حذقه وبلغ اوجه ، ولم يترك قليلاً او كثيراً ، من اصوله وفروعه ، ومقيسه وشاذه ، الا واطلع عليه ، ثم وضع كتابه المشهور ، الذي عرف « بكتاب سيبويه » سرد فيه ما اخذه عن الخليل بن احمد ، وما نقله عن نحاة البصريين ، فكان كتاباً قيماً عظيماً ، فريداً في بابه ، بل هو اول كتاب وضع في هذا العلم ، وتلقفه علماء العربية و كتابها في كافة الاصقاع والانحاء ، حتى قال ابو عثمان المازني : « من اراد ان يعمل كتاباً كبيراً في النحو بعد سيبويه ، فليستح . وكان المبرد — احد ائمة العربية — يقول لمريديه : « هل ركبتم البحر ؟ » يقصد كتاب سيبويه .

توفي سنة ١٧٧ هـ بسبب الحادث الذي جرى له مع الكسائي ، وهو لا يزال في عنفوان الشباب .

والكسائي «١» عالم جليل في اللغة ايضاً ، غير انه كان عزيزاً على العائلة المالكة ، لانه استاذ لابن الخليفة الامين . أمّ سيبويه يوماً بغداد

«١» هو امام الكوفيين ، ابو الحسن ، علي بن حمزة ، الملقب بالكسائي ، نشأ بالكوفة ، ودرس القراءات ، فعد من القراء السبعة ، ولم يكن له في الشعر يد ، حتى قيل : « ليس في علماء العربية اجهل من الكسائي بالشعر » ، وكان ايضاً لا يدري شيئاً من النحو ، فاقبل يوما على بعض اخوانه ، من طلاب العربية ، وقال متأوهاً من مشي طويل : « لقد عييت ! » فقالوا : « تجالسنا وانت تلحن ؟ ! » فقال : « كيف لحنت ؟ » ، فاجابوه : « ان كنت اردت من التعب ، فقل أعييت ؛ وان كنت اردت من انقطاع الحيلة فقل «عييت» .

فانف الكسائي من هذه الجابهة ، وراح يلازم معاذاً الهراء وارؤاس من نحاة الكوفة ، حتى حصل ما عندهما ؛ ثم زار الخليل بن احمد بالبصرة ، فاعجب به وسأله : « انى لك هذا العلم ؟ » فقال الخليل : « من بوادي الحجاز ونجد وتهامة » فخرج الكسائي الى البادية ، وطاف قبائلها ، وسمع فصحاءها ، حتى استكمل حظه من الرواية ، واستجمع قسطه من اللغة ، ولما ان رجع من البادية ، استقدمه المهدي ، واستخلصه لنفسه ، ثم اقامه هارون الرشيد مؤدباً لولده الامين ، وفي ابان ذلك حصلت له الحادثة مع سيبويه .

توفي الكسائي بالري هو والقاضي محمد بن الحسن في يوم واحد عام ١٨٩ ، وقال فيهما الملك : دفنت الفقه والعربية في الري .

وحضر مجلس الخليفة هارون الرشيد «١» ، وكان فيه الكسائي ايضاً ، فتباحثا في امور اللغة، وتناظرا ،فزعم الكسائي ان العرب تقول : « كنت اظن الدبور اشد لسعاً من النحلة ،فاذا هو اياها»، فقال سيبويه : ليس المثل كذا !! بل«فاذاهو هي» . فقال لهما الملك : اختلفتما وانتما رئيسا بلديكما ! فمن يحكم بينكما ؟ فقال سيبويه هؤلاء الاعراب ببابك يا امير المؤمنين ،فاسألهم اذا شئت . وخاف ولي العهد الامين ان ينتصر الغريب على استاذه ، فاستدعى عربيّاً وسأله : فقال كما قال سيبويه ،فقال له المأمون : نريد ان تقول كما قال الكسائي ، فاجابه الاعرابي : ان لساني لايطاوعني على ذلك، اذ انه لا يسبق الا الى الصواب !!! وآنئذٍ قرروا فيما بينهم ان يقول شخص:قال سيبويه كذا،وقال الكسائي كذا ، فالصواب مع مَن منهما ؟

---

١) هو الخليفة العباسي ، تبوأ عرش الخلافة سنة(١٧٠)،وقد بلغ عهده من الازدهار والحضارة والثقافة ماتركه يقول لسحابة توقع ان تمطر في عاصمته ثم ادبرت : امطري حيث شئت ، يأتني خراجك !! كما ان الخراج قدر في عهده سنوياً : (٧٥٠) قنطاراً من الذهب الخالص .

ويقول الفخري : كانت دولة الرشيد من احسن الدول واكثرها وقارها ورونقاً وخيراً ، جبى الرشيد معظم الدنيا ، ولم يجتمع على باب خليفة ، من العلماء والشعراء ، والفقهاء والقراء ، والقضاة والكتاب ، والندماء والمغنين من اجتمعوا على باب الرشيد ، وكان يصل كل واحد منهم اجزل صلة ، ويرفعه اعلى درجة ، وكان فاضلاً شاعراً راوية الاخبار والآثار والاشعار ، صحيح الذوق والتمييز ، مهيباً عند الخاصة والعامة . وهو الذي نكل بآل برمك ومحا اثرهم من الوجود ! وقد كان يتمتع بمرافه الحياة ومناعمها . ويحسن صلاته مع ملوك الروم ، لا سيما مع شرلمان ملك فرنسا، وذكر بعض المؤرخين الغربيين انهما كانا يتبادلان السفراء .

فيقول الاعرابي :الصواب مع الكسائي.

ولما ان عقد لهما المجلس بحضرة صاحب الجلالة الملك ،واجتمع علماء العاصمة، وتقابل الكسائي مع سيبويه ،حضر الاعرابي وسئل كما تقدم، فاجاب : ان الصواب مع الكسائي، وهو كلام العرب !! فطار صواب سيبويه ،وجن جنونه، وعلم انهم تحاملوا عليه،فقال : كذب الاعرابي ياامير المؤمنين امره ان ينطق بها ، فان لسانه لا يساعده.غير ان القوم لم يجيبوا له سؤالاً ، فارتحل عن بغداد مهموماً مغموماً ،وتوفى عقب ذلك .

لا جرم ان هذه الحادثة التي رواها لنا أئمة الادب العربي ، تدل على ملكة العربي ،وانه لا ينطق عن هوىً ،ولا يتلفظ بخطأ . وهكذا تلقت العلماء اللغة من افواه العرب، دون ان يداخلهم شك او ريب .

***

وبعد فان للعرب اسلوباً بليغاً في الاعراب عن عواطفهم الجياشة التي تختلج في حناياهم ، وقد بلغوا فيه شأواً كبيراً في الاسلوب الايجازي، مع البيان والوضوح ، ببداهة تنساب مع الطبع العربي،وبدون ماتكلف او جهد ، وها انا ارفع لقرائي الكرام قطعة ارتجلتها اعرابية في وصف فتاة ، ولا ريب ان هذه القطعة الارتجالية التي احتفظ بها الادب العربي اربعة عشر قرناً ، والتي اصدرتها سيدة عربية عن ناحية من نواحي الفنون الجميلة ، تبرهن على احساس العربي الفائض ، الذي خلا من كل مصانعة

وتكلف ، وسار مع النحائز انى سارت ، وتعطينا صورة من الجمال الذي كان يستهوي افئدة العرب ،وتهفو اليها نفوس بني يعرب في الجاهلية، وتؤكد ما ذهبنا اليه من ان للعربي طبعاً لوى عن كل تصنع ،يقضي على صفو انحاء الادب الحية ، مهما اتجهت الميول ، وانسابت الغايات .

اراد جد امرئ القيس (عمرو بن حجر) ملك كندة ان يتزوج ابنة عوف بن محلم الشيباني .فوجه اليها امرأة يقال لها (عصام) لتنظر اليها ، وتمتحن ما بلغه عنها، فلما عادت اقبلت عليه فقال اخبريني ،قالت :

رأيت جبهة كالمرآة الصقيلة ، يزينها شعر حالك كاذناب الخيل المقصورة،ان ارسلته خلته السلاسل،وان مشطته قات عناقيد كرم جلاها الوابل ، ومع ذلك حاجبان، كأنهما خطا قلم ،وسوّدا بحمم، وقد تقوسا على مثل عين العبهرة،التي لم يرعها قانص ولم يذعرها قسورة ، بينهما انف كحد السيف المصقول ، لم يَخنس به قصر ولم يمض به طول ،حفتْ به وجنتان كالارجوان، في بياض محض كالجمان ، شق فيه فم كالختام لذيذ المبتسم، فيه ثنايا غر ،ذوات اشر ،واسنان تعد كالدر وريق كالخمر،له نشر الروض بالسحر يتقلب فيه لسان ذو فصاحة وبيان ،يزينه عقل وافر، وجواب حاضر، يلتقي بينهما شفتان حمراوان كالورد، يحلبان ريقاً كالشهد، تحت ذلك عنق كابريق الفضة ،ركب في صدر تمثال دمية يتصل به عضدان ممتلئان لحماً، مكتنزان شحماً ، وذراعان ليس فيهما عظم يحس ولا عرق يجس ، ركبت فيهما

كفان ريق قصبهما ،لين عصبهما، تعقد ان شئت بينهما الانامل،وقد تربع في صدرها حقان ، كأنهما رمانتان ، من تحت ذلك بطن طوى كطي القُبَاطَي المدمجة كسى عكناً كالقراطيس المدرجة ، تحته شحفل يقعدها اذا نهضت ، وينهضها اذا قعدت كأنه دعص رمل ، لبده سقوط الطل ، تحيط تلك الطوى بسرة كمُدْهن العاج المجلو ، خلف ذلك ظهر كالجدول ينتهي الى خصر لولا رحمة الله لانخزل . يحمله فخذان لفاوان كأنهما نضيد الجمان ، تحملهما ساقان مدلجتان كالبردي ، ويحمل ذلك قدمان كحذو اللسان ،تبارك الله مع صغرهما كيف تطيقان حمل ما فوقهما .

* * *

هذه هي القطعة الادبية التي تمثل الفن والابداع العربيين ،تفوه بها سيدة عربية ،وتلقيها ارتجالاً على رب المهمة التي ارسلها في شأنه. وهي لعمر الحق آية كبرى ،تعرب عن حيوية الادب العربي الجاهلي ، وتفصح عن الجمال الاخاذ ،الذي هام به اجدادنا العرب ؛ وافرغوا له قلبهم وعواطفهم، وكم اجدني هنا مسروراً ان اذكر فقرة قالها اديب الفرنسيس الاكبر «فيكتور هيكو » يصف قدم غادة حسناء بقوله : « كانت تسير الى جانبي وقدمها الفتانة تسخر بصغرها من الاقدار، وتضحك بجوار قدمي ... !»

وكأين من وصفين فتانين ؛ عطران وابل الخلابة والكمال ، فهذان شاعران تفصل حياتهما قرون عديدة ، قد اجادا وصف القدم ، وبلغا

حظيرة الابداع والتفوق ، وكادا ان يسيرا في مهيع واحد ، يحف جانبيه عبقرية الخيال والذوق ، غير ان الفرق بين ذينك الشاعرين ان احدهما برأه الاله في وسط جاهلي قاحل اجرد ، لا حضارة ولا ثقافة تجلى فيه مواهب الانسان، وان الثاني وجد فى ارقى محيط بشري عرفه التاريخ ، فله من نتاج الفكر ،واتساع الوسط،ما يساعده على نمو الخيال والالهام .

اللهم ان البون بعيد شاسع، وليس لهذه المرأة العربية الا ما حبتها به الطبيعة، فاجادت الوصف، وابلغت فيما تريد .




عظمة الامة مقياس لغتها
الكرماني

اثر الادب في تطور الامة «١»

الادباء لسان الامة المفصح عن مكامن الاسى

كلما اعدت قول الاديب المبدع العربي « عبد الحميد الكاتب » : « ان كان الوحي ينزل على احد بعد الانبياء ، فعلى بلغاء الكتاب » يتراءى امامي الادب بصفة سفينة تقاذفتها ريح هوجاء ، وكاد ان يأتي عليها القدر لولا ان يحفها الربان باسراره الفعالة !

وكلما تصفحت الثورة الفرنسية الكبرى ، واحكمت النظر في نورها الالمع ، الذي انعكس شعاعه على المعمورة جمعاء ، اتذكر انها وليدة الادب ونتاج الادباء ؛ اذ ما هي الا شهاب ثاقب ، اوراه امثال الكاتبين الفرنسيين « فولتير » Voltaire و« مونتيسكيو » Montesquieu ، حينما ذهبا الى بلاد الانكليز ، واقاما بها ردحاً ، ثم آبا الى فرنسا يحملان في حقيبتهما بشائر الثورة وطلائع الانتقاض على القديم . اجل ، انا كلما تصفحت هذا وذاك ، ارى ان الادب هو البلسم الشافي ، وهو الدواء الناجع الذي يسير بالشعوب الى ذلك اللاحب ، الذي تدحرجت اليه الامم الحية ، ولِمَ لا

«١» نشر هذا المقال في جريدة الاتحاد الغراء في عدد (٦٤٧) المؤرخ ٩ آب سنة ١٩٣٦

يكون هذا الأثر البين اثر الادب ؟ وهو رسول الفكرة الوطنية الى النفوس ، والقائد المغوار الذي يقود الامة الى مناهل الحياة الحقة ، وهو المعين الذي تنبجس منه ينابيع فهم اسرار الحياة ، بل هو الظواهر الحية لكل حركة تنبثق من روح الامة وتختلج بين جوانحها .

رددوا معي الطرف فيما يقدمه الادباء من اثر اقلامهم ونتاج افكارهم ، تروا انهم هم الذين يميتون فى الامة عناصر الوهن والانحطاط ، ويخلقون بدلها عناصر حية قوية ، تنفذ الى صميم الامة ، وتلوّن نفسيتها بالوان قد تكون من الوسائل التي تهيئها ، لان تخلق خلقاً جديداً ، وتكوّن تكويناً قوياً ، هذا عدا عن اثر ينفذ الى الاعماق ، ويفعل فعلاً هائلاً داوياً تجلي نواحيه في كافة اجناس الحياة .

***

بيتان من اديب اخترقا الفضاء واتيا على امة باسرها :

لا يغرّنك ما ترى من اناسٍ
ان تحت الضلوع داءً دوياً
فضع السيف وارفع الصوت حتى
لا ترى فوق ظهرها امويا

بل ان بيتاً واحداً من اديب اكتسح مجداً تالداً ، واباد عزاً مجيداً ، فبينما رهط من اناس يتيهون بارومتهم ونجارهم ، ويعلون بها الى عرش

الجلال وجوزاء الفخار ، اذ بأديب افصح عنهم ببيانه ، وابرز للملأ نتيجة تبيانه ، ولعلهم بقوله :

فغض الطرف انك من نمير ☆ فلا كعباً بلغت ولا كلابا

وهناك آضت هيا كل مجدهم خاوية على عروشها ، ومزقها الشنار كل ممزق .وكأنني بالاديب (القاضي عياض) ، ينشر لحيته ، ويلعب بعثنونه ، ويخاطب امير المؤمنين الملك ، بعد ان شدت به نفسه الابية ، بان لا فرق بين مقام الملوك ومقام الادباء ، ولا بين مجد وفخار كل منهما !

مهلاً امير المؤمنين فاننا

في دوحة العلياء لا نتفرق

ما بيننا يوم الفخار تفاوت

ابداً كلانا في المكارم معرق

الا الخلافة ميزتك ، فانني

انا عاطل منها وانت مقيد !

ومهما يكن شأن هذا الملك من العدل والديموقراطية La démocratie فانه احد ملوك القرون الوسطى ، الذين تتغلب عليهم الملكية والاستوقراطية L'aristocratie المطلقة الشديدة .

☆☆☆

أرأيتم ايها القراء ذلك الاثر المتأجج الادبي ، الذي يهجم على النفوس

هجوم الكهرباء الى الجسم ، حينما يضغط عليه بزره .

***

وانا احب الآن ان احدثكم عن السراج الوهاج ،الذي ينيره الادباء لامتهم. لتستضيء به في ظلمات ذلك اللجي، الذي اكتنف الحياة جمعاء. بيد انني احب قبلاً ، ان اسمعكم كلمة قالها في هذا الصدد اديب فرنسي كبير، له منزلته العالية في سماء الادب والاجتماع وهو « اناتول فرانس » Anatole France فلقد قال : « الادباء هم الذين يساعدون البشر على النمو ، لهذا نجدهم كراماً علينا ، فهم يضيئون بضيائهم ظلمات افراحنا، ويكشفون غوامض آلامنا ، ويجعلون لهذه الافراح والآلام السنة ، كأنها تنطق وتتكلم ، فيقولون لنا ما نشعر به شعوراً غامضاً ، فهم السنة انفسنا ، وبهم نحيط علماً بملاذنا واضطرانا . » ولا اشك ان هـذا الوصف ان كان كبيراً جداً ، فهو ليس بكثير على الادباء ! ولماذا يكون كبيراً عليهم ؟ أليسوا هم ابطال الصدمة الاولى بين كل حادث وآخر ؟ أليسوا هم فرقة المهاجمة قبل كل احد ، والمناضلة عن حماها قبل كل انسان ؟ أليسوا هم لسان الامة المفصح عن مكامن الأسى والشجى ، والسراء والضراء ؟ الناطق بكل احتياج ماس ، والمشخص لوصف الداء وترتيب الدواء ؟ أليسوا هم قائديها الى مواطن عزها ومناهج مجدها ؟ اي حادث يحدث في البلاد ولا يكون الادباء اول من يمتشق قلمه ،ليذود عن وطنه وامته ؟ بلى ان بظهور

الحوادث تظهر الادباء من عرينهم، كي ينيروا السبل لخدمة امتهم، باقلام صقلها الشعور الوطني والعلم الحقيقي، وبآراء مستمدة من وحي علوي، تلقي اشعتها الوضاءة على ما اكتنفها من ظلام غاسق، فتبدده وتحبب الى الناس ما يعود عليهم بخيره ونفعه العميمين؛ وهذا ما عناه العلامة فولتير Voltaire «١» بقوله: ان الآثار الادبية العالية، هي شرف الانسانية وعنوان الحياة، ودواء لسائر الادواء.



«١» فولتير اكبر كاتب ومفكر فرنسي في القرن (١٨)

الادباء هم الذين يساعدون
البشر على النمو ، لهذا نجدهم كراماً
علينا ، فهم يضيئون بضيائهم
ظلمات افراحنا ؛ ويكشفون غوامض
آلامنا ، ويجعلون لهذه الافراح
والآلام السنة ، كأنها تنطق وتتكلم ،
يقولون اننا انما نشعر بشعور أغامضاً ،
فهم السنة انفسنا ، وبهم نحيط علماً
بملاذنا واضطرابنا .

اناتول فرانس

ألف اسم للسيف؟ ولا ندري «١»

اسماً واحداً للكرسي اذا اختلفت اشكاله

يحدثنا العالم حمزة الاصفهاني ان عدد كلمات اللغة العربية يبلغ « ١٢،٣٥٠،٠٥٢ » كلمة ما بين اسم جامد ومشتق وعلم شخصي ، ولا ريب ان المرء يقف حائراً مدهوشاً امام هذا العدد الكبير الذي يعجز اعظم دماغ من حمل وقره او الاطلاع عليه . فاثنا عشر مليون كلمة ونيف كبير وكثير ، يثقل على النفس ، ويجحد به الخاطر ، ويخلق في الروع شبحاً هائلاً يرعب الدارس ،ويفل من حديد عزماته ، ويقلل من اللغويين الاختصاصيين، هذا اذا لم يكن عاملاً فعالاً في محو هؤلاء وارتباك من تسول له نفسه ان يختص بامور اللغة العربية وشئونها ، ولا شك ان اليأس يحيط الانسان وينال منه عندما يسمع ان للسيف في هذه اللغة الف اسم وللاسد خمسمائة ،وللداهية اربعمائة، وللثعبان مائتين،وهكذا قل في الترادف الجم الذي انفردت به هذه اللغة، والذي طما على كافة خصائصها حتى غدت الميزة الكبرى التي تمتاز بها على غيرها من اللغات . وعندما يستعرض الاديب هذا العبء الترادفي الذي ران على قلب اللغة، وشوه جمالها الرائع

«١» نشر هذا المقال في جريدة الايام الغراء في عدد (١٢٥٧) المؤرخ ٩ نيسان عام ١٩٣٧ .

ويقارنه بفقر اللغة الى كلمات يوجب المحيط الاجتماعي، بل والمستوى الشعبي العربي ان يستعملها ويتخاطب بها ،لانه يشاهدها في كل فينة،وتقع تحت حسه في كل آونة ، ويضطر ان يتلفظ بها لتماسها بالحياة ، ودنوها من المفرد .

فالكرسي امر ضروري في المنزل ، وقد لا يستغني احدنا عنه حال يقظته ،ولكن الحضارة الحديثة ابت ان يكون جنس الكرسي واحداً، واستكبرت ان تظل الكراسي نوعاً متحداً ، بل هناك الكرسي العادي La chaise وهناك الكرسي الكبير Le FauteuI وهناك غير ذلك من : Tabouret, La chaise Longue الخ وهنا يستعصي على العربي ان يجد لهذا المعنى لفظاً في لغته يوافقه او ينطبق عليه. أما لفظ العرش. فانه ينا كره لانه يدل على سرير الملك او سقف البيت،وشتان ما بين هذا وذاك. ثم ان كلمة(قولطق) المتداولة بين عامة الشعب العربي المعروفة عندهم، تركية لا تتعرف عليها لغة يعرب ،ولا تمت الى الفصحى بصلة .اذن كيف يفعل العربي ؟ وماذا يسمى الفوتوى او « الشه‌زلونك » او « القولطق » ؟وهل يرمي به عرض الحائط ويهمل استعماله ؟ وهذا لا يمكن اذ هو ذو دخل كبير في مقتضيات حضارة اليوم ؟ ومن منا يستطيع ان يستغني عما ذكر في صالات استقباله ؟ واي بيت يخلو منها ؟ ام هل يأخذ اللفظ الاعجمي ويستعمله في تخاطبه وقوله وكتابته فيلحقه في الكلمات العربية ،وينضده بجانب اخواته ، وبذا يهيمن الحلك الغاسق

على اللغة، وتتفتح عليها ثلمات، قد توقعها في فجوات عميقة، تؤدي بحياتها او ببعضها—كما يعتقد بعض اللغويين—وقد تكون ترياقاً ناجعاً يرد الى اللغة العربية والعالم العربي ما هما بحاجة اليه، كما اقره واعتقده ، وكما يراه جمهرة لغويي اليوم.

ان هذه اسئلة "ترد علي" . وانا اخط هذا المقال في ناحية كبرى من نواحي اللغة العربية، التي اجدني مضطراً لتحليلها ، وهي قمين بكل رعاية وعناية . واذا كنا آتينا في مثالنا على الكرسي الكبير او المستطيل ،وعجزنا عن رديف لهما ،فاخلق بنا ان نعجز اذا عددنا بقية اجناس الكراسي مثل الشيزلونك والكانابيه Canapé وغيرها ، تلك الاسماء والمسميات التي شاعت في كافة اللغات السامية ،حتى غدا لها المقام الاسمى في كل لغة عرف شعبها معنى الحياة الجديدة .

***

في المكتبة العربية مؤلفات عديدة في الترادف تربو على العشرات فها هو الاستاذ مجد الدين الفيروزابادي صاحب القاموس المحيط يرينا مؤلفه الذي سماه (الروض المسلوف فيما له اسمان الى الوف ، وكتابه في اسماء (العسل) ،وها هو ابن خالويه يقدم كتابه الى العالم العربي باسماء الحية ولقد افرد العلامة السيوطي كتاباً ضخماً في اسماء الاسد .

وهنالك فقه اللغة للامام الثعالبي وغير ذلك . ان الذي حدا بي

لايراد هذه الكتب اللغوية التي حصرها مؤلفوها في الترادف فقط ، هي ان تعطينا مثالاً صحيحاً فيما تشتمل عليه هذه اللغة من الكنز (المتعب الضاوي) في الترادف ، بينما نرى حاجة الحياة والناشئة والشعب بل حاجة النشوء والارتقاء تترى الى عشرات الالوف من الكلمات التي اوجدت مسمياتها حضارة هذا العصر ورقي هذا الزمن . واذا اضفنا الى هذه الحاجة الماسة وقوف بعض من يظنون انهم نصير واللغة حجر عثرة في سبيل تطلبها ، واخذ ما تحتاجه من اللغات الاعجمية ، وتحريمهم كل عمل بل كل حركة ينبثق عليها اندماج كلمة اعجمية في لغتنا العربية او الصاق لفظة دخيلة فيها .

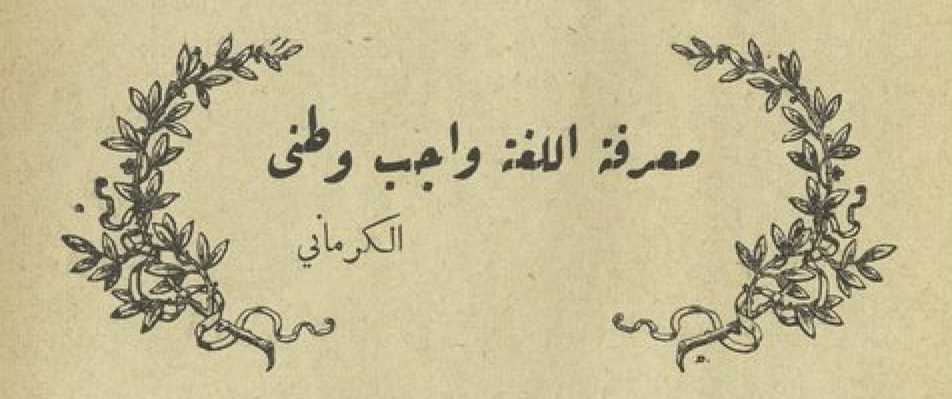
اجل نحن اذا اضفنا الى هذا جمود هؤلاء وصمودهم في وجه الاصلاح الذي تلقفه اسلافنا واجدادنا ، وعدم اخذ أية كلمة من هذه الناحية فاننا نسمع حشرجة هذه اللغة الكريمة في آذاننا وصرير اسنانها المرتجفة دون ان نمد لها يد العون ، وها هو الكرسي الذي يعد ذرة من الوف ، بل من عشرات الالوف اصدق مثال على ذلك . واقد رأينا في المقالات السابقة ما كان يعده اسلافنا الاعلام وما كان عليه العرب الاقحاح من استعارتهم الكلمات الاعجمية ودمجهم اياها في لسان العرب حتى تصبح جزءاً منها لا ينفصل عن كله ولا يفرق بينهما مفرق ، ناهيك عن ان القرآن الكريم الذي اجمع العلماء على انه الخضم الذي تتفرع منه جداول العربية الفواحة لم يضن ولا استكبر ان يأخذ عن العجم ما رآه صالحاً للغة التي نزل فيها

رغم ان لها مرادفاً في العربية وذلك كدين وملة ،وسرر ، وارائك .

وبعد فان الثقافة والحضارة الحديثتين قد كونتا اشياء لا ارى اسماء لها في لغتنا، فاذا كنا نحن العرب نعجز عن ايجاد ما يقدمه لنا الغرب من اسماء ،فاحر بنا ان نعجز عن انتهال المدنية والوصول الى المستوى الكامل الذى يتمتع به العالم المدني . وحبذا لو ان المجمع العلمي الملكي التفت الى هذه الناحية الحيوية الكبرى ،دون ان ينظر الى ارزيز ونحوها مع وجود اسماء مصقولة في العالم العربي . «١»



«١» ذهبت للعراق في تشرين الاول عام ١٩٣٦ ، و كنت يوماً في وزارة الدفاع الوطني ، ازور فخامة الجنرال المغدور جعفر باشا العسكري ، وزير الدفاع، وكان عنده المرحوم الجنرال بكر صدقي باشا، فتجاذبنا اطراف الحديث واخيراً يممنا نحو اللغة ، وما تحتاجه في هذا العصر من اسماء ، وقد كان كلا الجنرالين متحمسين لهذا الموضوع ولم اكن اقل منهما تحمساً ، لان الحاجة ماسة ، والضرورة ملحفة ، واخيرا قلت للقائدين : ما تقولان في لغة منحت مسمى الف اسم ، ومسمى آخر اسماً واحدا ؟ مع ان الثاني اشد الصاقاً بحياة المرء ؟ و كنت اعني السيف والكرسي ! ! فطلبا الي ان اكتب مقالاً في هذا الموضوع ، وهكذا كان ، رحمة الله عليهما .



معرفة اللغة واجب وطني

الكرماني

القديم والحديث واثرهما في الادب «١»

... اراني الآن مضطراً ان اذكر لكم على سبيل المثال ، دولتين تتسابقان في مضمار التغلب ، منذ ان عرفت البشرية للحياة نظماً وبرامج، وانني احسب ان نفوسكم تحولت قليلاً الى « القديم » و « الجديد » ، اذ هما اللذان مضى على خصومتهما احقاب عديدة ، تلاحيا فيها وتهاجيا ماشاءت لهما الرعونة ، وامل كل منهما ان يترك خصمه جثة هامدة لاحراك بها . نعم ان كل تطور يحدث في الامة ، يهز اعصاب قوم هزاً عنيفاً ، حتى اذا ما تحقق لديهم ان هناك شيئاً يسمى جديداً ، جن جنونهم وكادوا ان يتميزوا من الغيظ ،وطفقوا يصبون عليه جام غضبهم ، وحثالة مقتهم ، حرمة لما اعتادوه والفوه ، ومحافظة على بقاء « ما كان » على ما كان ، وجرياً على قاعدة « ليس في الامكان ابدع مما كان » .

ويقابل هؤلاء اناس لا يرضيهم الا ان يسيروا في مناهج الحياة الحرة الحقة ، ليشهدوا منافع لهم ، وليضربوا بمعول الثقافة والحضارة نصيباً مفروضاً .

هاتان الدولتان او هذان الخصمان ،هما في كفاح دائم ونضال مستمر،

«١» نشر هذا المقال في جريدة الاتحاد الحلبية الغراء ،في عدد (٦٤٨) ،المؤرخ ١٢ آب سنة ١٩٣٦ ،بتوقيع ابي نزار.

لا ينيان ولا يتربصان، ففي كل عصر، وفي كل مصر، نجدهما مدججين، يبغي احدهما على الآخر جهد حوله وقوته، ليشتت شمله، ويبدد جمعه. وبينما الامة تستفيق من سبات عميق، او ركود مخيف، او خمول ران عليها وبطش فيها بطشة جبار مقتدر، اذ بالامة تحفز للخلاص من هذه الادوار المميتة، لتنتعش في مضمار عمرانها، وتسترد بعض ما يفي بوطائدها الحيوية، ومرافقها الاجتماعية، غير انها ترتد حائرة ذعرة، قد حفها الاندهاش من امام وخلف! ذلكم لما تراه في جنباتها من تطور قد تناول كل شيء، حتى المعتقدات والنحل، والاذواق والادب، والتفكير والافهام، وهنا تقف وقفة الحائر المضطرب، اذ هي غير قادرة على التمسك بالقديم، وسيل الجديد المنحدر عن لوازم الحياة قد جرفه وفرقه ايدي سبا، ولا هي مستطيعة ان تفهم هذا الجديد وتتذوقه، كما يتذوقه اهلوه والعاملون عليه. لذلكم تتيه في مجاهل، تكتنفها كسف من فوقها كسف، آخذ بعضها برقاب بعض، ومترقبة نوراً يهديها سواء السبيل. في هذا الموقف الرهيب تنبثق اشعة الادب، ويبزغ وميض الادباء؛ فيبدلون الظلام نوراً، والحيرة اهتداء، وينقذون امة، لولا وحي هذه الاقلام لظلت في ريب عمه، واختباط لازب.

***

إنَّ الأثر الفعال الناشئ عن الادب والادباء، هو الذي حدا بقادة

الرأي واقطاب العمران، ان يشيدوا بذكره وذكرهم في كل نواحي الحياة اذ انهم آمنوا ايماناً صادقاً انه كلما اتسع نطاق الامة الادبي، وتذوقت طعم الادب الممثل للعيش تمثيلاً حقيقياً، ورف ظل الثقافة، وامتد رواق الحضارة، وعادت الامة عالمة بمكامن ضعفها، ومرابض وهنها، فقوّت ذلكم الضعف، ونسفت هذا الوهن المشين، وهل لامة اخنى الدهر عليها بكلا كله ؟ ومزق سيادتها بتطاوله، حتى افقدها كل ميزة قومية او دعامة تعتمد عليها ؟ اجل هل لمثل هذه الامة ادب يتذوقه ابناؤها ؟ ونشروا فيه كل ما يهيء لهم حياة حرة سعيدة ؟ كلا !! لهذا كان ادب الامة وما فيه من ثمار العقل والقلب احد الاسس الذي يبني الشعب عليه وحدته وشرفه، وفخره وسؤدده، فاذا ما اضاعت امة ادب لغتها، او حطّم هذا الادبَ جامدوها والرجعيون فيها، فقد حرمت نفسها قوام خصائصها ونظام وحدتها، وقادت نفسها الى العبودية السياسية، لان استعباد الجسم مرض يمكن دواؤه ويرجى شفاؤه اما استعباد الروح فموت للقومية التي لا يقدر على مداواتها نطاسي ؛ وكل امة احتفظت بلغتها وصانت ادبها القومي عن الضياع لن تبيد، وما المحافظة الا دراسة ما في بطون الاسفار من قواعد علمية، مما ابرزه اساطين اللغة واقيالها، على ان يكون حظ التجدد موفوراً .

ان الآثار الادبية العالية، هى
شرف الانسانية، وعنوان الحياة،
ودواء لسائر الادواء.

فولتير

ما هو الادب «١»

وهكذا فاننا نرى المصلحين من الامم ، ممن رزقوا سداداً في سياسة وحكمة في كياسة ، وحزماً في حصافة ، ونبوغاً مع ثقافة ، يعملون على نشر قطوف الادب الدانية ، ويسعون سعياً حثيثاً في ذلك ، ليتزاحم النشء الجديد على حدائق الادب وجنائنها الفيحاء ؛ وليجتني من ثمراتها الشهية ، مما لذّ وطاب ؛ ولا غاية لهؤلاء ، سوى ان يقطع العالم تلكم المفازة التي اخرته عن التقدم الى مستوى الانسانية الكاملة .

***

ما هو الادب ؟

اذن يجدر بنا ونحن وقفنا من الادب والتجدد هذا الموقف ان نعرّف الادب ونحدّده ، لندلي برأينا فيه ، ونكون على اتفاق مع القراء الكرام .

إنّ هذه كلمة عجلى ، قلتها عن اثر الادب والادباء ، لانتقل منها الى بيداء الادب الواسعة ، والنظر في ماضيه وحاضره ، وتحليل العوامل التي أثرت فيه تأثيراً بيناً ، حتى استطعنا ان نعدد عصوراً مرت عليه متأثرة

«١» نشر هذا المقال في العدد (٦٤٩) من جريدة الاتحاد الحلبية الغراء المؤرخ في ١٤ آب عام ١٩٣٧ ، بتوقيع ابي نزار ايضاً.

بآثار رجال ابتزوا من سبقهم من رجالات التاريخ ، وتغلبوا على قسم من الزمن صبغوه بصبغتهم ، والحقوه بهم ، وصار فاصلاً بين تاريخ وبين تاريخ آخر ، عرف بهم ، وعرفوا به ، وغدت وطائده ومرافقه معروفة للجميع على السواء .

***

إن إحياء الجذوة الادبية ، الممثلة للحياة تمثيلاً حقيقياً ، هو احياء لانحاء الحياة وبيئاتها جمعاء ، اذ ان الادب اروع ما في هذه الحياة من متع ومتاع ، ويزداد روعة كلما ازداد بالحياة التصاقاً ، الى ان يبلغ آخر مرحلة من تمثيل الحياة تمثيلاً صحيحاً ، ويعرب عما كانت عليه من تقدم وتقهقر ، وحرية وعبودية ، وارتقاء وانخفاض ، واضطراب وهدوء ، وجمال وقبح ، ومدنية ووحشية ، وعلم وجهل ، بحيث لا يشوبه شك ، ولا يمازجه ريب ، ذلكم لان المرء اذا شاء ان يحلل الحياة ويصورها تصويراً واقعياً ، فما عليه الا ان يعمد الى قطعة من نثر ، او مقطعة من نظم ، فيأخذ هذه وتلكم ، ويشخص ما في كل من وصف المحيط الذي يعيش فيه الشاعر او الناثر ، في عموم ما تقدم من اوصاف ونعوت ؛ كي يستطيع الاشراف على كل ما يكتنف اجواء الحياة ، من ظلمة حالكة ، او نور لامع .

***

إذن الادب هو شعر الشعراء ، ونثر الادباء والبلغاء ، هو الكلام

الجميل الذي اذا قرأتموه اعجبكم، واذا سمعتموه ارضاكم ، هو مهبط العاطفة الروحية ، ومظهر هذه الحياة التي تلبس لها النفوس في كل ساعة لبوساً ، هو ما لاءم ذوقكم، ووافق طبعكم ،وصوّر لكم الاشياء كما تجدونها ، حينما يخلو احدكم بنفسه ويفكر فيها ، هو ما اعتاد ان يسطره الاقدمون والمحدثون ،ويجمعوه في الكتب والاسفار ،او في القرائح والذاكرات ، لاطمئنانهم اليه ، واعجابهم بسهولته وعذوبته ، او بضخامته وجزالته ، هو ما ينهلع له قلب القارئ ، ويضطرب له فؤاده ، لانه يشعر بشعور الاديب نفسه ،ويتذوق ما يتذوقه الشاعر .

نعم هذا هو الادب ... وهذا هو حده ...

***

وللأدب العربي اطوار طرأت عليه ،واحداث تسربلت اليه ، نقلته من حضيض الى اوج ،ومن اوج الى حضيض ، ذلك لتأثره بنواحي الحياة ووطائد العمران ، وتأخر الامة وتقدمها ، خصوصاً في الحدث الذي يسميه الاجتماعيون « تاريخ عهد جديد »والذي ينعته السياسيون « بانقلاب عمومي خطير » .

* * *

وانني احدث عن نفسي ، ولا ارى غضاضة في ذلكم ، ولغيري رأيه ومذهبه ، وازعم انني اصبت المفصل فيما احدثكم به .

اقول : ان الانقلاب الادبي ينتج عن الرغبة في انتهال مناهل الحياة البيضاء ، وهذا امر يدب في النفوس رويداً رويداً ، الى ان يتمكن منها ، ويتغلب عليها، وهناك تنفجر عما عندها من كل طارف جديد . اجل ان الانقلاب الادبي يحدث عن تطلع الى التجدد ، وتراء الى الابتكار ، وتخلص من بعض القديم .



الوطنية نور الهدى ، تتسامى نحوها
النفوس الابية ، فاذا شاءت امة ان
تلمع وميض هذا النور المشتعل ،
فما عليها الا ان تدع قبس لغتها
يتلألأ في فؤاد كل شاب من شبابها ،
فيحسن بيانها ، ويجيد تبيانها ، ويغرس
بذور لغته الطاهرة في المستوى
الذي هو فيه .

الكرماني

الحسن بن هانئ والادب «١»

قلت لكم آنفاً : ان لنفوس الادباء جولة في شئون الامة الحيوية بمعناها العام ، تلكم التي تشمل الحزبية والسياسية والمالية والعسكرية ، وكل المرافق العمرانية . وهذه جمعاء تتطلب التجدد حسب حاجيات الحياة وقوامها ، لذلكم فان شعور الاديب في تمخض مستمر للوازم الحياة وضرورياتها ، والحياة تتجدد في كل فينة وفينة ، والادب ظل الحياة الوارف ، يتبعها في حركاتها وسكناتها ، وحاجة التجدد تبدو جلياً عندما يسكن بند من بنود الحياة ، او يركد جانب من جوانبها ، وقد يمضي على هذا امد ، يحصل منه ضجر في النفس ، وسآمة في العمل ، وملل يأخذ من مجموع الامة مأخذه ؛ وهنا يهب عبقري يحدث كياناً فكرياً جديداً لقومه ، بتحبير مقالة ، او تقريض قصيدة ، او خطاب في مجتمع ، او تدبيج سفر ، يستمد الوحي العلوي فى هذه المؤلفات الجارفة لنظم ، طعنتها الحياة الحديثة طعنة نجلاء ، وبذرت فيها بذور الآمال والاماني من حدائق واعناب . ولا يخفى ان مثل هذه المصنفات لا تجمع ولا تؤلف ، وانما الهام قدسي يُوحَى بها كما يقول المثل الفرنسي : Un chef d'œuvre n'est pas fait, il nait .

«١» نشر هذا المقال في جريدة الاتحاد الحلية الغراء ، عدد (٦٥٠) بتاريخ ١٦ آب سنة ١٩٣٦ .

هذه المؤلفات، تقوّض كل مَعْلمٍ يسبب بقاء شَعْب على الجمود، او شلل حركة في الفكر، ولا تألو جهداً في تشخيص حالتي ابنائها العلمية والفكرية، اللتين سببتا جمود دم الحرية في عروق الافراد !! وآنئذ تبدو مظاهر هذا العمل الجديد، وتعلق بالنفس علوقاً، قد يكون بطيئاً، وقد يكون سريعاً، ولكن في كلتا الحالتين يظهر اثره — ولو بعد حين — وضاءً لامعاً، ويتغلب على ما استترجت مياهه الآسنة فوق بقاعٍ، حرمت من نور العمل المثمر المنتج؛ واني اجد الشواهد لما اقصه عليكم كثيراً.

خذوا الحسن «١» ابن هانىء، المكنى بابي نواس، الذي يمثل عصره الثاني

«١» يقول ابو عبيدة: ذهبت اليمن بجد الشعر وهزله: امرؤ القيس بجده، وابو نواس بهزله؛ ويقول ايضاً: «ذهبت اليمن بجيد الشعر في قديمه وحديثه: امرؤ القيس في الاوائل، وابو نواس في المحدثين. ويقول ايضاً: «ابو نواس في المحدثين مثل امرؤ القيس في المتقدمين: فتح لهم هذه الفطن، ودلهم على المعاني، وارشدهم الى طريق الادب والتصرف في فنونه». ويقول البحتري: «لو قسم احسان ابي نواس على جميع الناس لوسعهم».

وسئل حبيب بن اوس المكنى بابي تمام عن شعر ابي نواس. ؟ وكيف هو عنده؟ فقال: ابو نواس ومسلم بن الوليد اللات والعزي، وانا اعبدهما!!». ويقول ميمون بن هارون: سألت يعقوب بن السكيت عما يختار روايته من اشعار الشعراء، فقال: «اذا اردت من الجاهلين فلامرئ القيس والاعشى، ومن الاسلاميين فلجرير والفرزدوق، ومن المحدثين فلابي نواس فحسب». ويقول مسلم بن بهرام: «لقيت ابا العتاهية، فقلت من اشعر الناس؟ قال: تريد جاهليها ام اسلاميها ام مولدها؟» قلت: «كلاً اريد!» قال: الذي يقول في المديح:

اذا نحن اثنينا عليك بصالحٍ فانت الذي نثني وفوق الذي نثني —

الهجري اصدق تمثيل — تجدوه فاتحة عهد جديد ، وباكورة ادب طارف، اذ انه نقم على القديم الممل اشد نقمة ، وسخط عليه ما شاء له الهوى ، وتهكم به ما وجد لذلكم سبيلاً ، ولا اكون مبالغاً اذا قلت : ان ابا نواس اغرب في صلفه ، وامعن في تيهه ، واعرض عما كانت عليه الشعراء منذ جاهليتهم حتى زمنه . فلقد شاء النمط الجاهلي ان يستهل الشاعر قصيدته — مهما كان غرضه من قريضه — بذكر الديار والاطلال ، والدمن والآثار ، فيشكو ويبكي ، ويخاطب الطلل والرسم ، ثم يتوصل بذا الى النسيب والتغزل ، فيشكو الم الجوى ، وفرط الصبابة ، وشدة الشوق ، ولوعة الغرام والهيام ، ثم يعقب هذا بشكوى النصب والسهر ، وسرى الليل ، وانضاء الراحلة والبعير ، وهنا يكون السامع قد صوب نحو هدف الشاعر اذنه الصاغية ، وقلبه الواعي ، فينال الشاعر بذلك امنيته ، ومناه . هذه الاغراض ، او هذه الطقوس ، كانت تفترض على كل من حرك شفتيه بقول الشعر ؛ بيد ان صاحبنا ابا نواس ابى ان

= وان جرت الالفاظ يوماً بمدحه　　لغيرك انساناً فانت الذي نعني

والذي يقول في الهجاء :

وما ابقيتُ من عيلان الا　　كما ابقت من البظر المواس

وما حامت عن الاحساب الا　　لترفع ذكرها بابي نواس

والذي يقول في الزهد :

وما الناس الا هالك وابن هالك　　وذو نسب في الهالكين عريق

فقلت : « هذا كله لابي نواس ! » قال : « هو هو !! » .

يسلك هذا المسلك الوعر ، بل تأفف وسخر ، وتهكّم وازدرى ، فقام يخاطب ذوي هذه الطريقة العتيقة بقوله :

تبكي على طلل الماضين من اسدٍ ✲ لادرّ درك ! قل لي من بنو اسدِ
ومن تميم ومن قيس ولفهما ✲ ليس الاعارب عند الله من احدِ
لاجفّ دمع الذي يبكي على حجر ! ✲ ولا صفا قلب من يصبو الى وتدِ !

ولقد ازداد في تهكمه غلواً ، وطما هزؤه على القديم وذويه ، والتالد ومحبيه بقوله :

عاج الشقي على رسم يسائله ✲ وعجت اسأل عن خمارة البلد

وكأنني بصاحبنا ابي نواس ينشدنا بلسان شاعر العراق الكبير المرحوم الزهاوي :

سئمتُ كل قديمٍ ✲ عرفته في حياتي
ان كان عندك شيءٌ ✲ من الجديد فهاتِ

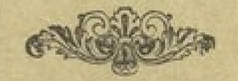
على ان ابن هانئ لم يكتف بهذا وذاكم ، بل اوغل في هجاء من يكره الجديد والتجدد ، ولحا هذه العشيرة ببيت بكّت فيه على شعراء الاطلال تبكيتاً مضحكاً ، غدوا به هزء الدهر واضحوكة الزمن فقال :

قل لمن يبكي على رسمٍ درس ✲ واقفاً ما ضر لو كان جلس !؟

وما كاد هؤلاء يسمعون هذا الهجو المضحك المقذع ، حتى صحوا من غفوتهم ، وآضوا يفتشون عن الجديد ، ليهصروا اغصانه ، ويتذوقوا

ثمراته الشهية ؛ ولم يك هذا الا عملاً بناموس الكون الذي ابى ان تركد اطراف الحياة او تأسن متعها ، اذ التجدد هو عرى الحياة التي تستمد منها قواها ، وهو الذي يفصل بين العصور و تاريخ الامم .

ومهما يكن من شيء ، فان هذا الشاعر المجدد عفا عما تقدمه من عادات استهجنها ، واستن لنفسه طريقاً «١» جديدة سار فيها وحده ، ولكن لم يكن لاي قليل ، حتى حذا حذوه ادباء كثير ، وغدا هو فيهم اماماً ، وهذا ما عناه صاحب كتاب اعلام الناس بقوله : « ان ابا نواس هو اول من ابطل القياس ! » والامثال امامكم عديدة في خضم الادب العربي . وحسبنا صاحبنا ابو نواس .



«١» الطريق يؤنثه اهل الحجاز ، ويذكره اهل نجد .

الحرية هدف كل امة، وامل كل
قوم، وليس لشعب ضعيف اعزل،
فقد حريته وقام يطالب بها،
الا يعتصم بحبل لغته، ويلوذ
بكنفها لتنشأ شبيبة تتأدب
بأدب لغتها العالية؛ ويكون لها
قوة بالغة فى الخطابة والفصاحة.

الكرماني

العربي قبل الاسلام«١»

وجد العربي نفسه في صحراء نائية، تبدّت له فيها ظواهر الطبيعة، دون خفاياها، فلم يكن نظره يقع الا على الناقة والجمل، والسهل والجبل، والكلب والسجال، والسماء والبطحاء، والتلال والفيافي، والوهاد والنجاد، والسباع الضارية، والوحوش الكاسرة، والغزلان الشوادن، والظباء الفواتن، مما لا يخرج عن ظاهر الامر، ولا يدخل في كوامن الاشياء.

واذا كان لهذه المؤثرات طابعها في الافراد، فكذلك لها طوابعها في الامم، فالاقوام تتوارث المشاعر والاحساسات الداخلية، وهذه المشاعر والاحساسات تتكيّف زماناً ومكاناً، وقد كان لما رآه العربي في بيئته، اثره في ادبه وشعره، او قل في نثره ونظمه، فولع بالمحسوسات ولعاً كبيراً، وهام بها هياماً شديداً، واصبح قصارى الوصف عنده ان يشبه لك شيئاً بشيء، لا ان يحدثك عن ماهية الشيء الذي بين يديك اذ انه يجهل ذلك ولا يعرفه، وان بيئته الطبيعية التي حبته شعوره واحساسه، لم تكن توحي اليه بشيء من هذا ابداً! فالسماء عنده كالقبة؛

«١» نشر هذا المقال في جريدة الاتحاد الحلبية الغراء، في عدد (٦٥٨) المؤرخ ٦ ايلول سنة ١٩٣٦، بتوقيع ابي نزار.

والليالي كالثياب السوداء ، والغدير كالمرآة ، والقمر كسبيكة من لجين...
مما لا يخرج عن مقابلة شيء بشيء آخر .

اما ما يوحيه الليل الساكن الى النفوس ، من هلع ولوعة ، وشوق وألم ، ولذة وسعادة ؛ وما تحرك به لواعج الانسان ومشاعره ، لرؤية البدر المنير ، والغدير المترقرق ، والسماء ذات الآيات الباهرة ، فهذا مما لا يحدثكم عنه الادب الجاهلي ، ولا الشاعر العربي اذ ذاك ، لانه غير محسوس ولا ملموس ولا مرئي ، ولانه يحتاج الى التعمق والولوج الى دخائل الاشياء ، وهذا لم يتعوده .

***

ثم ان العربي نشأ في خيمة غير منسقة ولا منظمة ، تجاور فيها مواعينه وادواته التي يستخدمها ، والملابس التي يرتديها ، وبجانبها مطيته التي يمتطيها ، وعدة سلاحه التي يذب بها عن حقيقته وحماه ، وكل هذه الاشياء في غير ما ترتيب ولا تنسيق . والعربي ايضاً خياله محدود وغير متنوع ، فقلما يرسم له خياله عيشة غير عيشته ، او حياة غير حياته ، لذا لم يعرف قوام الحياة المثلى ، ممن جاوره في تخوم بلاده ، لان هذا وليد الخيال ، والطبيعة لم تجد له بشيء منه .

والعربي ايضاً نشأ في محيط مفكك الاوصال ، متقطع الروابط ، بلغت فيه البغضاء قرارتها ، والشحناء غايتها ، حتى كادت اواصر الروابط

بينهم ان تنقطع ، وصلات المحبة ان تنفصل ، فهو منذ ان وجد ، شعر بالوحدة والفردية ، وغذّت فيه الطبيعة هذا الشعور ، لخلوّها من مظاهر الحياة المتشابكة المترابطة ، اذن فكان طبيعياً ان ينعدم الترتيب والتنسيق في شعره ، وان تتفرق المعاني ايدي سبأ ؛ ولقد أثر هذا الشعور في نفس العربي تأثيراً عميقاً ، حتى اصبح لا يحس الا بالفردية المجزأة ، ولا يشعر الا بالوحدة المفرقة ، فهو اذا اراد ان يصف حبيبته ، او يصور معشوقته ، فانه يحدث عنها ولكن ... لا انها كائن حي ، يحبّ فيه انسانيته ، بل انما تحدث لكم عن عينها مرة ، وعن ثغرها اخرى ، وعن ساقها منفردة ، وعن قدها منفصلاً !! وكأنه يحب فيها هذه الاشلاء متفرقة مبعثرة ، لا مجتمعة مؤلفة ! وكأنه لا يشعر بروحها التي يمتزج حبها في سويداء قلبه ، ولا يشعر بما يحصل من أثر الحب المتفتحة اكمامه ، حين المد والجزر .

كل هذه العوامل التي كان يشعر فيها العربي في صحرائه ، هي التي حدته ان يكون ذا ادب ساذج بسيط ، مقتصراً على ظواهر الحياة وصورها المجردة ، ولم يكن ينتظر منه في دراسة الادب تحليلاً او تعمقاً ولا بحثاً نفسياً او جولاناً في تأثير الشاعر على بيئته ، او تأثير البيئة على شاعرها ، نعم كل ذلكم لم يكن معروفاً لدى العربي ، لان شعره صورة من نفسه ، ونفسه صورة عن الصحراء ، فاذا ما اخذتم قطعة من الادب الجاهلي — نظماً او نثراً — واجلتم الطرف فيها ، تناثرت لكم المعاني الجافة ، واحاطت

بكم عنة ويسرة ، حتى يحسب القارىء انه ينتقل في تلكم الصحاري الجرداء المحرقة ، وتلعب به ارياح البداوة اللافحة ، بما فيها من وهج ورمال وهباء، ويخال انه في سفح جبل او على رابية، وقد شدت الخيام هنا وهناك وانبثت اعلى واسفل ، وان ضوضاء الحي وغوغاءه تنقلهما الرياح ، وتعكس صداها، فيسمع جلبة تارة ، ولغطاً اخرى ، يتخللهما حداء وغناء ، ثم لا يلبث ان يسمع لجب الاعراب وقد امتطوا صهوات جيادهم ، وتفرقوا كتائب ومقانب ، وفي مقدمهم خطيب مصقع اعتلى نشزاً من الارض واخذ المخصرة «١» بيده ، يشير بها ليحث قومه في تنفيذ مهمة ، ثم لا ينقل نظره في سطور اخرى ، حتى يسمع وغى حرب تضج لها الفيافي ، وتهلع من هولها الآفاق ، هذا على ناقته ، وذاكم على جمله ، وآخر راجل يهوى بصارمه ، وسواه راكب يطعن بقناته ، وحول هؤلاء الغازين ، الغاديات الحسان ، والكواعب الهيف ، ينشدن الاناشيد المؤثرة ، ويهزجن لرجالهن ، برجز يثير منهم العواطف الغالية .

«١» النشز — المكان المرتفع ، والمخصرة (بكسر الميم وسكون الخاء وفتح الصاد والراء) ما يتوكأ عليه كالعصا ونحوه ، او ما يأخذه الملك يشير به اذا خاطب ، والخطيب اذا خطب .

لا تحيا امة اضاعت لغتها .

الكرماني

النقد في الجاهلية«١»

يحدثنا الادب العربي ان الخنساء عرضت يوماً شيئاً من شعرها في معرض الشعر في عكاظ ، على النابغة الذبياني رئيس الموسم ، فقال لها :

اذهبي فانت أشعر من كل ذات ثديين ، ولولا أن الاعمى (يعنى الاعشى) انشدني قبلك ، لفضلتك على شعراء هذا الموسم . وكان ممن عرض شعره حسان بن ثابت ، الشاعر المعروف ، فغضب ، وقال للنابغة :

أنا أشعر منك ومنها !

فقال النابغة : اجيبيه يا خنساء !

فقالت الخنساء : ما أجود بيت في قصيدتك هذه التي عرضتها الآن يا حسان !

قال حسان : أجوده قولي :

لنا الجفناتُ الغرّ يَلْمعنَ بالضحى
وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

فقالت الخنساء : والله يا حسان ! لقد ضعف افتخارك في ثمانية مواضع :

«١» الخنساء في اللغة الظبية ــ وهذه برزت في الشعر على جميع نساء العرب ، ولم يجارها فيه الا ليلى الاخيلية ــ وقال بشار : لم تقل امرأة قط شعراً الا تبين الضعف فيه ، فقيل له : او كذلك الخنساء ؟ ؟ قال : تلك فوق الرجال .

فقد قلت : لنا الجفنات ، والجفنات ما دون العشر ، ولو قلت الجفان لكان أكثر .

وقلت: الغر ، والغرة البيضاء في الجبهة ، ولوقلت البيض لكان اكثر اتساعاً .

وقلت : يلمعن ،واللمع شيء يأتي بعد شيء ، ولو قلت : يشرقن لكان اكثر ، لان الاشراق أدوم من اللمعان .

وقلت : بالضحى ، ولو قلت بالدجى لكان اكثر للطارقين .

وقلت : أسياف ، والاسياف ما دون العشرة ولو قلت سيوف لكان أكثر .

وقلت :يقطرن ،ولو قلت يسلن لكان أكثر.

وقلت : دماً،والدماء اكثر من الدم.

فسكت حسان ولم يحر جواباً .



في
موت
اللغة
بوار
الامة

الكرماني

اقسام الشعر «١»

...اما وقد انتهى بنا المطاف من تحليل العوامل التي أثرت على الادب الجاهلي ، فجعلته ادباً طبيعياً ، وليد القفار ، وعشير الضواري ، لم تدخله أداة الدراسة ، ولا عامل تحليل ، فاريد الآن ان اتحدث اليكم عن تقسيم الشعر العربي ، واحب ان اتطرأ الى تقاسيمه في بقية الامم الحية ، واود بذا ان تلموا ان تلكم الفواعل والمؤثرات السابقة ، هي التي علقت بالشعر الجاهلي علوقاً بيناً ، حتى اوقفته عند غرض واحد لا يتعداه .

ان للشعر مادة يتيمة هي الخيال ، والخيال غذاؤه المشاهدة والحس ، وقد كان العربي لا يرى غير وجوه البادية . ولا يسمع من الاقاصيص الا البطولة والحرب ، ولا يعرف من الجمال الا جمال المرأة ، لهذا ابدع في وصف مرئياته جمعاء ، واجاد التعبير عن عاطفة الحماسة يوم الخصومة والجدل ، وتفنن ما شاء له الحب في الغزل ، اذن فنحن نستطيع ان نحكم على الشعر العربي بانه وجداني محض ، او غنائي محض ، حيث ان الشاعر لا يعني الا بتصوير نفسه ، والتعبير عن شعوره وحسه ، وقد كانت هذه

«١» هذا فصل من كتاب الفه الاستاذ الكرماني ، للصف الثالث التجهيزي في المدرسة العلمانية الفرنسية ، عندما كان استاذاً فيها ، وقد نشر في جريدة الاتحاد الحلبية الغراء ، عدد (٦٦٢) المؤرخ ١٦ ايلول سنة ١٩٣٦ .

العاطفة تتجلى في عدة اشياء : في الفخر والرثاء، والمدح والهجاء ، والاعتذار والوصف ، والحكمة والمثل ، والنسيب ؛ هذا هو الشعر العربي الوجداني المحض ، اما بقية اقسام الشعر الموجودة فى بقية اللغات الحية ، فهي غير موجودة في لغتنا العربية .

* * *

اما الاوروبيون فانهم يقسمون الشعر تقسيماً فنياً الى ثلاثة اقسام :
شعر وجداني Lyrique ، وهو ان يستمد الشاعر من طبعه ، وينقل من قلبه ، ويعبر عن شعوره وما يختلج في جوانحه وعواطفه ، فتدخل فيه انواع الشعر العربي بجملتها ،

وشعر قصصي Epique ، او (الملاحم) وهو نظم الوقائع الحربية ، والمفاخر القومية ، في شكل قصة كالإلياذة اليونانية التي نظمها « هومير » في حروب « طراودة » والشاهنامة الفارسية التي نظمها الحسن بن اسحق الفردوسي المتوفي عام ٤١١ هـ . في تاريخ الاكاسرة ؛ وكانشودة رولان الفرنسية .

وشعر تمثيلي Dramatique ، وهو ان يعمد الشاعر الى واقعة ، فيصور الاشخاص الذين جرت على ايديهم ، ويُنْطِق كلاً منهم بما يناسبه من الاقوال ، وينسب اليه ما يلائمه من الافعال ، ولهذا القسم شروط صعبة المراس : اهمها الا تقل ابيات القصيدة عن ٢٠ الف بيت .

هذان النوعان الاخيران لا أثر لهما في شعرنا ، ولم يخبرنا الادب العربي في كل مراحله الغابرة ، ان عربياً نظم منهما قليلاً او كثيراً اللهم الا ما نظمه المرحوم ، احمد شوقي بك ، امير الشعراء في هذين القسمين. وهنا قد يهمس احدكم بنفسه متسائلاً : لماذا كانت العربية خلية من الشعر القصصي والتمثيلي ؟ وهل هي وضيعة حتى يصيبها هذا النقص ؟ ام ان اسلوبها يعجز عن القيام بما يستحق هذان القسمان ؟ وهل العرب في جاهليتهم تضعف مداركهم عن الانشاد بهما ؟!!

هذه اسئلة ترد على كل واحد منكم ، ويلذ له ان يعلم الحقيقة .

الحقيقة ان اقسام الشعر الثلاثة وجدت متعاقبة متتابعة ، والامم اقتبست هذين القسمين عن بعضها ، ودرجا اليهم بطريق النقل والاختلاط.

الشعر وجد منذ وجود هذا العالم الشمسي ، والبشرية لا تعرف له واضعاً ، بيد ان التاريخ يحمل الينا في صفحاته الخالدة ، ان هذه الاقسام الثلاثة من الشعر ، وجدت قبل كل شيء عند اليونان متعاقبة لا مصطحبة ؛ اي انها كانت اطواراً للحياة الشعرية اليونانية جاء بعضها أثر بعض ، وكان الشعر القصصي اذ ذاك طوراً من الحياة الادبية الملائمة لبيئة اليونان في سذاجتهم ، إبّان القرن التاسع والعاشر قبل المسيح . وكان الشعر الغنائي طوراً من الحياة ايضاً ، ملائماً للرقي الضروري ، وللتطور الاجتماعي والسياسي ، الذي ظهر عند اليونان في القرن السادس والسابع قبل المسيح . وكان الشعر التمثيلي اثراً من آثار

الحياة الديموقراطية والرقي العقلي الفلسفي ، الذي ظهر عند اليونان ايضاً في القرن الخامس قبل المسيح ، وكان كلما قوي نوع ضعف ثانيه ، ثم نقلت هذه الانواع الى امم اخرى تقليداً لليونان ، فنحن لا نشك ان الممثلين الرومانيين « تيرانس وبلوت » قد قلدا الممثلين اليونانيين واقتفيا التمثيل اليوناني ، وان المحدثين من الاوروبيين سيما الفرنسيين قد قلدوا اليونان والرومان فيما استحدثوا : من قصص وتمثيل وغناء ، اذ آثار الرومان ظاهرة عند « كورني وبوالوا » ، وآثار اليونان ظاهرة عند « راسين » ، وآثار اولئك وهؤلاء بادية عند « موليير وفولتير » وغيرهما من اصحاب القصص والغناء والتمثيل . والعرب لم يصل اليهم شيء منهما ، ولذا لم يقلدوهما ، ولا نظموا فيهما ؛ ولو انهم عرفوهما ولم يستطيعوا تقليدهما ، لحكمنا عليهم ، او على لغة بالشين .



ان الشعر الجاهلي ، لم يفقد قيمته التاريخية والادبية ، من حيث هو تصوير صادق للحياة الجاهلية .

المستشرق الفرنسي رينان

المجددون في الجاهلية «١»

ظل عرب الجاهلية يتبعون في اسلوبهم الادبي ما وجدوا عليه آباءهم ردحاً طويلاً ، وفي خلال هذا الزمن لم يعلمنا التاريخ ان عربياً قام ينفض عن كتفه غبار القديم ، ليظهر ببزة جديدة ، او هيئة حديثة ! ! ولربما ينم قولهم : « انا وجدنا آباءنا على ذلك وانا على آثارهم لمتبعون » عن شيء مما اقول .

ركدت بيئتهم الادبية هذا الركود المر ، الى نحو قبل الاسلام بخمسين حجة ، وتسربل اليهم الضجر ، وتغلغل في احشائهم الملل ، وسئموا تلكم المناهج الكلامية الموروثة عن زمن مجهول ، واصبحت السآمة تبدو بدواً ظاهراً في تقديرهم لكل شيء ، يشف عن كونه جديداً . وهنا نهض رجال افذاذ كامرىء القيس ، والاعشى ، والنابغة الذبياني ، وزهير بن ابي سلمى ، فتفننوا فى النظم والنثر ، وذهبوا بهما مذاهب اطربت العرب ، واستهوت قلوبهم ، حتى غدوا يلقبون امرأ القيس بملك الشعر لابتكاره : « استيقاف صحبه ، والبكاء في الديار ، ورقة التشبيب ، وقرب المأخذ ، وتشبيه النساء بالظباء والبيض ، وتشبيه الخيل بالعقبان والعصى وقيد

«١» نشر هذا المقال في العدد (٦٥٣) من جريدة الاتحاد الحلبية الغراء المؤرخ في ٢٦ آب عام ١٩٣٧ ، بتوقيع ابي نزار .

الاوابد ». ثم اعقب هؤلاء بهاليل آخرون ، مثل الفرزدق وجرير والاخطل ، فمحوا معالم من تقدمهم من الادباء، ودكوا اسسهم، وقوضوا اساليبهم ، واخترعوا منهاجاً طريفاً يلتئم مع تطور الامة العربية الجديد ، وفي كلمة الوزير جعفر البرمكي ، التي كان يخاطب الشعراء فيها وقت الانشاد خير دليل على ذلك: « قل ولا تطل ، فاني امل الاطالة » بينما كان الشعراء قبلُ يتسابقون في مضمار الاسهاب والاطناب ، والملوك والامراء يجزلون عطاء ذوي القصائد الطويلة .

ومهما يكن من امر ،فان حاجة الحياة تدع المرء يشرئب الى الاحداث الجديدة ، والتطورات الحديثة ، وان رسوب متع الحياة في قعر جدول سكن ماؤه حتى اسن ، لما يخلق نزعة تقذف صاحبها الى خليج واسع يسيل هنا وينساب الى هناك ، كي يرجع لنفسه ذاكم الرونق الزلالي العذب ، وقد حدثتكم سابقاًان الانقلاب الادبي ينتج عن تمخض في مرافق الحياة ، وقد يشوب هذا التمخض ملل في البيئة ، وسآمة في النظم،وضجر في مرافق الحياة جمعاء .

حدثتكم عن ماضي الادب وحاضره ، وعما انطوى تحت ذلكم الماضي ، من تقلب وانبساط ، ومد وجزر ؛ ولكن شئت ان اجعل اطوار الادب بحكم كل تطور جديد حصل فيه ، او نشأ عنه مذهب جديد ! ذلكم لانني متيم بكل جديد ، يدعم حجراً من بناء سيادتنا التي ننشدها ،

وحريتنا التي نطالب بها ، افلا اكون معذوراً اذا جعلت التجدد في الادب هو الحد الذي يفصله عما سبقه من الاعصر ، كما جعل المؤرخون الحادث الجلل علامة قائمة بين حضارة وحضارة ، وبين امة وامة ، وبين قسم من تاريخ الدنيا وقسم آخر ! واي تطور يستهوى الفؤاد ، ويستميل القلب اكثر من تطور الادب الذي هو بمثابة « كل الصيد فى جوف الفرا » .

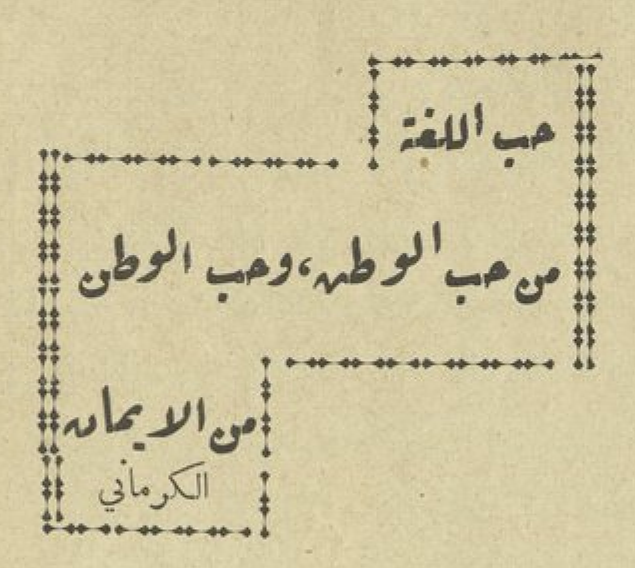
اثر البيئة في الشاعر

في الجنوب الغربي من قارة « آسيا » اقليم واسع الارجاء ، تبلغ مساحته مليوني ونصف كيلو متر مربع تقريباً ، وهذا الاقليم يسمى شبه جزيرة العرب ، (وقد يسميه الجغرافيون جزيرة العرب تجوزاً) . واذا أتيح لاحدنا ان يجوس خلال هذه الجزيرة ، فاعظم شيء يسترعي نظره ، هو صحراؤها الواسعة ، وجبالها الشامخة ، وارضها المفروسة بحجارتها السوداء تارة ، وبالحصباء اخرى .

تسلطت الشمس على هذه الجزيرة ، فلفحت ارضها ، ورمتها بوابل من اشعتها المحرقة ، فتلظى صحصحانها تلظياً ، واستعر استعاراً ، وقد نضب معين ثروة هذه البلاد الطبيعي ، فغدا اهلوها يعتمدون على ما تنبته بعض البقاع من اثر المطر ، فترعاه ماشيتهم ودوابهم ، وهم يأكلون من لحومها ، ويشربون من البانها ، ويلبسون من اصوافها واوبارها . وقد نشأ عن هذه

البيئة الطبيعية ان غدا العربي عصبي المزاج ، سريع الغضب والانفعال ، يثور للشيء التافه ، ثم لا تقف ثورته وحدته عند حد ، وهو اشد ثورة وهياجاً اذا جرحت كرامته ، او انتهكت حرمته ، او مست قبيلته . واذا غضب اسرع الى القرضاب والسمهري فانتضاهما واحتكم اليهما ؛ ولا زالت هذه حالته حتى فتنته الحرب ، واصبحت نظامه المألوف وحياته اليومية المعتادة . والادب هو ترجمان الحياة ، ومنطق النفس الانسانية ، واللسان المفصح عن مشاعر الروح وخلجات الضمير ، ومطمح الانسان وامله في هذه الحياة ؛ والنفس البشرية وان كانت متحدة في صفات اولية في جميع الاجيال ، غابرها وحاضرها ، ماضيها ومستقبلها ، بيد انها تمتاز وتختلف اختلافاً بيناً لسبب المؤثرات التي تخلقها كر العصور ، وتعاقب الازمان ، وما يتبع ذلكم من تقدم البشرية في طرق الازدهار والمدنية ، اذن... فللبيئة الطبيعية اثرها ، وللبيئة الفكرية فعلها ، ولعروج الانسان الى سماء الثقافة والحضارة اثر فعال ، ولمقدار التجارب التي تمر بالانسان اثر غير منكور ، ولكل ما يقع تحت حس الانسان صنع عظيم في تكييف الشعور وتوجيه الوجدان .




حب اللغة
من حب الوطن، وحب الوطن
من الايمان
الكرماني

كلمات قاموسية «١»

اللغات السامية هي اللغات التي تفي بحاجات الامم جمعاء ، وتقوم بتأدية رغائبها ومقاصدها ، فنية كانت تلك المقاصد او اجتماعية ، او اخلاقية او علمية ، فاذا لغة حجزها وزر ، او منعها مانع ، تضحى ليست بشيء ولا تنعت بذلك النعت المتقدم .

ولغتنا العربية لغة سامية مهمة ، ذات حضارة تالدة وثقافة تليدة ، بيد ان الدهر اخنى عليها بكلاكله ، ومزق احشاءها بتطاوله ، فغدت عروشها خاوية ، وسطورها خالية ، ترعاها الذئاب العاتية .

وهكذا شأن كل شيء يعتوره العوائق ويتسربل اليه الخلل ، حتى اذا ما نهض من كبوته وردد الطرف نحو نبوته ، فرتأ الصدع ورأب الجذع وراح يجدد ما تقوض من اسسه ، ويبني ما طمس من اركانه ، هنالك ينقلب

«١» نشرت هذه الكلمة في العدد الاول ، من (الجامعة الاسلامية) الغراء المؤرخ ٢٧ تموز عام ١٩٢٩ ، وقد صدرها الاستاذ صاحب الجامعة بما يلي :

لقد بدا للاستاذ عبد القادر الكرماني هذا البحث العلمي اللغوي ، الذي لا إخال ان ثاني اثنين يجحد ما له من الفائدة التي نحن في مسيس الحاجة اليه . ان ما نجده في بطون القواميس لا يكون حجة لان تكفينا عن هذه البحوث . لانه لا يتيسر لكل فرد ، او بالاحرى لكل شاب او كاتب . وسنسعى جهد استطاعتنا فى نشر رسوم الآلات الحديثة ، او ما يحتاج لوضوحها في الرسم مما يكتبه الاستاذ من الكلمات .

من ذات الصدع الى ذات الرجع ،ويعيد سيرته الاولى .

ومن ذا الذي يجحد ثقافة اللغة العربية وتبريزها فى كل ما تشاء وتروم ؟؟

من ذا الذي ينكر ان اللغة العربية لم تكن في عصورها الذهبية .
لغة حية امتدت حضارة ناطقيها من اقصى الارض الى اقصاها ؟؟

ولكن ... تلك حال كرور العصور ،ومرور الدهور ، فانها لا تبقى ولا تذر ،فشأناها انخفاض وارتفاع .

لقد غدونا في عصر العشرين ، واصبحت حاجاتنا تترى ،ومع كمال الأسف ،فان لغتنا العربية تحول جمالها الفتان الى دمامة ، وآضت كأنها سلعة من سلع الامم الدابرة ،والاقوام الغابرة ، ولولا كتاب الله المجيد يصونها ويحفظها ،لعادت اثراً بعد عين ، كان لم تكن شيئاً مذكوراً .

لقد اصبح الناطقون بها في حاجة ماسة الى الاطلاع على مفرداتها وكلماتها القاموسية ،حيث ان ما نطق به عرب الجاهلية والمسلمون ،وما اتى به القرآن الكريم،وما نراه في بطون المعاجم كلسان العرب والقاموس المحيط وفقه اللغة وغيرهن — اصبح في زوايا الاهمال والنسيان ، وصار الادباء والشعراء والمؤلفون والكتاب يضعون نصب اعينهم كلمات لا يريدون عنها بديلاً ؛اللهم الا نذراً يسيراً ممن شملتهم النهضة الاخيرة .

وان قائل قال يجب ان تكون مفردات الكتابة مسهلة واضحة !!

نقول له ان هذا غير وجيه ، لان الكتاب لو ظلوا ناهجين على ذلك ردحاً من الزمان ، لنسي الشعب العربي ما في بطون قواميسه ومعاجمه ، وهناك الضربة القاضية والطعنة النجلاء ، اللتان تنسفان اللغة العربية نسفاً ، وآنئذٍ تكون القواميس وما بها عادية من عاديات الدهر .

اذن من الضروري ان تعتني المجلات العلمية ، بنشر ما تفرق في بطون القواميس ، حتى يفقه كلماتها كل من تهمه لغته ، سيما نشؤنا الحاضر ، الذي يكد لان تتبوأ لغته المنزلة اللائقة بها ، فهو احوج الناس اليها ؛ وما احرى الكتاب والادباء ان ينسجوا على هذا المنوال !.

واحر بارباب الصحف والمجلات ان يؤازروهم ويعاضدوهم !

هذا : واني قد اخذت هذه الخدمة على عاتقي — على صفحات هذه الصحيفة الغراء ، راجياً نهوض اللغة والنشء الى مستوى الكمال ، منتقياً ما تشتد حاجة الاديب اليه ، منبهاً على بعض الخطيئات التي يكثر وقوعها في عبائر الكتاب والله الهادي الى الحق والصواب .

الكلمات

سَماوة : — اسم لكل صورة تمثل اعلى الشخص فقط التي تسمى بالفرنسية Buste . قال القاموس : في مادة سما « وسماوة كل شيء شخصه » وزاد تاج العروس « العالي » .

تَمَامة : — اسم لكل صورة تمثل كل الشخص ، التي تسمى بالفرنسية Image.

قال صاحب القاموس في مادة « السم » : وسمامة كسحابة شخص الرجل : وتسمى ايضاً طللاً وطلالة وقال فيه ايضاً « والطلل شخص كل شيء كالطلالة كسحابة » اي على وزن سحابة وتسمى ايضاً « آلاً » قال فيه ايضاً في مادة «آل» : والآل الشخص » .

فهذه الكلمات ارى ان النشء العربي في حاجة ماسة اليها لأنها تسد فراغاً واسعاً في الثقافة العربية .

(الأصيلة)— رأس المال . قال في القاموس في مادة (الاصل) : « واصيلتك جميع مالك » . وقد وردت في خطبة لمرثد الخير ، حاول فيها الاصلاح بين سبيع بن الحارث وميثم بن مثوب فقال : ان التخبط وامتطاء الهجاج واستحقاب اللجاج ؛سيقفكما على شفا هوّة ،في توردها « بوار » الاصيلة وانقطاع الوسيلة .

اذن : يستطيع العربي ان يحجم عن المركب الاضافي وهو «رأس المال » الى لفظة مفردة وهي (الاصيلة) كما يأتي الفرنسي بها مفردة مثلاً : Capital .

الشاعر ملك ، الشاعر اكثر من ذلك ، انه فوق افق البشر ، ينزل عليه « الوحى الشعرى » هدوء الفكر ومسرات العقل ، انه يكتشف عوالم حديثة على نحو « كولومب » ، دون ان يزايل مركزه ، ويفتح البلاد على نحو « شارلمان » من غير ان يتحرك من مكانه .

اناتول فرانس



أصحيح ان اللغة تشان ؟

اذا اخذت كلمات غيرها من اللغات ؟

(١) يقول كتاب Grammaire complète de la langue française القواعد التامة من اللغة الفرنسية Il n'est pas jusqu' à l'arabe qui ne nous ait enrichi d'une centaine de mots, parmi lesquels nous releverons. لم تبق لغة من اللغات الا واغنتنا بكلماتها ، حتى العربية (مع بُعْدِها عنا) فانها اتحفتنا بمائة من الكلمات ، وها نحن نرفعها اليك ايها القارئ (ترجمة بتصرف).

ثم اتي المؤلف بعدة كلمات عربية ، اخذها الفرنسيون واستعملوها في لغتهم ، وهي :

alcali القلي وفسر القلي «٢» وفسر القلي صاحب القاموس بشيء يتخذ من حريق الحمض ، فيكون ما نسميه الآن بملح القلي .

«١» هذه حاشية من مقال ، نشره الاستاذ الكرماني في (الجامعة الاسلامية) الحلبية الغراء تحت عنوان « درجة العلم في الشعب مقياس رقيه » في العدد الثالث منها، المؤرخ ٥ ايلول سنة ١٩٢٩ «٢» القلي بوزن «الي» او بكسر القاف وسكون اللام.

الكحول اي كل سائل قابل للتخمر Alcool

علم الجبر Algébre

الجبري اي المختص بعلم الجبر Algébrique

الامير ؛ وقد يطلقونه على امير البحر خاصة Amiral

الامارة او إمارة البحر خاصة Amiralat

لون ازرق Azur

البازار (لفظة عامية) اي السوق Bazar

قهوة Café

صفر ، ويطلقونه على الارقام Chiffre

1-2-3-4-5, etc اي من الواحد حتى العشرة : ويطلقونه ايضاً على الارقام الرومانية وهي : V IV III II I

شراب ، بيد انهم يخصونه بالشراب المشبع Sirop من السكر .

سلطان Sultan طبل Tambour

عمامة ، ولعلّ هذه الكلمة مأخوذة من اللغة الفارسية Turban

صفر Zéro

هذه هي الكلمات التي ذكرها المؤلف في كتابه ، وهناك كلمات أخرى اخذها الفرنسيون من لغتنا العربية ايضاً :

قميص chemise جرة Jarre منارة Minaret

طسة (طاسة) Tasse ديوان.— مجلس الملك ، Divan .

واصل ديوان مجتمع الصحف ، او كتاب يكتب فيه اهل الجيش واهل العطية، واريكة شبيهة (بالكناية canapé) Divan .

جمل او بعير او فصيل Chameau

كيمياء Alchimie كيمي او كيموي «١» (كيماوي) Alchimique

سكر Sucre تبغ Tabac نركيلة Narguilé

انبيق اي جهاز يستعمل في المعامل Alambic الكيموية لاجل تقطير السوائل او المائعات .

صابون Savon ،سلطة Salade

الى غير ذلك من مئات الكلمات ، وليس الفرنسيون آخذين من لغتنا العربية فقط. بل ان بقية اللغات السامية اخذوا منها كمية وافرة لاسيما اللغة الانكليزية اهـ . اذ اخذ الفرنج كلمات عن لغتنا ولم يتحرجوا بذلك ولم يأبهوا باقوال النقد وتعيير الاجانب. فلمَ بالاحرى لغتنا الضعيفة التي عجزت عن ترجمة وتعريب اكثر الكلمات الجديدة.

«١» القاعدة في نسب الاسم الممدود هي : اذا كانت همزة الممدود للتأنيث ، قلبت عند النسب واواً . مثل : حسناوي في حسناء ، واذا كانت اصلية بقيت على حالها عند النسب . مثل : انشائي في انشاء ، واذا كانت للالحاق ، او منقلبة عن اصل ، جاز بقاء الهمزة ، او قلبها واواً . مثل : علباء وسماء . تقول : علبائي وعلباوي ، وسمائي وسماوي .

لقد اصبح احتفال الأمم بعد
تعاقب مائة عام على وفاة الفضلاء
من رجالها، عقيدة قومية فى كل
الامصار، وهذا ما جاء به القرن
التاسع عشر.

المؤرخ الايطالي فيرتو

ذكر ما ورد في القرآن بلغة الحبشة «١»

جاء في الصحيفة ٢٣ من هذا الكتاب أن الامام الجاحظ ، ذكر ما ورد في القرآن الكريم ، من الكلمات الاعجمية .

غير اني عثرت على رسالة الفها العلامة السيوطي ، تحت عنوان: «المتوكلي» فيما ورد في القرآن باللغة الحبشية والفارسية والهندية والتركية والزنجية والنبطية والقبطية والسريانية والعبرانية والرومية والبربرية . » والمتوكلي — كما قال مؤلف الرسالة — نسبة الى امير المؤمنين جعفر المتوكل ، لان هذا الخليفة امره ان يكتب له مؤلفاً في هذا البحث ، فسماه باسمه .

ويقول السيوطي — رحمة الله عليه — : «ان هذه الرسالة مختصرة من كتابه المبسوط المسالك» .

ولقد رأيت ان انشر هذه الرسالة في هذا الكتاب ، ليثق القارئ والباحث ان القرآن الكريم استعمل كلمات اعجمية ، من مختلف الالسن واللغات ، وان المصلحة العامة تدعو العرب لا سيما اعضاء المجامع العلمية — لان يتلقفوا الاسماء والكلمات ، التي لابد من استعمالها في الحياة العامة ، على ان تندمج في الاوزان العربية ، اذا امكن ذلك ، كقولك : في اجور Abat-jour بفتح الهمزة وسكون الباء وضم الجيم بوزن (عصفور) اوبفتح الهمزة والباء بوزن (ملكوت).

«١» في كتاب الصاحبي لاحمد بن فارس ، طبع المكتبة السلفية بمصر ، صحيفة (٢٨): «باب اللغة التي بها نزل القرآن» . حدثنا أبو الحسن علي بن ابراهيم القطان قال: حدثنا علي بن عبد العزيز عن أبي عبيد ، عن شيخ له أنه سمع الكلبي يحدث عن ابي صالح عن (ابن عباس) قال: نزل القرآن على سبعة احرف ، اوقال بسبع لغات ، منها خمس بلغة العجز «بفتح العين وضم الجيم» من هوازن —

... وبعدفهذاذكر ماوردفي القرآن باللغة الحبشية والفارسية والهندية والتركية والزنجية والنبطية والقبطية والسريانية والعبرانية والرومية والبربرية والله اعلم .

اخرج ابن أبي حاتم عن رفيع فى قوله تعالى « فول وجهك شطر المسجد الحرام » قال تلقاء بلغة الحبشة . واخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى « يؤمنون بالجُبت والطاغوت » قال الجبت اسم الشيطان بالحبشية والطاغوت الكاهن . واخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير مثله . واخرج الطَّسْتي في مسائله

= وهم الذين يقال لهم (عُلياهوازن) وهي خمس قبائل او اربع، منها ، (سعد بن بكر) و (جشمُ بن بكر) و (نصر بن معاوية) و (ثقيف) .

قال (ابو عبيد) : واحسب أفصح هؤلاء (بني سعد بن بكر) لقول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « انا افصح العرب، بَيدَ أني من قريش ، وأني نشأت في بني سعد بن بكر » وكان مسترضعاً فيهم ، وهم الذين قال فيهم (أبو عمرو بن العلاء) : افصح العرب (عُليا هوازن) و (سُفلي تميم) .

وعن (عبد الله بن مسعود) انه كان يستحب ان يكون الذين يكتبون المصاحف من (مُضر) .

وقال (عمر) : لا يُملينَّ في مصاحفنا الا غلمان (قريش) و (ثقيف) .

وقال (عثمان) : اجعلوا المملي من (هُذيل) والكاتب من (ثقيف) .

قال (ابو عبيد) : فهذا ما جاء في لغات مضر . وقد جاءت لغات لاهل (اليمن) في القرآن معروفة . منها قوله جلَّ ثناؤه « متكئين فيها على الارائك » فحدثنا ابوالحسن علي ، عن علي بن عبد العزيز ، عن ابى عبيد قال : حدثنا هُشيم اخبرنا منصور عن (الحسن) =

عن ابن عباس رضي الله عنهما ،ان نافع بن الازرق قال لابن عباس: اخبرني عن قول الله تعالى « انه كان حوباً كبيراً » قال اثماً كبيراً بلغة الحبشة . وأخرج ابن جرير وأبو الشيخ وابن حبان عن ابن عباس فى قوله تعالى : « ان ابراهيم لأواه » قال :الاواه الموقن،وفي لفظ المؤمن بلسان الحبشة . وأخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد وعكرمة قالا: الأواه الموقن بلسان الحبشة. وأخرج وكيع وابن جرير وابو الشيخ عن ابي ميسرة عمرو بن شرحبيل قال :الأواه الرحيم بلحن الحبشة. واخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم وابو الشيخ عن وهب بن منبه فى قوله تعالى « وقيل يا ارض ابلعي ماءك » قال

= قال : « كنا » يقال انها بالحبشية . وقوله « هيت لك » يقال انها بالحورانية . قال : فهذا قول اهل العلم من الفقهاء .

قال : وزعم اهل العربية ان القرآن ليس فيه من كلام العجم شيء ، وانه كله بلسان عربي، يتأولون قوله جل ثناؤه «انا جعلناه قرآناً عربياً » وقوله « بلسان عربي مبين».

قال (ابو عبيد) : والصواب من ذلك — والله اعلم — مذهب فيه تصديق القولين جميعاً . وذلك ان هذه الحروف واصولها عجمية — كما قال الفقهاء — الا انها سقطت الى العرب فاعربتها بالسنتها ، وحولتها عن الفاظ العجم الى الفاظها، فصارت عربية . ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب . فمن قال عربية فهو صادق ، ومن قال عجمية فهو صادق .

قال : وانما فسرناهذا، لئلا يقدم احد على الفقهاء فينسبهم الى الجهل ، ويتوهم عليهم انهم اقدموا على كتاب الله جل ثناؤه بغير ما اراده الله جل وعز ، وهم كانوا اعلم بالتأويل ،وأشد تعظيماً للقرآن .

قال احمد بن فارس : ليس كل من خالف قائلاً في مقالته فقد نسبه الى الجهل .

ازدريه بلغة الحبشة . وأخرج ابن ابي حاتم وابو الشيخ عن سلمة بن تمام الشقري في قوله تعالى « وأعتدت لهن متكأ » قال هو بكلام الحبش الأترج . وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى « طوبى لهم » قال طوبى اسم الجنة بلغة الحبشة . وأخرج ابو الشيخ عن سعيد بن جبير قال مثله . واخرج ابن مردويه عن ابن عباس في قوله تعالى «تتخذون منه سكراً» قال :السكر بلغة الحبشة الخل .وأخرج الحاكم في المستدرك وصححه،عن ابن عباس في قوله تعالى « طه » قال هو كقولك يا محمد بلسان الحبش . وأخرج وكيع وابن أبي شيبة وابن ابي حاتم عن عكرمة قال:طه بلسان الحبش يا رجل. وأخرج ابن ابي حاتم عن عكرمة في قوله تعالى « وحرم » قال وجب بالحبشة . وأخرج ابن مردويه

= وذلك ان الصدر الاول اختلفوا في تأويل آي من القرآن فخالف بعضهم بعضاً . ثم خلف من بعدهم من خلف ، فاخذ بعضهم بقول ، واخذ بعض بقول،حسب اجتهادهم وما دلتهم الدلالة عليه . فالقول اذن ما قاله ابو عبيد ، وان كان قوم من الاوائل قد ذهبوا الى غيره .فان قال قائل : فما تأويل قول ابي عبيد ، فقد اعظم واكبر ؟

قيل له : تأويله انه اتى بأمر عظيم وكبير . وذلك ان القرآن لو كان فيه من غير لغة العرب شيء ، لتوهم متوهم ان العرب انما عجزت عن الاتيان ،بمثله لانه اتي بلغات لا يعرفونها ، وفي ذلك ما فيه .

واذا كان كذا ،فلا وجه لقول من يجيز قراءة القرآن في صلاته بالفارسية، لان الفارسية ترجمة غير معجزة. وانما امر الله جل ثناؤه بقراءة القرآن العربي المعجز. ولو جازت القراءة بالترجمة الفارسية ،لكانت كتب التفسير والمصنفات في معاني القرآن باللفظ العربي ،اولى بجواز الصلاة بها ، وهذا لا يقوله احد .

عن ابن عباس فى قوله تعالى « كطي السجل للكتاب » قال السجل بلغة
الحبشة الرجل. وأخرج عبد بن حميد عن ابن عباس في قوله تعالى « كمشكاة »
قال المشكاة بلسان الحبشة الكوة . وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن
أبي حاتم عن مجاهد مثله . وأخرج وكيع وابن أبي شيبة عن سعيد ابن
عياض الثمالي مثله. وأخرج ابن جرير عن ابي ميسرة في قوله تعالى « أوّبي
معه » قال سبحي بلسان الحبشة . وأخرج ابن ابي حاتم عن مجاهد في قوله
تعالى « فأرسلنا عليهم سَيْلَ العَرِم » قال العرم المسناة التي يجتمع فيها الماء
ثم ينشق بلسان الحبشة . وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن السدي فى
قوله تعالى « تأكل منسأته » قال هي العصا بلسان الحبشة . وأخرج ابن
جرير وابن مردويه عن ابن عباس في قوله تعالى « يس » قال يا انسان
بالحبشة . وأخرج ابن ابي حاتم عن سعيد بن جبير قال « يس » يا رجل
باللغة الحبشية . وأخرج ابن ابي حاتم عن عمرو بن شرحبيل في قوله تعالى
« انه أوّاب » قال الأواب المسبح بلسان الحبشة . وأخرج ابن ابي شيبة
وابن المنذر وابن أبي حاتم عن أبي موسى الاشعري في قوله تعالى « يؤتكم
كفلين من رحمته » قال ضعفين بالحبشة . وأخرج وكيع وسعيد بن منصور
وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم عن ابي موسى الاشعري والبيهقي
في سننه عن ابن عباس في قوله تعالى « ان ناشئة الليل » قال قيام الليل
بلسان الحبشة اذ قام الرجل قالوا نشاء . وأخرج ابن ابي شيبة وابن ابي

حاتم والحاكم وصححه عن ابن مسعود في قوله تعالى « ان ناشئة الليل » قال هي بالحبشية قيام الليل . وأخرج الفريابي عن سعيد بن جبير في قوله « ان ناشئة الليل » مثله. وأخرج ابن جرير عن ابن عباس في قوله تعالى « السماء منفطر به » قال ممتلئة به بلسان الحبشة . واخرج ابن جرير وابن ابي حاتم عن ابن عباس في قوله « فرت من قسورة » قال الاسد. واخرج الطستي عن ابن عباس ان نافع بن الازرق سأله عن قوله تعالى « انه ظن ان لن يحور » قال انه لن يرجع بلغة الحبشة. واخرج ابن ابي حاتم عن داود بن ابي هند في قوله تعالى « انه ظن ان لن يحور بلى » قال بلغة الحبشة يرجع . واخرج ابن ابي حاتم عن عكرمة في قوله تعالى « انه ظن ان لن يحور » قال: لن يرجع ، الا تسمع الحبشي اذا قيل له: حر الى اهلك اي ارجع الى اهلك . وأخرج ابن جرير وابن ابي حاتم عن عكرمة في قوله « وطور سينين » قال : سينين الحسن بالحبشية . وفي فنون الافنان لابن الجوزي قال: « الارائك » السرور بالحبشية . وقال « يصدون » معناه يضجون بالحبشية. وفي البرهان لشيذلة ، والارشاد للواسطي ، ولغات القرآن لابي القاسم في قوله « كوكب دُرّيّ » قال: الدريّ المضيء بالحبشية .وذكر الاخيران في قوله « وغيض الماء » ان معناه نقص الماء . والله اعلم .

***

ذكر ما ورد في القرآن بالفارسية

أخرج ابن ابي حاتم عن الضحاك قال « الاستبرق » الديباج الغليظ بالفارسية . واخرج ابن ابي شيبة عن ابن عباس في قوله « سجيل » قال هي بالفارسية سنك، وكل حجر وطين. واخرج ابن ابي شيبة عن ابن سابط في قوله « سجيل » هي بالفارسية . وأخرج الفريابي عن مجاهد قال « سجيل » بالفارسية اولها حجارة وآخرها طين . واخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير في قوله « اذا الشمس كوّرت » قال غورت بالفارسية . وأخرج الفريابي عن مجاهد في قوله تعالى « له مقاليد السموات والارض » مفاتيح بالفارسية . وذكر الجواليقي فى المغرب وغيره ان مما ورد في القرآن باللغة الفارسية أباريق ، بِيَع ، كنائس ، التنور ، جهنم ، دينار ، الرس ، الروم ، زنجبيل ، سجين ، سرادق ، سقر ، سلسبيل ، وردة ، سندس قرطاس ، اقفال، كافور، كنز ، المجوس ، الياقوت ، المرجان ، مسك ، هود ، اليهود .

ذكر ما ورد في القرآن بالرومية

أخرج ابن المنذر عن وهب بن منبه في قوله تعالى « فصرهن » قال: قطعهن بالرومية . وأخرج ابن ابي حاتم عن مجاهد قال (الفردوس)

البستان بالرومية . واخرج ابن ابي حاتم عن مجاهد عن سعيد بن جبير قال: « الجنة » بلسان الرومية الفردوس . واخرج ابن المنذر وابن ابي حاتم عن مجاهد قال (القسط) العدل بالرومية . وأخرج الفريابي وابن ابي شيبة عن مجاهد قال (القسطاس) العدل بالرومية . واخرج ابن ابي حاتم عن سعيد بن جبير قال (القسطاس) بلغة الروم الميزان . وذكر شيذلة في البرهان في قوله تعالى (وطفقا) قال قصدا بالرومية قال (والرقيم) اللوح بالرومية ،وقال ابو القاسم في لغات القرآن هو الكتاب بلغة الروم ، وقال الواسطي في الارشاد الدواة بها . وذكر ابو حاتم اللغوي في كتابه الزينة وغيره ان (الصراط) الطريق بلغة الروم . وذكر الثعالبي في فقه اللغة ان (القنطار) باللغة الرومية أثنتا عشرة الف اوقية . وذكر جويبر في تفسيره المعرب في قوله تعالى (جنات عدن) انها بالرومية والله اعلم .

ذكر ما جاء فى القرآن بالهندية

اخرج ابو الشيخ، عن جعفر بن محمد عن ابيه في قوله تعالى (يا أرض ابلعي ماءك) قال اشربي بلغة الهند . واخرج ابن جرير وابو الشيخ عن سعيد بن مسجوح قال (طوبى) اسم الجنة بالهندية . وذكر شيذلة ان (السندس) رقيق الديباج بها .

***

ذكر ما جاء في القرآن بالسريانية

اخرج ابن جرير عن مجاهد في قوله تعالى (قد جعل ربك تحتك سريا) قال نهراً بالسريانية. وأخرج ابن جرير عن الضحاك في قوله (سرياً) قال جدولاً صغيراً بالسريانية . وأخرج سنيد عن سعيد بن جبير قال (طه) يا رجل بالسريانية . واخرج ابن جرير عن قتادة مثله . واخرج ابن جرير عن عبدالله بن الحارث ان ابن عباس سأل كعباً عن (جنات عدن) فقال هي الكروم والاعناب بالسريانية. واخرج ابن المنذر عن عبدالله بن الحارث ان ابن عباس سأل كعباً عن (الفردوس) فقال هي جنات الاعناب بالسريانية. واخرج الفريابي عن مجاهد قال (الطور) الجبل بالسريانية . واخرج ابن ابي حاتم عن ميمون بن مهران في قوله (وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هوناً) قال حلماء بالسريانية . واخرج ابن ابي حاتم عن الضحاك في قوله (هوناً) قال سريانية وقال هو هونا . واخرج ابن جرير عن الحسن في قوله (هيت لك) قال كلمة سريانية اي عليك . واخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن وهب بن منبه في قوله (ولات حين مناص) قال اذا اراد السرياني ان يقول (وليس) يقول ولات . وذكر ابو حاتم اللغوي في كتاب الزينة ان قوله تعالى (الربانيون وربيون) سريانية . وذكر الواسطي في الارشاد قوله (واترك البحر رهواً) اي ساكناً

بالسريانية وقوله تعالى (وادخلوا الباب سُجّداً) اي مقنعي الرؤوس بالسريانية وان (القيوم) هو الذي لا ينام بالسريانية ، وقال (الاسفار) الكتب بالسريانية، وان (القمل) الذباب بالسريانية . وذكر الجواليقي عن ابن قتيبة أن (اليم) البحر في السريانية . وذكر ابن جني في المحتسب ان قوله تعالى (وصلوات) هي الكنائس بالسريانية . وذكر جماعة ان(آزر) سب بالسريانية وان (القنطار) بالسريانية ملء جلد ثور ذهباً او فضة والله اعلم .

ذكر ما ورد في القرآن بالعبرانية

اخرج ابن ابي حاتم عن ابي عمران الجوني في قوله (كفر عنهم سيآتهم) قال محا عنهم بالعبرانية . واخرج ابن ابي حاتم عن ابي عمران الجوني في قوله تعالى (يمشون على الارض هوناً) قال بالعبرانية حلماء . واخرج الواسطي في قوله (أخلد الى الارض) اي ركن بالعبرانية . وفي قوله (انا هدنا اليك) اي تبنا بالعبرانية . وفي قوله (كتاب مرقوم) اي مكتوب بالعبرانية ،وان (الرمز) تحريك الشفتين بالعبرانية . وان (الفوم) الحنطة بالعبرانية . وان (الأواه) الداعي بالعبرانية . وحكي الكرماني في العجائب :ان[طوى] رجل بالعبرانية. وحكى ابن الجوزي ان [اليم] البحر بالعبرانية . وذهب المبرد وثعلب الى ان [الرحمن]

عبراني . وذكر شيذلة ان [الاليم [الموجع بالعبرانية، وقال ابن خالويه في قوله [ولمن جاء به حمل بعير] اي حمار بالعبرانية، وروى ابن جرير عن مجاهد نحوه . وذكر بعضهم ان درست ، وحطة ، والاسباط ، وراعنا ، ولينة، والقسيسين ، كلها عبرانية والله اعلم .

ذكر ما جاء في القرآن بالنبطية

أخرج ابن ابي حاتم عن مجاهد عن الضحاك فى قوله [طورسينين] قال بالنبطية الحش ،وفي قوله « يحمل اسفاراً »قال كتباً ،والكتاب بالنبطية يسمى سفراً .وفي قوله « قال الحواريون»قال الغسالون للثياب وهي بالنبطية . واخرج ابن جرير عن الضحاك قال « الاكواب » جرار ليست لها عرى وهي بالنبطية . واخرج ابن ابي حاتم عن سعيد ابن جبير في قوله تعالى : « وليتبرّوا ماعلوا تتبيرا » قال : تبره بالنبطية . وأخرج ابن ابي حاتم عن مجاهد وسعيد بن جبير في قوله « سرياً » قال نهراً بالنبطية . واخرج ابن ابي عباس في قوله « بأيدي سفرة» قال بالنبطية القراء . واخرج ابن جرير عن ابن عباس في قوله تعالى : « فصرهن اليك » قال : فقطعهن بالنبطية. واخرج عن الضحاك مثله ،واخرج عن ابن عباس قال : « طه » بالنبطية يا رجل . وأخرج ابن ابي شيبة عن غكرمة وسعيد بن جبير والضحاك

مثله . واخرج ابن ابي حاتم عن الضحاك قال : النبط يسمون الجبل طوراً . واخرج ابن جرير عن السدي قال : « الفردوس » هو الكرم بالنبطية واصلها فرداسا . واخرج ابن ابي شيبة عن عكرمة في قوله تعالى : (الملكوت) هو الملك بالنبطية . واخرج ابن ابي شيبة وابن ابي حاتم عن ابن عباس في قوله (هيت لك) قال : هلم لك بالنبطية . وذكر ابن جني في المحتسب في قوله تعالى : (لا يرقبون فيكم الاً ولا ذمة) قال : الال بالنبطية اسم الله تعالى . وذكر ابو القاسم في لغات القرآن في قوله تعالى : (واترك البحر رهواً) اي سهلاً دمساً بالنبطية، وفي قوله : (ان عبدت بني اسرائيل) ان قتلت بلغة النبط ،وفي قوله : (وكان وراءهم ملك) اي امامهم بالنبطية، وفي قوله : (عجل لنا قطنا) قال كتابنا بالنبطية،وفي قوله: (اصري) قال عهدي بالنبطية . وحكي ابن الجوزي ان معنى (كفر عنا سيآتنا) اي امح عنا بالنبطية . وان (المقاليد) المفاتيح بالنبطية وذكر الواسطي في قوله (كفلين) قال نصيبين بلغة النبط . وحكي بعضهم ان « اليم » البحر بها اي النبطية . وفي قوله « كلا لاوزر » قال هو الجبل والملجأ .



ذكر ما جاء في القرآن بالقبطية

ذكر الواسطي في الارشاد في قوله (واعتدت لهن متكأ) قال هو الأترج بلغة القبط ،وفي قوله تعالى: (ولات حين مناص) قال فرار بالقبطية في قوله تعالى: (بضاعة مزجاة) قال قليلة بالقبطية . وحكي الكرماني وغيره في قوله تعالى: (فناداها من تحتها) اي بطنها بالقبطية . وذكر شيذلة وغيره فى قوله تعالى: (بطائنها من استبرق) اي ظواهرها بالقبطية وفي قوله تعالى: (الجاهلية الاولى) اي الآخرة وفي قوله «في الملة الآخرة» اي الاولى بالقبطية قالوا: والقبط يسمون الآخرة الاولى والاولى الآخرة . والله اعلم .

ذكر ما جاء في القرآن بالتركية

ذكر الجواليقي في قوله: (غسّاقاً) قال: هو البارد المنتن بلسان الترك .

ذكر ما جاء فى القرآن بالزنجية

اخرج ابن ابي حاتم عن ابن عباس فى قوله (حصب جهنم) قال حطب بالزنجية . وحكي ابن الجوزي ان (الأليم) الموجع بالزنجية وان

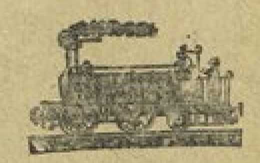
« المنسأة » العصا بالزنجية . والله اعلم .

ذكر ما ورد في القرآن بالبربرية

ذكر شيذلة وابو القاسم في لغات القرآن في قوله تعالى « كالمهل » قال: المهل عكر الزيت بلغة البربر ،وفي قوله تعالى : « غير ناظرين اناه » اي نضجه بلغة البربر ،وفي قوله « حم » انه الذي انتهى حره بلغة البربر ،وفي قوله تعالى : «من عين آنية » قال : جارية بلغة البربر، وفي قوله تعالى : «يصهر به ما في بطونهم » اي ينضج به بلغة البربر وفي قوله تعالى : « وأباً » انه الحشيش بلغة البربر . وذكر بعضهم ان (القنطار) بلغة البربر الف مثقال من ذهب او فضة .

***

قال السيوطي : «انتهى ما لخصته من كتابي المتوكلي، والله المستعان، وعليه التكلان ، وحسبنا الله ونعم الوكيل . الخ ...».



كان قلم ابن المقفع كثيراً ما يقف ، فقيل له في ذلك ؟ فقال :

تزدحم الافكار فى صدرى فيقف القلم لتخيره .

العامية والفصحى

كلمات فصيحة تتخاطب «١» بها العامة

— ١ —

لكل امة من امم الارض ، قديمة او حديثة ، ولكل شعب من شعوب العالم ، مهما علا مقامه في مجتمع الحضارة او انحط ، لغتان تكتنفان ارجاء حياته جمعاء ، لغة العلم والثقافة ، ولغة التكلم والتخاطب ، وقد يطلقون على الاولى لغة العلم Langue savante ؛ ويسمون الثانية لغة العامة Langue populaire . ان هاتين اللغتين عرفت بهما الشعوب على اختلاف الاعصر والاقطار والامصار ، وما شذ عنها رهط ، ولا استثنى منهما قوم ولا عشيرة ، في العصور الاولى ، وفي القرون الوسطى ، وفي هذا العصر المدني الصاخب «٢» ، نرى لكل امة لغتين : لغة العلم ، ولغة العامة.

«١» نشر هذا المقال في جريدة صوت الاحرار البيروتية الزاهرة عدد (١١٩٢) المؤرخ ٥ ايلول سنة ١٩٣٧ .

«٢» قسم المؤرخون التاريخ قسمين : الازمنة التي قبل التاريخ ، والازمنة التي بعده . فالازمنة التي قبل التاريخ ، وتسمى العصور المجهولة ، هي السنون التي مرت قبل ان يبدأ الانسان بتدوين افكاره واعماله وما يحدث له ؛ ولقد اطلع علماء الغرب في خلال حفرياتهم ، على كثير من الاسلحة ، والادوات القديمة ، والآلات التي تعود

غير انهما وان كانتا مترافقتين متلازمتين، فانهما تختلفان تكويناً واستصحاباً،
فلغة العلم ، او لغة المعاهد والمدارس ، او لغة الادباء والشعراء ، تكون

الى تلك العصور الغابرة ، التي لم يكن الانسان يعرف التدوين ولا الكتابة ولا التسطير،
اي في اول دخول البشر حظيرة التمدين ، او هيئة الاجتماع .

وتنقسم هذه العصور الى خمسة اقسام : عصر الحجر المقطوع ، عصر الحجر المنحوت ، العصر النحاسي ، العصر البرونزي ، العصر الحديدي . فالعصر الحجري المقطوع ، هو اول دور مر به الانسان ، وقد شاهد العلامة السيد بوشه دوبيرت . عام (١٨٤١) م في وادي السوم ، الكائن في بلاد فرنسا

آلات مقطوعة من الصخر الاملس ، وكانت هذه الآلات مدفونة تحت ستة اذرع فرنسية ، وفوقها ثلاث طبقات من الجص ، والفخار ، فلم يعبأ بها احد ، — الى ان تشكلت لجنة من العلماء عام ١٨٦٠ ، ودققت هذه الآلات ، وعلمت انها من صنع البشر ، اذ لا يجوز للحوادث الطبيعية ان تجعل قطع الاحجار بصورة ، آلات مصنوعة للاستعمال .

ثم جاء عصر الحجر المنحوت ، ويمتاز هذا العصر بالأدوات المصقولة ، وتوجد اغلب آثاره في البحيرات ، حيث كان الانسان يبني مساكنه على سطحها .

ولقد عرف الانسان في هذا الدور النسج ، ولكنه نسج غليظ خشن ، لأن العلماء رأوا قطع النسيج العائدة لهذا الدور ، داخل البيوت التي في البحيرات ، حيث استعملها الانسان في لباسه وغطائه وحاجاته ، ولكنه على كل حال كان نسجاً خشناً . وكذلك شاهد العلماء حباً من الحنطة وخبزاً فطيراً ، فعرفوا ان اهل هذا العصر تعلموا الزراعة والفلاحة ، وصنع الخبز بدون خميرة .

ولقد شاهد العلماء سكاكين من الصوان ، نحتت بحجر اصلب منه ، ولذا سمي هذا الدور بدور الحجر المنحوت .

على ان الغرابة التاريخية الموجودة في هذا الدور ، هي ان الانسان سكن فيه —

متقاربة لا تختلف كثيراً ، واذا كان ثمة مقارنة بين اديب واديب ، او بين مدينة ومدينة ، او بين قطر وقطر ، او بين عصر وعصر ، فان المقارنة تكون بالمفاضلة فقط ، ولا تعداها ابداً ، واذا شط بها الامر او اشتط ، واوغل المقارن في نواحيها ، فان المقارنة تدور حول الاساليب ليس الا ، واذا اعتدنا نحن — معشر العرب — ان نتخذ لها اسماء منوطة بالعصور الحاكمة ، فنقول : هذا اسلوب عصر العباسيين ، وهذا اسلوب الامويين او الفاطميين الخ. والافرنج جروا على ان ينيطوا اللغة بالقرون ، فيقولون: اسلوب القرن الثامن عشر ، او التاسع عشر ، او الخامس عشر مثلاً .

***

=في البحيرات ، إذ اكتشف الاثريون ذلك في سنة (١٨٥٤) في بحيرة «زوريخ Lac de zurik» فلقد كان الصيف شديد الوطأة في تلك السنة ، فانخفض ماء البحيرة ، وظهرت انقاض بيوت داخل الماء ، ولما دققها هؤلاء تبين لهم انها اعمدة من سوق الاشجار ، التي غرزت صفوفاً ، ووضع فوقها سطح خشبي ، ثم بنيت عليها البيوت ، بعيدة عن الساحل ، بينها وبينه جسر خشبي ، يرفع ويوضع ، فاستنتجوا من ذلك ان هذه البيوت شيدت في زمن كان الانسان يخاف فيه على حياته من الحيوانات المفترسة ، فشادها على سطح الماء ، خوفاً على حياته . ثم جاء العصر النحاسي وهو الزمن الذي عرف الانسان النحاس ، ودري طريق اذابته والاستفادة منه ، فاخذ يبني البيوت المحكمة ، التي اتخذها من الاشجار الضخمة ، اذ استطاع ان يوجد آلات من النحاس ، تمكنه من قطع الاشجار .

واقد وجدت اسلحة عديدة وحلي ، وادوات اخرى ، من اساور ، ومعاضد ، وحراب ورماح ، وسيوف وخناجر وبلطات ، استخدمها الانسان في حاجته وزينته=

ولكن مهما اختلف الاسلوب ، وتعددت اوضاعه واشكاله ،وتغايرت فقراته ونسقه ، فان الكلمات هي هي لا تتغير ،وقواعده هي هي لا تتبدل ، والفاعل مرفوع منذ ان نطقت به قبائل طسم وجديس ، والمفعول به منصوب منذ أن اهتدى الى تدوينه ابو الاسود الدؤلي ، وهكذا ظل بعد ثلاثة عشر قرناً .

***

نعم ان عامل الارتقاء ، وبقاء الاصلح ، وازدهار شئون الحياة ، تقضي بايجاد كلمات جديدة ، وان تطور الانسان يحتم ان يستبدل كلمات بكلمات ،وألفاظاً بألفاظ ، بيد ان لغة العلم في الاحوال كلها هي واحدة ، لا

= اذ ذاك ، مما يدل على رقيه وتقدمه، حيث استعاض بهذه الادوات النحاسية عن عظام الحيوانات التي كان يتزين بها في العصر الحجري . ويقول المؤرخون . ان الانسان استخدم الحيوانات في هذا الدور ، في مصالحه ، فحرث الارض وزرعها، واستعمل المعادن ، وتكاتف مع بني جنسه ، وألف مجتمعاً منظماً .

ثم جاء العصر البرونزي . وهو العصر الذي عرف الانسان فيه ان خلط النحاس مع غيره يزيده صلابة ، فخلطه مع القصدير الذي كان مكتشفاً جديداً ، فاستحصل بهذه الصورة على معدن البرونز ، وعمل منه السكاكين والمطرقات ، والابر والمناشير ، وغير ذلك . وبهذا الدور سار الانسان اشواطاً بعيدة في مناهج الرقي والتقدم ، حتى قيل : ان تاريخ المعادن هو ابتداء تاريخ الرقي ، واشهر الممالك التي اكتشفت آثار هذا العصر هي المانيا والدانمارك والسويد . ثم جاء العصر الحديدي ، وهو العصر الفاصل بين ازمنة ما قبل التاريخ والازمنة التي بعده وهذا العصر لا زلنا نحن فيه ، لاننا نستعمل الحديد بكثرة . ويدخل قسم منه في القرون الاولى . على ان الانسان تأخر كثيراً حتى =

يطرأ عليها فرق كبير ، ولا تغيير فادح. بخلاف لغة التخاطب ؛ فان ابناء اللغة الواحدة ، يختلفون بها اختلافاً بيناً كبيراً .

ان الرجل التونسي لا يفهم قصد ولا مراد الرجل السوري او المصري ، اذا كان كل منهما يتكلم بلغته العامية ، واذا فهم منهما شيئاً ، فبشق الانفس ، ونحن اذا شئنا الا نذهب بعيداً ،فانا نرى ان ابناء القطر الواحد يختلفون في لغة التخاطب اختلافاً يعسر معه التفاهم ، فمثلاً ان الحلبي يفهم من لفظة (الزكرتي) معنى البؤس والفقر ، ولكن الحموي والحمصي والدمشقي ، يفهمون من هذه الكلمة معنى الرجولة في لغة العلم ، او معنى (الشبباك) في لغة التخاطب ، وهذا فرق كبير ، واختلاف عظيم ،

= دخل في هذا الدور ، ذلك لان الحديد اصلب من النحاس ، واعثر في الدون ، وعندما عرفت البشرية ما للحديد من المحامد والمزايا ، التي تفوق فوائد النحاس والبرونز ، طفق يصنع اسلحته منه . ويحدثنا التاريخ ان الحديد كان ثميناً في عصر هومير Homère الشاعر اليوناني ، وكانوا لا يصنعون الا بعض الاسلحة المهمة وادوات الزينة .

هذه هي العصور المجهولة التي مرت على الانسان ، والتي لم يكن مرورها متساوياً ، بل قد يمتد دور منها امتداداً ، يربو على دورين او اكثر ! كما انها لم تمر على الشعوب بوقت واحد ، فقد يكون عصر الحجر المقطوع في امة ، وعصر البرونز في امة اخرى ، وبينما كان الشعب اليوناني في العصر البرونزي ، كانت الامة الدانيماركية في العصر الحجري ، وكانت الامة المصرية في العصر الحديدي . وهكذا شان الامم ، حينما تعلو واحدة منها السماكين رقياً وثقافة وحضارة ، اذ بالثانية تتخبط باحط دركات الوحشية والانحطاط .

والكلمة هي هي ، ونحن عرب والقطر واحد ، والبقاع واحدة ، ان هذا مثال واحد ، والامثال على ذلك كثير ، وليس هذا قاصراً على لغة العرب، بل هو هو في كل امة وشعب .

ان انتشار العلم ، وتعميم الثقافة ، وتلاشي الامية يخفف من غلواء العامية ، ويقلل الفرق بين لغة العلم ولغة التخاطب ، ذلك ان الفتى المتعلم، تتغلب على لسانه لغة دراسته ، ويستقيم اعوجاج تكلمه ، بسبب ترداده وتكراره ، لما يقرأه في بطون الكتب ، ويسمعه على مقاعد التدريس ؛ واني احسب هذا ثابتاً يلمسه كل فرد منا ، يلمسه في اخوته واقاربه ، وبني عمه ورهطه ، واصحابه واصدقائه ، فكلما ابتعد واحد منهم عن مناهل العلم ،

التاريخ المعلوم

— يبتدئ التاريخ المعلوم منذ وجود الروايات الموثوقة ، ويقسم بالنظر للأزمنة الى اربعة اقسام :

١ — القرون الاولى . وتبتدئ من العصور التي تثبت وقائعها في التاريخ ، الى انقراض ، روما الغربية ، عام ٣٩٥ ب . م . وهذا ما سار عليه مؤرخو الغرب .

وهناك جماعة من المؤرخين ، يعتبرون ظهور الدين الاسلامي الاغر ، خاتمة للقرون الاولى ، ومبدأ للقرون الوسطى . ويعللون ذلك بقولهم : ان انقراض روما الغربية كان هدماً لمدنية عظيمة ، تولاها بعض القبائل الجرمانية المتوحشة ، ولم يستطيعوا ان يشيدوا مدنية عوضا عن المدنية التي قوضوا اركانها . اما ظهور الدين الاسلامي فقد نشأ عنه تطور عام ، نقل الانسانية من الظلمات الى النور ، وشاد في الكون مدنية خالدة ، صبغها بصبغته ، وحول وجهة نظر العالم اليه .

٢ — القرون الوسطى تبتدئ من انقراض روما الغربية ، او ظهور الدين —

غدت لغته العامية قوية ، ولهجته التخاطبية مسيطرة عليه ، والعكس بالعكس . ولذا يقول علماء الاجتماع : اذا اردت ان تعرف مقياس رقي الامة وتقدمها، فانظر الفرق ما بين لغتها العامية والتخاطبية ، فاذا كان ضئيلاً قليلاً ، فاعلم ان الامة تميس في بحابح الثقافة ، والا فان الجهل يغشاها، ويحفها عن اليمين والشمال .

***

على ان هذا لا يعني ان اللغة العامية او لغة التخاطب ، هي لغة مستقلة بنفسها ، لا تمت الى لغة العلم والثقافة بصلة، بل كثيراً ما تكون لغة التخاطب مليئة بالالفاظ الفصيحة ، التي لا يمازجها رطانة ، ولا يخالطها عجمة ، وهذا

= الاسلامي — حسب الخلاف المتقدم — الى اكتشاف كولومب لاميريكا سنة ١٤٩٢ ب . م . او انقراض روما الشرقية ، او فتح المسلمين الاتراك القسطنطينية سنة ١٤٥٣ م .

٣ — القرون الاخيرة ، وتبتدئ منذ افتتاح القسطنطينية ، الى نشوب الثورة الفرنسية الكبرى عام ١٧٨٩ م .

٤ — العصر الحاضر ، وهو عبارة عن الحوادث التي جرت منذ الثورة الفرنسية المذكورة ، الى الآن . واهم حوادث هذا العصر : الثورة الفرنسية الكبرى ، ظهور ذوي الآراء الحرة ، الوقائع التي قامت بين فرنسا واوروبا ، تشكيل المستعمرات الفرنسية والانكليزية والهولاندية ، استقلال المستعمرات الاسبانية في اميركا ، تطبيق القضية الشرقية ، تقلص نفوذ الاتراك ، المداخلات الاوروبية في الشرق ، الوحدة الالمانية ، الوحدة الايطالية ، ظهور دولة اليابان ، الحرب العالمية الكبرى . انشاء الدول المهضومة ، والانقلاب السياسي العالمي الحاضر .

ما عنيناه بالتباعد او التقارب بين لغة التخاطب ولغة العلم ، ذلك لان لغة التخاطب هي لغة الدهماء ، هي لغة العامة ، هي اللغة التي يحسنها كل فرد من افراد الامة ، عالماً كان او جاهلاً او امياً ، عظيماً او حقيراً ، محترفاً او موظفاً ، كبيراً او صغيراً ، ذكراً او انثى .

اما لغة العلم فهي نسج وحدها ،لا يجيدها الا العالمون ، ولا يفهمها الا الخاصة . ولا يتكلم بها الا الذين اناروا مداركهم بمشاعل العرفان ، ومن اجل هذا كان ازدياد المتعلمين وانتشار العلم،متلافاً للغة العامة ،واتونا تحترق فيه ، وتبيد رويداً رويداً .

***

ان جل كتابنا اليوم—ممن لايقولون بمذهب الاستاذ سلامه موسى ومن نحا نحوه ، من وجوب استعمال اللغة العامية في الشعر والتأليف والكتابة — يشيحون باقلامهم عن استعمال الكلمات العربية الصحيحة ، التي ملئت بها لغة الدهماء ،ويشجّبون من يخط امثال هذه الالفاظ تشجيباً مقذعاً،وقد يرمونه بالجهل وضاءلة الخبرة،وعدم الاطلاع على اللغةواصولها، ومعاجمها وكلماتها ، ولا يكون قميناً به — على زعمهم — ان يحمل لقب اديب او كاتب او شاعر !؟

ولَمَ ذلك ؟ ومن اجل اي شيء ؟ لانه يستعمل كلمات تستعملها العامة؟ ولانه يكتب وينشد ويؤلف، بالفاظ ترددها الدهماء ،وتتخاطب بها اوزاع

الناس واخلاطهم ، وفي ذلك عار كبير ؛ ولقد اضطر الكتاب ان يراعوا هذه ،ويستعملوا الالفاظ الغريبة ، ويتكلفوا تكلفاً مشيناً ، يباعد بين الكاتب والقارئ ، مما لا يقره عقل ، ولا يوافق عليه منطق ، وكيف يستوحيه عقل او منطق ، وهو عمل يفسد على الكاتب تبيانه ، وينشئ في نفس القارئ سآمة واضطراباً ومللاً ، كل ذلك مخافة ان يقال : ان هذا الكاتب او ذاك الاديب ، يستعملان في كتابهما او ادبهما الفاظ العامة وكلمات السوقة ، وكأنه يرسل عليهم ريحاً صرصراً ، في يوم نحس مستمر ؟!.

* * *

ان في اللغة العامية الفاظاً عربية قحة ، لا تأتيها الرطانة من بين يديها ولا من خلفها ، وان المرء حر في استعمالها ، لا ضير عليه ولا تثريب ، وهي كثير ، كما ستراها في الفصول الآتية ، التي سأخصصها في تقديم قسم منها ، وانني ارى ، واحسب انني موفق في رأيي ، أن المصلحة القومية تقضي على الادباء والكتاب ، ان يتلقفوا تلك الكلمات الفصيحة التي يجدونها في اللغة العامية ، ويدمجوها في انشائهم ونثرهم ونظمهم وتآليفهم ، لتتقارب اللغتان تقارباً ، ينم عن رفع مستوى الأمة العلمي ، وليغدو الرجل العادي فينا قريباً من الصنف العالي ، حتى يسهل عليه فهمه ويستطيع ان يتذوق معنى الكتابة العالية .

ولا جرم ان هذا عمل قيم ، وخدمة تمكن الانسان العادي من اجادة الاسلوب الانشائي ، والنسق البياني ، دون ما تجشم ، ولا صرف زمن طويل .

هذا من جهة ،ومن جهة ثانية ،فان الدعوة الى استعمال اللغة العامية في الكتابة والشعر والتأليف المدرسي والعلمي —لاسيما في الاقطار المصرية— تلاقي مرتعاً خصباً ، ونفوساً ظمئة ، لانه يفتح باباً أمام كثير من الناس الذين تكونت لهم آراء اجتماعية ،اوعلمية ، او مالية ، او فلسفية ،ولكنهم لا يجدون لها الالفاظ ولا العبائر العربية الخالصة ، لضعفهم في اللغة ، وعدم اتقانهم لها ،فيتركون تلك الآراء في طيات نفوسهم ، وحنايا ضلوعهم ، دون ان يجرءوا على اظهارها او عرضها على الملأ .

ان هؤلاء يرحبون بفكرة استعمال اللغة العامية ليكون منهم ادباء وعلماء وماليون ، ولو انهم قيض لهم وللقائمين بهذه الفكرة ، ان يلبي لهم الطلب ، لنزل كابوس ثقيل على الامة العربية يفكك اوصالها ، ويبتر اجزاءها ، ويجعلها امماً عديدة متناكرة ، وشعوباً كثيرة متنافرة ، لاصلة بينهم ولا آصر ، فالشعب السوري — مثلاً — يغدو شعباً مستقلاً عن اقطار الامم العربية ، لا يحس باحساس المصري ، ولا يشعر بشعور العراقي . والحجازي يصبح امة مستقلة ،لا تهفو نفسه لغيره من الشعوب العربية ، ولا تربطه بهم رابطة ولا صلة .

ان هذه النتائج السيئة كلها ، ستنشأ عن مبدأ استعمال اللغة في التآليف العلمية والادبية والدراسية .

اذن أفلا يجدر بنا ان نروض القلم على استعمال الالفاظ الفصيحة الموجودة في اللغة العامية ؛ ليسهل على العامة ما يكتبه الخاصة ؟ اللهم نعم ، بل ان الواجب العربي يفرض ذلك فرضاً .



من الخطأ .. لا بل من الجناية ان يخطر ببال الأديب ، انه يحق له ان يكون بمعزلٍ عن مصالح قومه ورغائبهم ، وان يعدل بقريحته عن التأثير في اهل عصره ، وابناء زمنه ، وان يتفرد بحياته ، فلا يكون له عمل في البنيان الاجتماعي .

فمن الذي يخلص النية في الاعمال الجليلة غير الشاعر ؟ اي صوت يعلو في العواصف غير صوته ؟ ام اي وتر يستطيع ان يخفّفَ من شدة العواصف غير وتر قيثارته ؟ فمن الذي يقتحم الفوضى فيذهب بمقابحها ؟ ويهجم على الاستبداد ، فيدرج بمكارمه ؟ . وقديماً كان الشاعر صاحب الامر النافذ في الجمع بين الشعوب والملوك ، وحديثاً له الأمر في التفريق بينهم .

« فيكتور هوغو »

العامية والفصحى

كلمات فصيحة تتخاطب «١» بها العامة

العامة تستعمل لغة قبيلة عربية كبرى

— ٢ —

ان لغة التخاطب قد اشتملت على كثير من الكلمات العربية الفصيحة الصحيحة ، التي رددها آباؤنا الاولون ،وتكلم بها اقطاب الجزيرة ،واقيال قريش ، وخطب بها سحبان بن وائل،وعمرو بن معدي كرب (يعدعمرو هذا في الطبقة الثانية من الشعراء ، والاولى من الخطباء) . ونود الآن ان نأتي بقسم من هذه الالفاظ العربية القحة ، التي تتداولها الدهماء وتستعملها العامة .

اسماء الشهور

ان العامة تستعمل اسماء الشهور الاثني عشر صحيحة، دون ما رطانة

«١» نشر هذا المقال في جريدة صوت الاحرار البيروتية الزاهرة عدد (١٢٠٧) المؤرخ ٢٦ايلول سنة ١٩٣٧ .

ولا تغيير ، الا لفظي ُجمادي الاولى ، ُوجمادي الثانية ،حيث يحرّفونهما بعض التحريف ، إذ ان ضبط عربية « ُجمَادي » هكذا « بضم الجيم وفتح الميم ثم الف فدال وتنتهي بالف التأنيث المقصورة » ، ويكون وصفها مؤنثاً ايضاً فتقول : « ُجمادى الاولى وُجمادى الثانية » غير ان العوام يفتحون الجيم ويحذفون الف التأنيث ، ويصفونهما بالاول والثاني ، فيقولون : « َجماد الاول وَجماد الثاني »فيكون تحريفهما من ثلاث نواح : فتح الجيم بدل ضمها ، وحذف الف التأنيث المقصورة من آخرها ، ووصفها بالمذكر بدل المؤنث .

ومما تنبغي ملاحظته هو ان العامة تقول مثلاً « مْحرّماً » بسكون الميم ، بينما العروبة تقضي ان تقول : « محرماً » بضم الميم ، والقاعدة عند هؤلاء أنهم ينطقون بالحرف الاول ساكناً ، مع ان العربية لا تجيز الابتداء بالساكن ، كما أنها تمنع الوقف على متحرك .

ثم ان العامة لا تستعمل من اسماء السنين سوى لفظ (السنة) وهو عربي فصيح ، اما الحول والعام ونحوهما ، فلا أثر لها عندها .

اسماء الفصول

والعامة تخاطب باسماء الفصول صحيحة ، فيقولون : (الشتاء ، الربيع الصيف ،) الا الخريف ، فانهم يقولون : « الخليف » بدل « الخريف »

اي بابدال الراء لاما .

السعود

ولقد كانت العرب تطلق على الايام التي ينتهي بها فصل الشتاء ويأتي اول فصل الربيع اسم السعود ، ويسمونها سعود النجوم ، وهي عشرة ، غير ان العالم العربي يستعمل منها اربعة فقط ، وهي : سعد بلع « بضم الباء وفتح اللام » ، وسعد الاخبية « بفتح الهمزة وسكون الخاء وكسر الباء وفتح الياء » ، وسعد الذابح ، بالذال المعجمة ، وسعد السعود « بضم السين والعين » . والعامة تقول : سعد البلع « بفتح الباء واللام » وسعد الخبايا « بفتح الخاء والباء والف لينة ثم ياء ثم الف اخرى » ، وسعد الدابح بالدال المهملة بدل الذال المعجمة ، وصوابه كما ابناه سابقاً . اما سعد السعود فانهم يلفظونه صحيحاً .

ومما ينبغي الفات النظر اليه ، هو ان العامة يبدلون دائماً في لغتهم الذال المعجمة بالدال المهملة فيقولون : دبح بدل ذبح ، وداق بدل ذاق ، ودراع بدل ذراع ، وكداب بدل كذاب ، وقنفد بدل قنفذ ، وفخد بدل فخذ ، واخد بدل اخذ ، وخودة بدل خوذة ونحو ذلك .

أسماء الايام

والعامة تنطق باسماء الايام صحيحة ايضاً فيقولون : اربعاء ، خميس ،

جمعة، سبت ، احد ، وكلها صحيحة، سوى (اربعاء) فان ضبطها العربي «بفتح الالف وسكون الراء وتثليث الباء وفتح العين فألف تليها همزة » ، ولكن العامة يقولون : (اربعا) بسكون الراء والباء ، وقد يقصرون الالف الممدودة منه .

بقي عندنا لفظان ، وهما يوما (الأثنيَن والثلاثاء) فان لفظهما العربي بالثاء المثلثة ، بيد ان العامة يقولون : « الاتنين والتلاتاء » فيضعون التاء بدل الثاء ، ويقصرون (الثلاثاء) وهذا غلط ، على ان العامة اصطلحوا على قلب الثاء المثلثة بالتاء المثناة ، في مواضع كثير ، بل هي عندهم قاعدة مضطردة . مثل بعت بدل بعث ، وتخين بدل ثخين ، وتلت بدل ثلث ، وتلاتة بدل ثلاثة ، وتلج بدل ثلج ، وقد يبدلون الثاء سيناً . مثل حنس بدل حنث ، ونكس بدل نكث ، ومؤنس بدل مؤنث ، وارس بدل ارث ، وحبس بدل حبث ، وديوس بدل ديوث ، وغيس بدل غيث .

هذه هي اسماء الشهور والايام والفصول والسعود ، الا أن هناك امثال ليل ، نهار ، صباح ، مساء ، ساعة ، ضحوة ، دقيقة ، أمس ، اول امس ، غداً ، بكرة ، البارحة ، سهرة ، ليلة الغد .

فالعامة تستعمل هذه الكلمات دون ما غلط او نحت او تحوير ، الا البارحة ، فانهم يزيدون في اول هذه الكلمة نوناً ، ويقولون : انبارح ، والعربية خالية من هذه النون ، على ان المعنى الذي تقصده العامة منها صحيح ؛

ففي القاموس المحيط ، للعلامة مجد الدين الفيروزابادي في باب الحاء وفصل الباء ما يلي : « والبارحة اقرب ليلة مضت » وهـذا ما نعنيه في التخاطب العام .

أما كلمة (بُكْرة) « بضم الباء وسكون الكاف وفتح الراء » ، فانها عربية قحة ، تستعملها العامة في كلامها، دون ان تبدل منها حرفاً اوحركة، ولكن هناك خلاف جزئي في المعنى ، فان العامة تستعمله بمعنى الغد ، فتقول : بكرة سآتي اليك بعد الظهر او قبله مثلاً ، فدلنا ذلك على ان المراد منه الغد بصبحه وظهره ومسائه ، ولكن هذا يختلف قليلاً عما في معاجم اللغة ، ففي القاموس المحيط ، في باب الراء وفصل الباء : « البكرة » بالضم « الغُدوة » اي الابكار، لان الغدوة كما نص عليها، هي ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس . اذن فان بكرة في العربية بمعنى التبكير، لا بمعنى الغد ، هذا هو الفرق في بكرة بين لغة العلم ولغة التخاطب .

هذا وان كلمة « بكـّر » التي نستعملها في تخاطبنا هي عربية خالصة لا تشوبها عجمة ، فيقال : بكـّر ، وابكر ، وباكر أي أتاه بكرة.

ثم هاكم كلمات اخرى عربية أصلية، تستعملها الدهماء في كلامها : منها « البِكْر » بكسر الباء « العذراء » وجمعها ابكاره، واول ولد الأبوين ، ومنها البَكَرة « بفتح الباء والكاف والراء » اي بكرة الجب وهي خشبة يستقى عليها. وقول الوالدة لابنها « لا تكبر اللقمة يا بُنيّ » استعمال عربي فصيح ، وكذا هزه وهزّ به

اي حركه،والعامة تستعمل هذه الكلمة بكسرة، فتقول: هَزَّه،وهِزَّه .

نقز وثب ،والتنقيز الترقيص ، اما نقذ بالذال فمعناه نجا وتخلص .

وفى القاموس المحيط من باب الميم وفصل السين : الاسفنج عروق شجر نافع في القروح العفنة . ضاع الشيء يضيع فقد او تلف « والضيعة» الارض المغلة .

الغداء
الغذاء

الغذاء معروف ومنه تغذى .

صِهْريج « بكسر الصاد » والعامة تفتحها . وفي القاموس المحيط الصهريج كقنديل حوض يجتمع فيه الماء .

الشِطرنج ، بكسر الشين » لعبة معروفة ، والعامة يلفظونها بسين مكسورة .

التِبن ،« بكسر التاء » عصيفة الزرع من برّ ونحوه .

حَيَوَان ، بفتح الحاء والياء ، فاسكان الياء فيه كما تفعله العامة لحن .

الخَجِل ، بفتح الخاء وكسر الجيم ،والعامة تقول خجلان ، وهو استعمال غلط .

ثم ان هناك كلمات تردّدها العامة ، منتهية بألف ونون للمذكر ، وبنون وتاء للمؤنث.مثل : جوعان ، شبعان ، عطشان ، نعسان ، تعبان ، سكران ، سهران ، حيران ، ندمان ، بردان ، غضبان ، سخنان ،ضجران الخ ... فيقولون في مؤنثها جوعانة ،شبعانة ،عطشانة الخ...

الا ان بعض العرب لا يجيزون هذا الاستعمال على اطلاقه، بل ان كثيراً

من هذه الالفاظ ورد مؤنثها بالف التأنيث المقصورة ، واليكم البيان ، يقال : هو جائع وجوعان ، وهي جائعة وجوعى . والمستجيع من لا تراه ابداً الا وهو جائع ؛ ولا يقال جوعانة .

ويقال رجل شبعان ، وامرأة شبعانة وشبعى،من هذا نعلم ان العرب كانت تقول جوعى وشبعانة ، فيكون مؤنث الاولى بالف التأنيث المقصورة ،والثانية بالنون والتاء او بالالف المقصورة .

ويقال ايضاً : هو عطشان وعَطِش ،وهي عطشانة وعطشى ، وهم عطاش ،وهن عطشات وعطشانات .

ويقال هو نعسان وناعس ،وهي نعسانة ونعسى .

والعامة تقول :رجل تعبان ،غير ان العرب لم تستعمل هذا الوصف ، بل كانت تقول رجل تَعِب « بفتح التاء وكسر العين » .

ويقال رجل سكران وسَكِر ،وامرأة سكرانة وسكري وسكرة ، والجمع سَكارى « بفتح السين وضمها » ، والسكّير هو الكثير السكر .

ويقال رجل سهران وسُهار وساهر ، وامرأة ساهرة ، ورجل سهرة اي كثير السهر ، ولا يقال امرأة سهرانة .

وتقول العامة : رجل مرضان وامرأة مرضانة . الا ان العربية لم تعرف هذين الوصفين ؛والفصيح ان يقال رجل مريض وامرأة مريضة.

وهم مَرضى وهنّ مريضات ويقال ايضاً رجل حيران وحائر ، وانثى حيرى ، ولم يسمع حيرانة .

ولقد ورد عن العرب انهم قالوا : رجل ندمان ونادم وامرأة ندمى ، ولكن العامة تقول رجل ندمان وامرأة ندمانة (من الندم) فيكون خطأ العامة في استعمال وصف المؤنث حيث قالوا ندمانة بدل ندمى .

ومعنى ندمانة في اللغة العربية هو المنادمة وقد وردت عنهم واستعملت ، اما ندمى فمأخوذة من الندم .

والعامة تستعمل لفظ (بارد) للغليظ السمج ، وتستعمل كلمة (بردان) لمن اصيب بالبرد او البرداء « بضم الباء وفتح الراء والدال » ، اما بارد فهو عربي صحيح وان كان فيه قليل من التجوز . واما بردان فلم ارَ لها اثراً في كتب اللغة . والبرّادة بوزن جبانة ، اناء يبرد الماء ، وبرّد (بالتشديد) الماء جعله بارداً .

والعامة تقول رجل غضبان وامرأة غضبانة وهو استعمال صحيح فصيح .

وتقول ايضاً يوم سخنان وليلة سخنانة ، واصابته سخونة اي حمى ، وفلان سخن (بكسر الخاء) اي اصابته سخونة ، وكل ذلك صواب عربي مضبوط .

ويقال رجل فرحان وفرح ، وامرأة فرحانة وفرحى ، وهم

فراحي ،وهن فرحات . . .

والعامة تقول ضجران ودبلان « ذبلان » وهذا خطأ ، فان العرب لم تنطق بهما هكذا ،بل قالت :رجل ضجر ، وورد ذابل .

قبيلة بني اسد تقيس فعلانه وفعلانة

لقد تجلى ان كثيراً من الصيغ ، وردت عن العرب بوزن فعلان ، غير ان مؤنث هذه الكلمات اتى على قسمين : قسم بالتاء أي فعلانة ، كشبعانة ونعسانة. وقسم بالف التأنيث المقصورة .مثل :سكرى وحيرى .

اذن ان هذه الصيغ هي سماعية تحفظ عن العرب بواسطة المعاجم ، ولا يقاس عليها ، فما استعمله العرب يجوز لنا ان نستعمله ونتداوله ، وما لم يستعملوه ، حرم علينا ومنع .

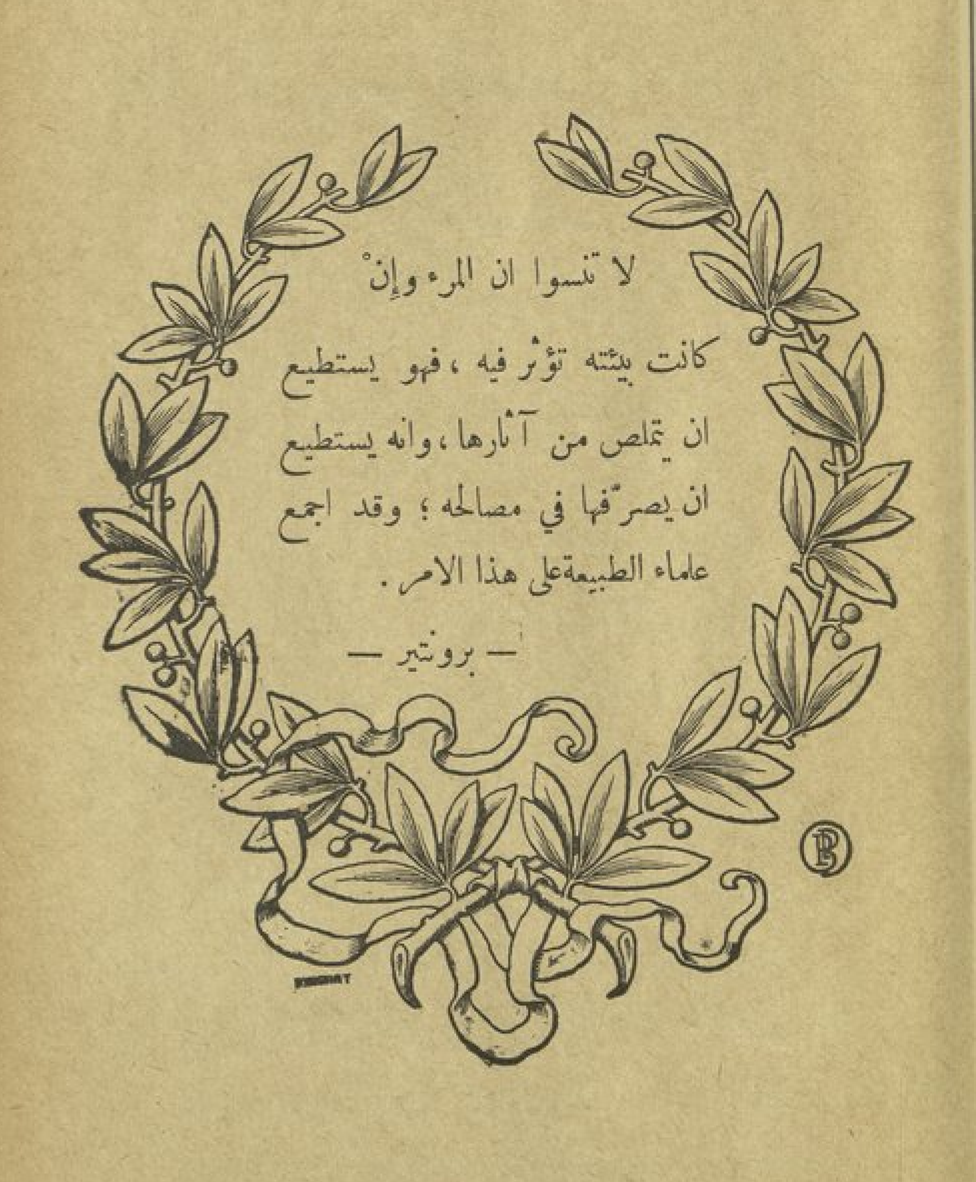
ولكن هناك قبيلة عربية تدعى قبيلة بني اسد، نكبت جانبها عما اتخذه العلماء وقرروه، وحللت ما حرموه وحظروه وقالت : ان كل ما كان وصف مذكره على وزن(فعلان) يكون وصف مؤنثه بزيادة التاه عليه. وهم يستغنون (بفعلانة) عن (فعلى) مثل : حيران وحيرانة ، وسكران وسكرانة ، وغضبان وغضبانة ؛ وقد اشار الى هذه القاعدة العلامة نور الدين الاشموني ،في شرحه على الفية ابن مالك ، في فصل(مالا ينصرف)، المسطور في الجزء الثاني ، صحيفة ٤٥٤ بما يلي : « ان قوماً من العرب ،

وهم بنو أسد ، يصْرفون كل صفة على فعلان ، لأنهم يؤنثونه بالتاء ، ويستغنون فيه بفعلانة عن فعلى ، فيقولون : «سكرانة وغضبانة وعطشانة»

ولا ريب ان هذا العصر — عصر العلم والسرعة والسهولة — يتطلب الاخذ بامثال هذه القاعدة ، التي تخفف كثيراً من عناء الدارس للغة القرآن ، الذي يحار عقله من ترادفها وقواعدها وضبط كلماتها ، وكأنني بالعامة قد اخذوا هذه القاعدة عن بني اسد ، وجعلوها كلية في اوصاف الذكران والأناث .

ولذلك اري ان الواجب العربي يدعونا لان نقر العامة على هذه القاعدة (الاسدية) ، ونبيح للكتّاب ان يختطوها في نظمهم ونثرهم وتأليفهم ، كما انني اتقدم بها الى المجمع العلمي فى دمشق ليطلع عليها ، ويبدي رأيه فيها ، وارفعها الى المجمع العلمي الملكي فى الديار المصرية ، ليتخذها قاعدة من جملة قواعده التي يقررها في جلساته ، وبذا نكون قد سذدنا ثلمة صغيرة مما نحن فى حاجة اليه .




لا تنسوا ان المرء وإنْ
كانت بيئته تؤثر فيه ، فهو يستطيع
ان يتملص من آثارها ، وانه يستطيع
ان يصرّفها في مصالحه ؛ وقد اجمع
علماء الطبيعة على هذا الامر .
— برونتير —

كلمات فصيحة تتخاطب «١» بها العامة

— ٣ —

تقول العامة : اعرج ،واكتع ، واعمى ،واقرع واقرع ، واحمر ،وابيض واخضر ، واصفر ، وازرق ، وارعن ، ونحو ذلك من الاوصاف المذكرة ،وهو استعمال عربي فصيح ،لاتشوبه لكنة ولا عجمة؛ولكنهم يقولون في الاوصاف المؤنثة :

عرجا ، وكتعا ، وعميا ، وقرعا ، وحمرا ، وبيضا ،وخضرا ، وصفرا ، وزرقا ، ورعنا . وفي هذا الاستعمال خطأ ، لانهم يلفظونها كأنها منتهية بالتاء ، او بالف التأنيث المقصورة . ، وكلا الاستعمالين غلط ، اذ القواعد توجب ان يقول العربي : عرجاء ، كتعاء ، قرعاء قرعاء الخ .

والقاعدة العامة في ذلك ، ان الصفات التي تدل على لون كالحمْرة ،اوعلى عيب كالعَرَج والحنف «١» ، او على حلية كالهَيَف والحَوَر ، يكون صفة المذكر منها على وزن (افعل) ، والمؤنث على وزن (فعلاء) .مثل :احمر حمراء ، اعرج عرجاء ،احنف حنفاء ،اهيف هيفاء ، واحور حوراء ...والعامة تستعمل :

البابونج —وهو زهرة معروفة كثير النفع ، والبنفسج ، وهو زهر

«١» الحنف — اعوجاج في الرجل ، او ان يقبل احد ابهامي الرجل على الاخرى ، او ان يمشي على ظهر قدميه من شق الخنصر . والهيف ضمور البطن ورقة الخصر . والحور اشتداد بياض البياض ،وسواد سوادها ، و تستدير حدقتها وترق جفونها .

معروف ، والبنج ، ففي القاموس « البنج نبت مخبّط للعقل ، مسكّن لاوجاع الاورام والبُثور ووجع الأُذن ،واخبثه الاسود .

وتستعمل ايضاً : توّجه البسه التاج ،والجَرَس ، ففي القاموس « الجرس الذي يعلق في عنق البعير ، والذي يضرب به » . وطوق ففي القاموس « الطوق حَلْي للعنق ، وكل ما استدار بشيءٍ . وسوار وهو نوع من الحلي الذي تلبسه المرأة في معصمها ، وفي القرآن الكريم في سورة الدهر : « وحُلّوا اساوِر من فضة » وفيه في سورة الكهف : « يُحلون فيها من اساور من ذهب » .

وقلادة وهي ما جعل في العنق ، وخاتم « بفتح التاء وكسرها » وفي القاموس : « الخاتم ما يوضع على الطينة ، وحَلْيٌ للاصبع ، ويجمع على خواتم . والخَلخَل حلي معروف يوضع في الرِجل ؛ والعامة تقول : (الخلخال)بزيادة الف ، وهو خطأ .

والعامة تستعمل لفظ (الحَلَق) للحَلْي المعلّق في شحمة الأُذن ، وهو غلط ، لان العربية تسمي ذلك (قرْطاً) ، وتجمعه على قروط واقراط ، اما (الحِلق) « بكسر الحاء » فمعناه خاتم المُلْك او خاتم من فضة بلا فص ، وتقول العامة : حلق رأسه عند الحلاّق وهو استعمال صحيح فصيح ، والمصدر منه حَلْق ، وكذا قولهم لحية حليق ، وحَلقة الباب .

وتقول العامة : سنارة وسنارات ، اسم للحلي التي تلبسها المرأة في

معصمها مكان السوار ، غير ان هذا ليس له اصل في اللغة ؛ نعم فى القاموس : (السُنار) « بضم السين وتشديد النون المفتوحة » اصل الذنب ، فلعلّ يكون ذلك على التشبيه ، خصوصاً وان السنار بوزن رمان ،وهو عربي معتبر .

وتستعمل العامة : القيد وتجمعه على قيود ، فتقول : وضعت الحكومة القيد في يدي اللص مثلاً ، وهو استعمال عربي .

ومن الكلمات المستعملة في لغة التخاطب (ناقوس) ، وهي كلمة عربية ، ففي القاموس : « والناقوس الذي يضربه النصارى لاوقات صلاتهم . وكذا قولهم (الناموس) لفظ عربي مبين .

وتقول العامة : نَجّس فلان يده فتنجّست ،وهو استعمال عربي، غير انها تقول : هذا نِس ، يبدلون الجيم سيناً ويدغمون السينين في بعضها ، وهو خطأ ، والصواب : هذا نَجِس .

وتستعمل العامة : كلمة (البُزاق) وهي عربية ، ولكن العامة تسكن اولها ، شأنها في اكثر الكلمات التي تستعملها، وهو خطأ، والصواب بضم الباء ، ولقد وردت هذه الكلمة عن العرب . بالزاي والسين والصاد هكذا : « بُزاق—بُصَاق—بُساق،ومنه بزق ،وبصق، وبسق .والبزاق ماء الفم اذا خرج منه ، وما دام فيه فهو ريق .

* * *

وتستعمل العامة ما يلي : إنجاص ، تفاح ، سفرجل ، دراقن برتقال ، موز ، عنب ، حصرم ، بطيخ ، خوخ ، رمان ، سكر ، لوز ، سمن ، رز ، زبد ، جبن والحليب هو اللبن . اما الذي نسميه (اللبن) في لغة التخاطب ، فالعربية تسميه (الخاثر) . وعسل ، دبس ، شعير ، تمر ، زبيب ، عدس ، حمص مشمش ، جوز ، فستق ، بندق ، تين ، زيت زنجبيل ، بصل ، ثوم ، ولكن العامة تنطق بها هكذا (توم) بالتاء بدل الثاء ، وهو غلط خس ، جزر ، لوبياء ، سلق ، بقلة ، قرع ، باذنجان ، فول ، توت ، ليمون ، كزبرة ، فلفل ، قرنفل ، كعك ، نشا ، فجل ، خيار ، سميد ، سكر ، عجة ، بيض ، كباب ، وفي القاموس : الكباب بفتح الكاف ، اللحم المشروح ، خل نار ، كبريت ، عجين ، خميرة ، طحين ، زبيل ، بوزن (أمير وسكين وقنديل) وعاء معروف ، ويجمع على زبلان ، والعامة تزيد في هذه الكلمة نوناً ، فتقول (زنبيل) وهو خطأ . وكل هذا كلمات عربية فصيحة .

وتقول العامة : قفة ، وجف الثوب بعد الغسل ، ومقدونس ، الا ان العامة يبدلون الميم باء ، فيقولون (بقدونس) ، وهو خطأ ، ولحم ، ومسك ، عنبر ، صندل ، قميص ، تكة ، والعامة تبدل التاء الاولى دالاً ، فتقول (دكة) وهو غلط .

زنار ، رصاص « بفتح الراء » زئبق ، مغنطيس ، درهم ، دينار ، ماس ، زمرد ، ياقوت ، فيروز ، والعامة تزيد في آخر فيروز جيماً

فيقولون (فيروجاً)و هو خطأ .

بِلور « بكسر الباء وتشديد اللام » ، والعامة تفتح الباء ، وهو استعمال غلط .

وتقول العامة : قُمْقُم ، وهون (والصواب هاون) وطست ، غير انهم يبدلون السين شيناً وهو خطأ . وكوز وخوان وفنجان وخزانة وطنفسة « بتثليث الطاء والفاء اي بضمها وفتحها و كسرها » وميزاب وهم يقولون (مزريب والصواب (ميزاب) . وفدان ، وقنطار،وقنطرة ، واصطبل ، وديوان ،وايوان، الا ان العامة تقول : (ليوان) ، والصواب (ايوان) ، وشيخ ، قسيس ، حاخام ، وهم يقولون : (خاخام) وهو خطأ .

ودهليز ، ناطور ، سرداب ، خندق ، بحر ، نهر ، ساقية ، دولاب ، ومينا ، ففي القاموس المينا «بالقصر » كل مرسى للسفن . ودكان ، وسيف ، ورمح ،وطبل ، وعود ، وناي ،وطنبورة ، وجلنار ، والعامة تحذف منها اللام ،وتقول (جنار) ، والصواب (جلنار) .

وصنم، وابريق ، وقيم ، ودب ، وحمار ، وجحش ، وبط ،ودجاجة وتجمع على دجاج ، وسبع ، وذئب ، وغول ، وفرس ، وبقرة ، وطير ، ولجام ، وشجر ، غير انهم يبدلون الشين سيناًفيقولون (سجر)،وهوخطأ . وخادم ،ومسجد ، وكلب ، وسمين ، ورقص ، ورقّاص ، وطيب ، وقصر ، وجبل ، ووواد .

سمك ، مكر ، وشكل غريب و كتاب ، وبلبل.

***

وتقول العامة : اليوم زمهرير وهو عربي فصيح ، في القاموس : الزمهرير شدة البرد وازمهرّ اليوم اي اشتد برده . و كذا جهنم اي شدة الحر ،وعظم ويجمع على عظام،ودهن،وميزان.والعروس،وزفّ،والعُرْس ويجمع على اعراس،وجهّز العروس،فتجهزت ،وجهاز العروس.وكلها كلمات عربية فصحى،فقط تستعمل العروس للرجل والمرأة،وهم عُرُس وهنّ عرائس وصفّ ،ومصفاة ، وكنّس ، مِكنسة ، وكُناسة ، وكنيسة وهي الفاظ عربية . والصحْو والغيم لفظان عربيان .

ويكثر ترداد (لهج) في لغة التخاطب ، وهي كلمة عربية فصحى ، وقد قال علي بن ابى طالب لصاحبه حُجْر بن عدي ،حينما بلغه انه يشتم معاوية: « واصلح ذات بينهم ، واهدهم من ضلالهم ، حتى يعرف الحق من جهله ، ويرعوى عن الغي مَن لهْج به .

وتقول العامة : هو مربوع القامة،وطار،طائر،طارة، وطائرة وطيّارة ، والصبح ، والظهر ، والعصر ، والمغرب والعشاء ، وحبة ، ورف ،وحصّة ويقال حصتي منه كذا اي صارت حصتي منه كذا ، وصحة ، ونَور ، لعب ، درس ، معلم ، كتاب ، قلم حبر ، مدرسة ، ورق ، دفتر ، صف. وكلها الفاظ فصحى.

وتستعمل العامة اسماء اعضاء الجسم فصيحة ، من وجه ، ورأس ، وصدر ، ويد ، ورجل ، وعين ، واذن ، وحاجب ، وبطن ، وسرة وخصر ، وركبة الخ .. وكذا شعر ، وشارب ، ولحية وسالف ، وسوالف الا انهم يقولون : (زالف وزوالف) بابدال السين زايا وهو ابدال خطأ .

ومصطبة ، وخان ، وبيت ، ودار ، ومَطبخ — وطبخ — ، ومَغارة وجب ، ، وبكرة ، وسطح ، وباب ، وعتبة ، في القاموس : العتبة محركة اسكفّة الباب او العليا منها . وارض ، وحائط ، ولكن العامة تقول : (حيط) بالامالة شأنهم في كل الف لينة ، مثل : لحيف بدل لحاف ، وكتيب بدل كتاب (اي عقد النكاح) ؛ وقد يبدلون الالف تاء . كقولهم : في فراش (فرشة) .



كم من خطاب الهب جوانح امة ، فصمدت للقوارع والصاخات ؟ وكم من كاتب انتشل قومه من دركات المذلة والصغار ، وقادها الى مهايع العزة والفخار ؟ وليس في هذا وذاك الا وقفة واحدة ، قام بها من استطاع ان يسحر ببيانه الباب سامعيه . هذا هو رمز الفصاحة الذي يفخر به اللسان ، وتتسامى من اجله اللغة .

الكرماني

كلمات فصيحة تتخاطب بها العامة

— ٤ —

وفي لغة التخاطب كل من : قبقاب ، في القاموس : « القباب النعل من خشب » . وسير ، في القاموس : « والسير بالفتح الذي يقد من الجلد ويجمع على سيور .

وأثفية « بضم الهمزة وكسرها وسكون الثاء وكسر الفاء وفتح الياء » وهي الحجر الذي توضع عليه القدر . غير انا نقول في لغة التخاطب (اتفاية) بابدال الثاء تاء وزيادة الف ، وهو خطأ ، والصواب (أثفية) كما قلنا . وحبل ويجمع على حبال ، وذهب ، وفضة ، وتبر وهو فتات الذهب والفضة قبل ان يصاغا ، او كل ما استخرج من المعدن قبل ان يصاغ ، وقنينة « بكسر القاف وتشديد النون المكسورة .

وجوهر «١» وهو كل حجر يستخرج منه شيء ينتفع به ، غير انا نقصد به في لغة التخاطب كل شيء ثمين جداً .

ولؤلؤ وهو الدر ، واحده لؤلؤة ، والعامة تقول (لولو) بحذف الهمزتين .

«١» والاجهر من لا يبصر في الشمس ، والمرأة جهراء . وجهوري الصوت اي عاليه .

والدُّر اللؤلؤة العظيمة ويجمع على دُرَر . وجلد ، وعصا ، ومبرَد ، وبَرْد وبرد الرجل برودة ، والبرَد الذي ينزل من السماء ، ومكحُلة « بضم الميم والحاء وسكون الكاف » ما يوضع فيها الكحل ، وكُحْل وهو كل ما يوضع في العين ، وكَحَل عينيه ، والعامة تشدد الحاء .

وسمن فهو سمين ، والعامة تقول : سمّين بسكون السين وهو خطأ ، وعلم الجبر «١» ، واب ، وام ، واخ ، واخت ، وعم ، وخال ، وجد ، وابن اخ ، وابن اخت ، وعمة ، وابن عمة ، وجار ، وجارة ، وحارة ، ومحلة ، وكبير ، وصغير ، وشريف ، ودنيء ، ومحترم ، ويتيم ، وفقير ، ومسكين ، وشحاذ

«١» علم الجبر اكتشفه (محمد بن موسى بن شاكر) المتوفى عام (٢٥٩) ه في عهد الخليفة المأمون العباسي . قال القاضي احمد بن خلكان ، في كتابه وفيات الاعيان ، ج ٢ صحيفة ٧٩ : ابو عبدالله محمد بن شاكر ، احد الاخوة الثلاثة ، الذين ينسب اليهم جبل بن موسى ، وهم مشهورون بها ، واسم اخويه احمد والحسن ، وكانت لهم همم في تحصيل العلوم القديمة ، وكتب الاوائل ، واتعبوا انفسهم في شأنها ، وانفذوا الى بلاد الروم من اخرجها لهم ، واحضروا النقلة من الاصقاع الشاسعة ، والاماكن البعيدة بالبذل السني ، فاظهروا عجائب الحكمة ، وكان الغالب عليهم من العلوم الهندسة والحركات والموسيقى والنجوم .

ولقد الف محمد رسالة قيمة في الجبر ، ترجمت الى اللغة اللاتينية ، في بدء النهضة العلمية ، واذيعت بين الناس في معظم الممالك الاوروبية ، وعثر على النسخة العربية الاصلية ، وحفظت في مكتبة (بوالي) بجامعة (اكسفورد) . ويعتقد العلماء ان محمد بن موسى جمع رسالته في علم الجبر من عدة مصادر ، كانت متداولة بين طلاب العلم في انحاء الممالك الاسلامية ، او انه اقتبسها من بعض المؤلفات الاخرى ، التي وصلت اليه مترجمة عن عدة لغات ، او انه الفها من مصادر هندية ، مقتبسة من علم العدد والحساب =

ولكن العامة تبدل الذال دالاً فتقول : (شحاد) وهو خطأ ، والصواب (شحاذ) .

وبائع ومشترٍ ، وباع واشترى ، وسام هذا الشيء اي ساومه عليه.

وحجّار ، وعطار ، وسمّان ، ونجار ، وقصاب وخضّار وحداد ، وسجان ، وبواب . وبانٍ .

وديك ، وحية ، وعقرب ، وعنكبوت ، وملح ، وبهار ، وفُلفُل ، ففي القاموس : والفُلفُل حب هندي ، وقرنفل ففي القاموس ايضاً : والقرنفل ثمرة شجرة بسفالة الهند . وقِرْفة ففيه : ومنه المعروف بالقرفة

= وذلك لان اهل الهند كانوا على علم تام بالجبر ، وعلى العدد فقد اخذ العرب يستعملون الارقام الحسابية ، التي كانت مستعملة في الهند وقتئذٍ .

* * *

هذا وان المأمون كان مغري بعلوم الاوائل وتحقيقها ورأي فيها ان دور كرة الارض اربعة وعشرون الف ميل ، كل ثلاثة أميال فرسخ ، فيكون المجموع ثمانية آلاف فرسخ بحيث لو وضع طرف حبل على اي نقطة كانت من الارض ، وأدرنا الحبل على كرة الارض حتى انتهينا بالطرف الآخر الى ذلك الموضع من الارض ، والتقى طرفا الحبل . فاذا مسحنا ذلك الحبل كان طوله اربعة وعشرين الف ميل ، فاراد المأمون ان يقف على حقيقة ذلك ، فسأل بني موسى المذكورين عنه فقالوا : نعم هذا قطعي وقال : اريد منكم ان تعملوا الطريق الذي ذكره المتقدمون حتى نبصر هل يتحرر ذلك أم لا ؟ فسألوا عن الاراضي المتساوية في أي البلاد هي ، فقيل لهم صحراء سنجار في غاية الاستواء وكذلك وطاءت الكوفة ، فاخذوا معهم جماعة ممن يثق المأمون الى اقوالهم ويركن الى معرفتهم بهذه الصناعة وخرجوا الى سنجار وجاءوا الى الصحراء المذكورة فوقفوا في =

على الحقيقة احمر املس مائل الى الحلو ، ظاهره خشن ، برائحة عطرة وطعم حاد حريف .

وحب (الهال) الواحدة حبة ،وجوز (الطيب) ، وحموضة وحُمُض الشيء « بفتح الميم وضمها وكسرها» ،وحُلو وحلاوة، وحلاّه جعله حلواً، ومُرّ ومرارة مرّ ويمرّ مرارة،والحاد والعامة تقول (حداً) وهو خطأ. والمز ، بضم الميم ، والعامة تفتحها وهو خطأ .

وحديد ، وسكين ، وطبق ، وموسى ، وقصعة ، وقشر ، وشراب ، وقبان،وقسطل ، وقُماش و كرسي ، ومنفاخ ،ودنيا وآخرة،وفأس،ومسلخ

—موضع منها فاخذوا ارتفاع القطب الشمالي ببعض الآلات، وضربوا في ذلك الموضع وتداً، وربطوا فيه حبلاً طويلاً ثم مشوا الى الجهة الشمالية على استواء الارض من غير انحراف الى اليمين واليسار حسب الامكان ،فلما فرغ الحبل نصبوا في الارض وتدا آخر،وربطوا فيه حبلاً طويلاً ومشوا الى جهة الشمال أيضاً كفعلهم الاول، ولم يزل ذلك دأبهم حتى انتهوا الى موضع اخذوا فيه ارتفاع القطب المذكور ،فوجدوه قدزاد على الارتفاع الاول درجة فمسحوا ذلك القدر الذي قدروه من الارض بالحبال فبلغ ستة وستين ميلاً وثلثي ميل،فعلموا ان كل درجة من درج الفلك يقابلها من سطح الارض ستة وستين ميلاً وثلثان، ثم عادوا الى الموضع الذي ضربوا فيه الوتد الاول وشدوا فيه حبلا وتوجهوا الى جهة الجنوب ومشوا على الاستقامة وعملوا كما عملوا فى جهة الشمال من نصب الاوتاد وشد الحبال حتى فرغت الحبال التى استعملوها في جهة الشمال،ثم اخذوا الارتفاع فوجدوا القطب الشمالى قد نقص عن ارتفاعه الاول درجة فصح حسابهم وحققوا ما قصدوه من ذلك. وهذا اذا وقف عليه من له يد في علم الهيئة، ظهر له حقيقة ذلك ، ومن المعلوم ان عدد درج الفلك ثلاثمائة وستون درجة—

ومنه سلخ جلد الشاة ، وخروف ، وسمك بحري او نهري وملك ،ومسك، وعنبر ، وبلبل،وعصفور،وعادل ، وظالم ، وقفل،ومفتاح وسفينة ، ومصفاة ، وخوان ، وكل هذه الكلمات عربية فصيحة صحيحة.

وسجادة ، والعامة تقول (سداجة) بتقديم الدال على الجيم ، وهو خطأ والصواب (سجادة) .

وملعقة ، والعامة تقدم خطأ العين على اللام ، فتقول (معلقة) والصواب (ملعقة) .

وبساط ، ومشمع ، وبلاط ، وبلاط مزهر ، ومارستان ، وقرن وتجمع على قرون ،وكبش ونعجة ، ومسمار والعامة تبدل الميم باء ، وتقول (بسماراً) وهذا غلط) وحلقة ، ومكتبة (وشعرية) (وكتبية) ومرآة ، (وشباك) .

ودِ رباس ومنه درابس،وهمة،عزم ، شجاعة ، نخوة ، غيرة ، شرف،

— لان الفلك مقسوم باثنى عشر برجاً ،وكل برج ثلاثون درجة فتكون الجملة ثلاثمائة وستين درجة فضربوا عدد درج الفلك في ستة وستين ميلاً اي التي هي حصة كل درجة فكانت الجملة اربعة وعشرين الف ميل وهي ثمانية آلاف فرسخ،وهذا محقق لا شك فيه فلما عاد بنى موسى الى المأمون واخبروه بما صنعوا وكان موافقاً لما رآه في الكتب القديمة من استخراج الاوائل طلب تحقيق ذلك في موضع آخر ، فسيرهم الى ارض الكوفة وفعلوا كما فعلوا في سنجار فتوافق الحسابان ، فعلم المأمون صحة ما حرره القدماء في ذلك اه ابن خلكان.

مروءة ، والعامة تفتح ميم مروءة ، غير ان الافصح ضمها . وكال يكيل كيلاً ، والكيل ما كيل به ، وسعل سعالاً ، ولان يلين ليناً ، وليّنته او جدته ليناً ، وقوّر القرع مثلاً ، وقشّره فتقشر ومهنة ، وخدمة ، وجنّ جنوناً ، ولعنه ، وطرده ، وضربه ، وقتله ، ومرسة اي الحبل وتجمع على امراس ، ونعناع ، وكأس وهو اناء يشرب فيه ويجمع على كاسات ، ودابة والعامة تحذف الألف خطأ فتقول (دبّة) ، وكسح الدالية او الدوالي .

وعُلبة في القاموس : وعلبة « بضم العين » قدح ضخم من جلود الابل ، او من خشب ويجمع على عُلَب . وسطل في القاموس : السطل طسيسة لها عروة وتجمع على سطول ، وطسّة ونحن نزيد في لغة التخاطب الفاً هكذا (طاسة) ، والصواب (طسة) ، وخرزة وتجمع على خرزات ، وصحن ، وشبكة الصيد ، ومغرفة وهي ما يعرف بها ، ومنه غرف يغرف ، ومنديل وزنّار وزنره البسه اياه ، وقيص ، ومقلى اي الألة التي يقلى بها ، وفروة ، والجورب ولكن العامة تقول (جراب) وهو خطأ ، ومنه تجورب ، وجوربته البسته اياه ، وكافور وهو نبت

***

ان هذه الكلمات عربية فصيحة ، وهي كثير ، ولو اردنا ان نستقريها ، لعدت بالالوف ، ولاحتجنا الى ابحاث طويلة نخصص لها عديد الصفحات .

على ان ما ذكرناه يكفي لان يعطينا امثالاً صالحة ، لما تستعمله العامة في كلامها وتخاطبها ، مما يدلنا على ان فى كلامهم كثيراً من الالفاظ والكلمات العربية ، التي يستطيع الأديب والكاتب والشاعر ان يستعملوها في انشائهم ونظمهم ونثرهم .

وبذا يكون القارئ متصلاً اتصالاً وثيقاً بنفسية الكاتب ، الذي خلا كلامه من كل تعقيد وحوشي .

ان هذه الفكرة التي نحملها في هذه الكلمة ، ونرفعها الى القارئ ، هي فكرة وسطى بين الافراط والتفريط ، اي بين من يغرب في كلامه ، فيأتي بالالفاظ والكلمات الوحشية ، التي مجها رقي هذا العصر ، وتنفر منها النفس المتأدبة ، وبين من يود ان يكتب في اللغة العامية ، التي سيحدث تحقيقها — لا سمح الله — اثراً سيئاً فى العالم العربي ، والشعوب العربية ، لانه كما قلنا في فصل سابق ! ان عملاً مشيناً كهذا ، من شأنه ان يفرق الأمم العربية شذر شذر ، وان يبعدهم عن بعضهم بعد العرب عن العجم . وبذا نفقد املاً باسماً ، وهدفاً سامياً ، يسعى اليه المخلصون من ابناء العروبة ، والوطنيون الأشراف ، الذين سمت بهم النفوس لان يعملوا من اجل الوحدة العربية الكبرى ، التي تضم كافة حكومات العرب واممهم. ولعل الظروف السياسية العامة ، تأخذ بيدنا الى حظيرة الآمال القومية المجيدة .

اذا اردت ان تعرف مدى رقي الامة وسيرها نحو مصابيح الثقافة والاعتلاء ، فانظر الفرق بين لغتيها العامية والتخاطبية ؛ فكلما دنتا هطلت شآبيب الحضارة والمدنية فوق بجاح الامة ،وكلما نأتا اوغلت في دياجير الجهالة والانحطاط .

الكرماني

الترادف ايضاً

يحدثنا رينان في كتابه (تاريخ اللغات السامية) ص ٣٨٥ ، الطبعة الرابعة : ان غنى العربية المفرط بالفاظها ، يضر بها اكثر مما ينفعها ، اذ يفضي بها الى لجٍ من الابهام ، يحول بينها وبين الوضوح ؛ وانه ليعروك شيء من الدوار ، عندما ترى تلك المعاني الكثيرة والمتناقضة تزدحم وراء كل كلمة في المعاني العربية .

ويقول الاستاذ البستاني في مقدمة الالياذة ص (١٩٦) ما يلي : «وان للناظم فائدة من هذا الاتساع ، اذ يتيسر له ان يلتقط من هذه المترادفات ما وافق بحره وقافيته فقد اتفق لي اثناء«١» التعريب ؛ ان استعملت كثيراً من اسماء الاسد : كالليث والغضنفر والضرغام والقسورة والهزبر والوَرْد والضيغم ... ولكن هذه الفائدة لا تذكر ، في جنب ما يلقيه هذا التراكم من العثرات ، في سبيل المنشئ الناثر ، والطالب الراغب في الاحاطة باوابد اللغة وشواردها ، حتى لقد يرتبك الشاعر في بعض الاحوال».

«١» في القاموس : ثنى الشيء ردّ بعضه على بعض فتثنى وانثنى . ثني الشيء قواه وطاقته ، ويجمع على (أثناء) ، وثنى الحية انثناؤها ، ومن الوادي منعطفه ، ويجمع ايضاً على (اثناء) والاثنان ضعف الواحد ، وثنّاه جعله اثنين ، والاثنين اليوم في الاسبوع . ويجمع على (اثناء) واثانين ، والمثاني من اوتار العود الذي بعد الاول .

من هذا يتضح ان (اثناء) لا تأتي بمعنى : ابان او خلال ، او غضون ، خلافاً لمن يستعملها ، وهو من الخطأ الشائع اليوم .

ويقول اللغوي احمد بن فارس«١» في كتابه الصاحبي في فقه اللغة: اخبرني علي بن احمد بن الصباح ، قال : حدثنا ابو بكر بن دريد ، قال : حدثنا ابن اخي الاصمعي عن عمه ، ان الرشيد سأله عن شعر لابن حزام العُكلي ففسره ، فقال : « يا اصمعي ، ان الغريب عندك لغير غريب » فقال : « يا امير المؤمنين ! الا اكون كذلك ، وقد حفظت للحجر سبعين اسماً ؟؟ » .

***

لا اكون مبالغاً اذا قلت : ان العربية اكثر اللغات ترادفاً ، ولا اشتط اذا حكمت ان لغة الضاد تفوق كافة اللغات السامية في ذلك ؛ واتكلم الحقيقة والواقع ؛ حينما اعرب عن مساوئ هذا الترادف ؛ وما يحمل العربي في تبيانه من اثر تلك المترادفات الجمة . والترادف في كافة لغات العالم عبء ثقيل على الدارس والقارئ ، والمتعلم والمعلم ، والأديب والصحفي ، ولكن هذا الاثر يبدو شديد الوطء ، اليم الوقع ، في لغة العروبة اكثر منها في لغة اخرى ، لان كل عربي اليوم يرى الحاجة ماسة الى ما اوجدته المدنية الحاضرة ، من حضارة وثقافة ، وتقدم ورقي ، في الوقت الذي يرى في لغته مئات الكلمات ، بل عشرات المئات ، وكلها تعرب عن معنى واحد ، وقد يكون هذا المعنى تافهاً ، او وجدانياً ، لا تدعو الحاجة لان تزيد اسماؤه على اثنين .

«١» راجع هامش صحيفة (٧٥) .

ان التوازن امر ضروري في كل شيء، وحياة الفرد كحياة الجماعة، تتلاشى وتضمحل، اذا لم يكن العنصر الجوهري تاماً فيها كاملاً، ولكل أمر في هذا الوجود عنصر، او ثروة، او اساس تقوم عليه حياته، فالانسان لا يعيش اذا لم يخصص من زمنه قسماً للنوم، وقسماً لليقظة، واذا لم يخصص القسم المطلوب وعاش، فانما يعيش عيشة مضطربة عبوساً! ذلك ان التوازن يكون مفقوداً، وان الانتعاش المرعي يكون معدوماً.

وهكذا قلْ في اللغة وثروتها، ولا تنسَ ان غني اللغة لا يقاس بعدد الالفاظ، التي في معجمها كيفما كانت، بل ان ثروتها وغناها يُقاس بمبلغ وفاء الفاظها، باغراض الناطقين بها، على اختلاف الاغراض والحاجات، علمية كانت او ادبية او اجتماعية او صناعية، وهذا ما يسميه اللغويون بالتوازن اللغوي.

وانني لا ادرِ «١» ماذا يستفيد الكاتب او الأديب من لغة، للاسد فيها الف اسم، وليس فيها اسم واحد لآلة واحدة من آلات السيارة، او اداة من ادوات الطيارة؟ واي فائدة للانسان من ان يكون له عشرون معطفاً، وليس عنده ثوب واحد؟ وهل من الخير والبركة في شيء ان يكون لاحدنا عشرة قلانس وليس فوق جسمنا قميص واحد؟؟؟ بل هل من الخلق المستقيم ان يكون هناك جنم جبار ركب على رجلين

«١» قال سيبويه: فيما حذف واصله غير ذلك، لم يك، ولا ادرِ، واشباه ذلك.

لا تحملان طفلاً ؟؟؟؟ اذن ما هذه المترادفات ؟ وما هي قيمتها ؟ واية فائدة ترجى منها ؟ اني اعتقد انها ثروة وهمية ، تستطيع اللغة ان تطرح نصفها، بل ثلثيها ، دون ان تخسر شيئاً من قيمتها الحقيقية .

واذا كان العلماء مجمعين على نبذ واهمال الكلمات الحوشية والمائتة ، والمشتملة على تنافر الحروف ، او غرابة الاستعمال ، او مخالفة القياس ، او الكراهة في السمع ، فان الحاجة والضرورة تلحّان في وجوب طرح كثير من المترادفات ، التي يظنونها من علائم الثروة والحياة في اللغة ؛ ويخالون ان ذلك من جملة حسناتها التي تكسبها قوة وجمالاً !!!.

ان الترادف في اللغة عبء ثقيل ، يحول دون الصراحة فى القول ، والدقة في العبارة ، وهل ادعى الى الحيرة والارتباك من هذا الركام المتكدس من المترادفات ، التي لايدري الكاتب ما يأخذ منها وماذا يدع ؟ واي كاتب او اديب او شاعر يستطيع ان يلم بالمترادفات التي جمعها الجامعون من هنا وهناك ؟ ومن هذه القبيلة وتلك ؟ وهي تعد بالمئات بل بعشرات المئات ؟؟؟.

وهل لامرئ ان يحفظ الف اسم للسيف ؟ وخمسمائة للأسد ؟ واربعمائة للداهية ؟ ومائتين وخمسين للناقة ؟ ومائتين للحية ؟ وتسعين لمعنى ظهر ووضح وبان واتضح ؟ وسبعين للحجر ؟ وبضعاً وعشرين للشمس والخمر ؟؟؟ واي دماغ يهضم هذه الكثرة السمجة ؟.

ثم اذا اضفنا إلى هذه الكثرة الساحقة من الاسماء، ما نراه فيها من الفقر المدقع ، الذي لا يمنح مسمى آخر اسماً واحداً ؟ وكيف يكون موقف الحكَم فينا ؟ وهل نستطيع ان ننسى او نتناسى دقة الاعراب في العربية ، بصورة تجعل القارئ يفهم اولاً ليقرأ ثانياً ، اي ليلفظ هذا مرفوعاً ، وذاك منصوباً او مجروراً ، بينما بقية لغات العالم تسير على نقيض ذلك اي يقرأ القارئ اولاً ليفهم ثانياً ! .

ثم ماذا يستطيع المرء العربي أن يعمل حينما يود تفسير المولى في العربية ؟ وكيف يقف من تلك المعاني المنسابة عليه في تفسير هذه الكلمة ؟

انه يرى في تفسير المولى مايلي : المولى — المالك ، والعبد ، والمعتِق ، والمعتَق ، والصاحب ، والصهر ، والتابع ، والمحب ، والمنعم ، والمنعَم عليه ، والشريك ، والوليّ ، والرب ، والقريب كابن العم ونحوه ، والجار ، والحليف ، والابن ، والعم ، والنزيل ، والناصر ، وابن الاخت .

وكذا فان العين تفسر عما يلي كما في القاموس : العين الباصرة ، واهل البلد ، واهل الدار ، والاصابة بالعين ، والاصابة في العين ، والانسان والجاسوس ، وجريان الماء ، والجلدة التي يقع فيها البندق من القوس ، والجماعة ، وحاسة البصر ، والحاضر من كل شيء ، وحقيقة القِبْلة ، وخيار الشيء ، ودوائر رقيقة على الجلد ، والديدان ، والدينار ، والذهب ، وذات الشيء ، والربا ، والسيد ، والسحاب ، والشمس اوشعاعها ، والطائر والعتيد

من المال ، والعيب ، وكبير القوم ، والمال ، ومصبّ ماء القناة ، ومطر ايام لا يُقلع ، ومَفجر ماء الركيّة ، ومنظر الرجل ، والميل في الميزان ، والناحية ، ونصف دانق من سبعة دنانير ، والنظر ، ونفس الشيء ، ونقرة الركبة ، وواحد الاعيان للأخوة من اب وام ، وينبوع الماء ، وبلد لهذيل ، وموضع ببلاد هُذيل . وقرية بالشام ، وقرية باليمن .

***

ان اربعة واربعين معنى لكلمة واحدة تخلق في الروع مللاً وسآمة وضجراً ، تكتنف سائر نواحيها ، واغرب من هذا وذاك ، بل اشد تعقيداً وتخليطاً ، هو ما نشأ عن اللغة من الاضداد اي ان يستعمل اللفظ الواحد للمعنى وضده ، كتلعة اسم لما ارتفع من الأرض ولما انهبط منها ، ومولى للسيد والعبد ، والناهل للعطشان والرّيان ، والعجوز للصبية والمسنة ، وبان بمعنى ظهر واختفى الخ . ونظرة واحدة يلقيها المرء على كتاب الاضداد في اللغة لابن الانباري ، المتوفي عام ٣٢٨ هـ . تكفي لان يكون حكماً عادلاً في ذلك .

لماذا وجدت اللغة ؟

هذا وان حاجة الانسان الى التفاهم والاعراب عن خوالج نفسه ، هو الذي اوجد اللغة ، فكلما قرب مأخذ اللغة ، وسهُل التفاهم بها ، كانت اقرب الى

الغاية المنشودة، وادنى الذوق البشري، وبالعكس فانها كلما اوغلت في الاغراب والابهام، فقدت الغاية المطلوبة منها، وصارت لغزاً من الالغاز الغريبة، او طلسماً من الطلاسم التي تقصر عنها البصائر؟ وليت شعري هل تغني الاضداد والمترادفات فتيلاً؟ وهل اذا قام احد يفاخر ان لغته تفي بحاجة العصر واختراعاته؟ فبماذا نجيبه؟ أنجيبه بان عندنا عشرات المئات من الاسماء للاسد، ومئات للداهية، وكيت وكيت للسيف؟؟.

كيف وجدت هذه المترادفات؟

اذن الا يحق لنا ان نتساءل: لماذا وجدت هذه المترادفات؟ وانى ومتى وكيف؟؟.

ان علماء اللغة قد اختلفوا في ذلك، فبعضهم يقول: ان الترادف نشأ عن اختلاف في لغات القبائل العربية، التي جمعت، وتكوَّنتْ منها لغة واحدة، اي بان تضع قبيلة اسماً لمعنى، ثم تأتي ثانية فتضع اسماً آخر له — من غير ان تشعر احداهما بالاخرى — ثم تأتي ثالثة فتقتفي اثرهما، وهكذا. ثم يشتهر الوضعان او الاوضاع، ويختفي الواضعان او الواضعون، ومعلوم ان العلماء امثال الاصمعي وعمرو بن العلاء وغيرهما، نزحوا الى البادية، واختلطوا بسكانها، وتلقفوا عنهم كل ما سمعوه، بدون ان يميزوا بين تميمي وحجازي، ولا بين نجدي وتهامي، ولا بين قرشي وحميري.

وذهب آخرون الى ان الترادف جاء من انتقال معنى الكلمات من المجاز الى الحقيقة، او من الوصفية الى الموصوفية ؛ وقال غيرهم : ان الترادف حصل من اخذ الكلمات من اللغات الاعجمية الى اللغة العربية، مع بقاء الاصل العربي فيها .

وبعد فان العالم العربي يتطلب من مجامعه العلمية اصلاحاً يدخل لغته، لتجاري تطور العصر ، ورقي الزمن ؛ واني ارى ان الأعراب عن مزالق الزلل ، ومواطن الضعف واجب عربي ، يحتمه الاخلاص ، ويفرضه التفاني في حب العروبة ، ليُتقى الشين ، ويجتنب الضرر ، وقديماً كان يقال : « الحقيقة احق ان تقال » .

هـذا وان العرب كانت تعني عناية كبرى في الكنى «١» ، وقد تكنو الشيء بعشرات الكنا . من ذلك النمر ، فانهم كانوا يبالغون في كناه ، وهي : ابو الأبرد ، وابو الاسود، وابو جهل، وابو خطّاب،

«١» ان فعل « كنا » ورد عن العرب بالواو والياء ، ففي القاموس : كنى به عن كذا ، يكني ويكنو كناية ، تكلم بما يستدل به عليه . والافعال الواردة عن العرب بالواو والياء جمة ، وقد نظمها ابن مالك في قصيدة استهلها بقوله :

قل إنْ نسبت عزوته وعزيته * وكنوت احمد كنية وكنيته

وقول العلامة السيوطي في كتابه المزهر، ج ٢ ص ١٧٨ ، المطبوع في مطبعة السعادة بالقاهرة ما يلي : « ذكر الافعال التي جاءت لاماتها بالواو والياء ، عقد لها ابن السكيت باباً في اصلاح المنطق ، وابن قتيبة باباً في ادب الكاتب ، وقد نظمها ابن مالك في ابيات ، فقال : « قل ان نسبت عزوته وعزيته .. الخ وذكر منها ٤٩ بيتاً .

وابو رقاش . ومن كنى الأسد : ابو الابطال ، ، وابو الاخياس ، وابو التأمور ، وابو حفص ، وابو الحذر ، وابو الزعفران ، وابو شبل ، وابو ليث ، وابو لبد ، وابو محراب ، وابو مِخْطَم وابو النحس ، وابو الوليد ، وابو الهيصم ، وابو العباس وابو الحارث .



ان في كل كلمة نشاهدها في معاجم اللغة ، ونقرؤها في كتب السلف ، كتاريخاً قويماً يتلع الينا بحسه ، عما كان عليه الآباء والاجداد في نواحي الحياة : من رقةٍ وخشونة ، وعواطفَ وافكار ، وعقولٍ ، وشعور ، وعُلومٍ وفنون ، وحضارةٍ واخلاق . وها هي الفاظ العدالة والمساواة تنبئنا بخير خبر ، عما سار عليه أسلافنا العرب الكرام ، من حب مد رواق العدالة الوارف ، نحو الجميع على السواء . ولولا وصول هذه الالفاظ والكلمات الينا ، لما كان وطن ، ولا ماض ، ولا حاضر .

فاعوذ بك اللهم من معرة اللكن ، وفضوح الحصر .

« الكرماني »

كيف نشأ الترادف ؟

يحدثنا الاستاذ الاجتماعي ترانش Trench عن اسباب الترادف بقوله :

« إن مما لا شك فيه ان اللغات لو كان وضعها باتفاق منظم بين الواضعين ، كما وجد فيها ترادف ألبتة ، لأنه عند وضع كلمة كفيلة بتأدية المعنى المراد منها : من فكر أو وجدان أو غيرهما ، لا يدعو داع لوضع سواها ، ولكن اللغات لا توضع بمثل هذه الطريقة المنظمة ، فهناك قبائل مختلفة ، لكل قبيلة لهجتها ، وهذه اللهجات على تقارب ما بينها متميزة مختلفة ، فإذا اندمجت هذه القبائل في شعب من الشعوب ، نفحت لغته بنصيب من لهجاتها ، ومن أمثلة ذلك اللغة الفرنسية ، فإنها تشتمل على مترادفات كثير ، أتت اليها من لهجة الجنوب Langue d'oc ، ولهجة الشمال Langue d'oi فإن كلا اللسانين منح الفرنسية كلمات كثير ، لمعنى واحد ، وقد تشترك القبائل المختلفة لشعب واحد في كلمة ، مع اختلاف في صيغتها يسوّغ بقاء كل صيغة متميزة عن الاخرى .

وقد ينشأ الترادف من الغزو والفتح ، فيتغلغل الغالبون في غمار المغلوبين ، ويفرضون عليهم حكمهم والسيطرة عليهم ، ولكنهم قد يعجزون ان يفرضوا عليهم لغتهم ، لقلة عددهم ، فيضطرون الي اتخاذ لغة المغلوبين ، وقد يحصل بعد

حين ما يسمى بالاندماج بين اللغتين، فتتغلب إحداهما على الاخرى، وتكثر فيها الكلمات الدخيلة، المتجئة اليها من اللغة المغلوبة.

هذه أسباب الترادف، التي تذهب بعيداً في ماضي تاريخ الأمم ولغاتها. وهناك أسباب أخرى، أقرب عهداً واكثر حداثة، وذلك حينما تظهر فنون أو علوم جديدة، ويكون المؤلفون متأثرين بالسنة أجنبية شتى، فتراهم يرسلون أحيانا في عباراتهم كلمات أجنبية، من غير حاجة اليها، وهذا ضرب من الرفاهية العلمية، أكثر من ان يكون ضرورة حافزة، تدخل هذه الكلمات في اللغة، فلا يستطيع بعضها أن ينال حق البقاء فيها، فتذهب به عوادي النسيان، بعد زمن قصير أو طويل، وبعضها يأخذ طابع اللغة، ويندمج في كلماتها».

* * *

ويروي لنا الاستاذ اللغوي عثمان بن جني النحوي «١» في كتابه

«١» هو ابو الفتح عثمان بن جني النحوي، ولد بالموصل قبل عام (٣٣٠) بالموصل وتوفى ببغداد سنة ٣٩٢. كان اماماً في العربية، ذا براعة في التأليف، وله من المصنفات في النحو: الخصائص، وسر الصناعة، والمصنف في شرح تصريف ابي عثمان المازني، والتلقين في النحو، والتعاقب، والكافي في شرح القوافي، والمذكر والمؤنث، والمقصور والممدود، والمنهج في اشتقاق اسماء شعراء الحماسة، ومختصر في العروض. الى غير ذلك من المصنفات المفيدة. قرأ الأدب على الحسن بن احمد المكنى بابي علي الفارسي، ثم فارقه وقعد للاقراء بالموصل، وفي يوم مر به شيخه ابو علي المذكور، فرآه في حلقته والناس حوله، يشتغلون عليه فقال له: تزببت وانت حصرم، فترك حلقته وتبعه ولازمه.

(الخصائص) عن الاصمعي : ان رجلين اختلفا في الصقر ، فقال احدهما : الصقر بالصاد ، وقال الآخر السقر بالسين ، فتراضيا باول وارد عليهما ، فحكيا له ما هما فيه ، فقال لا أقول كما قلتما ، إنما هو الزقر . أفلا ترى الى كل واحد من الثلاثة كيف أفاد في هذه الحال الى لغته لغتين أخريين معها ، وهكذا تتداخل اللغات » .

***

ويحدثنا ابن جني ايضاً في كتابه الخصائص ، ص ٣٧٦ بما يلي :

« ... واما ما اجتمعت فيه لغتان أو ثلاث ، فأكثر من أن يحاط به . فاذا ورد شيء من ذلك كأنْ يجتمع في لغة رجل واحد لغتان فصاعدا ، فينبغي أن تتأمل حال كلامه : فان كانت اللفظتان في كلامه متساويتين في الاستعمال ، كثرتهما واحدة ، فان أخلق الأمر به ان تكون قبيلته تواضعت في ذلك المعنى على تينك اللفظتين ، لأن العرب قد تفعل ذلك للحاجة اليه في أوزان أشعارها ، وسعة تصرف أقوالها ، وقد يجوز ان تكون لغته في الأصل إحداهما ، ثم استعار الأخرى من قبيلة أخرى ، وطال بها عهده ، وكثر لها استعماله ، فلحقت لطول المدة واتصال استعمالها بلغته الأولى . وان كانت إحدى اللفظتين أكثر في كلامه من صاحبتها ، فأخلق الحالين به في ذلك أن تكون القليلة في الاستعمال هى المفادة ، والكثيرة هى الأولى الأصلية . نعم ، وقد يمكن في هذا أيضاً ان تكون

الثُّقلى منهما إنما قلت في استعماله ، لضعفها في نفسه ، وشذوذها عن قياسه وان كانتا جميعا لغتين له ولقبيلته ، وذلك أن من مذهبهم ان يستعملوا من اللغة ما غيره أقوى منه في القياس ... وإذا كثر على المعنى الواحد الفاظ مختلفة ، فسمعت في لغة إنسان واحد ، فان أحرى ذلك أن يكون قد استفاد أكثرها أوطرفاً منها ، من حيث كانت القبيلة الواحدة لا تتواطأ في المعنى الواحد على ذلك كله — هذا غالب الأمر ، وان كان الآخر في وجه من القياس جائزا ، وذلك كما جاء عنهم في أسماء الأسد والسيف والخمر وغير ذلك » .

***

ويخبرنا الازدي في كتابه (الترقيص) قال :

« أخبرنا أبو بكر بن دريد ، حدثنا عبد الرحمن عن عمه ، قال : خرج رجل من بني كلاب ، او من سائر بني عامر بن صعصعة ؛ الى ذي جَدَن ، فاطّلع الى سطح والملك عليه ، فلما رآه الملك اختبره ، فقال له : ثب : أي اقعد ، فقال : ليعلم الملك أني سامع مطيع ، ثم وثب من السطح . فقال الملك : ما شأنه ؟ فقالوا له : أبيت اللعن ! إن الوثب في كلام نزار الطَّمْر (١) . فقال الملك : ليست عربيتنا كعربيتهم . من ظَفَّرَ حَمَّر : أى من أراد ان يقيم بظفارِ فليتكلم بالحميرية .

---

(١) الطمر : الوثوب الى أسفل ، او في السماء ، والطفرة : الوثوب في ارتفاع .

اما بعد فان للترادف اسباباً جمة ، وقد طمت في العربية على كل خصيصة من خصائصها ، غير ان اهم هذه الاسباب هي اخذ الكلمات ، مادامت اليد تصل اليها دون ان يميز الآخذ بين قبيلة وقبيلة ، وبين فئة من الناس وفئة اخرى ، ولقد كان اولئك الجامعون للغة والمدونون لها ، يجمعون من النظم والنثر ، والرواة والاعراب ، والمنشدين والمخبرين ، والخطباء ، والشعراء ،ما استطاعوا الذلك سبيلاً ، ولم يكن ليخطر لهم ان يفرقوا بين لغات القبائل ؛ ويضعوا لغة كل قبيلة على حدة ؛ وعندما بدئ بتدوين المعاجم ؛ ووضع الخليل بن احمد «١» معجمه الاول ، الذي سماه ، (العين لم يشر الي نسب هذه الكلمات ، ولا ارجع كل كلمة الى قبيلتها . وبذا ربا الترادف في لغتنا ، واصبح له الاثر البين فيها ، حتى غدا السيل الجارف ، الذي لم يبق ولم يذر .

«١» هو ابو عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي ، المولود بالبصرة عام ١٠٠ المتوفى سنة ١٧٤ نبغ في اللغة نبوغاً ، لا يعرفه التاريخ لغيره ، على انه عاش فقيراً متقشفاً نزوعاً بنفسه عن مواقف الضراعة ، ومطارح الهوان . انكب الخليل على العلم يستنبط ويؤلف ، فهو اول من ضبط اللغة ، واول من ابتكر المعاجم ؛ وهو اول من وضع للخط هذا الشكل المستعمل ، وهو اول من الف النحو ودونه ، حتى إن اكثر كتاب سيبويه منقول عنه او مستمد منه ؛ وهو واضع اول كتاب في علم الموسيقى على غير المام بلغة اجنبية ، ولا علم بآلة موسيقية ؛ وهو الذي استطاع بمعرفته بالنغم ان يخترع علم العروض (اوزان الشعر) لما بين الايقاع في الانغام والتقطيع في الاجزاء من الشبه ، فضبط اوزان الشعر الخمسة عشر ، ووقعها على المقاطع والحركات =

جاء في كتاب المزهر للسيوطي ص ٢٤٤ ما يلي : « وفي الجمهرة قال ابو زيد : قلت للاعرابي ما المحبنطىء ؟ قال : المتكأكىء . قلت : ما المتكأكيء ؟ قال : المتآزف . قلت ما المتآزف ؟ قال انت احمق . » !!!

* * *

وتنبئنا معاجم اللغة : ان اناساً سألوا الشيخ مجد الدين الفيروزابادي صاحب القاموس المحيط عن معنى القول المنسوب لعلي بن ابي طالب : « الصق روانفك بالجبوب ، وخذ المزبر بشناترك ، واجعل حندورتيك الى قيهلى ، حتى لا انغي نغية الا اودعتها بحماطة جلجلانك ! . » .

فاجابهم على الفور من غير توقف ان معناه : الزق غضرطك بالصلة ، وخذ المضطر بأباخسك ، واجعل حجمتيك الى اثعباني ، حتى لا انبس نبسة الا وعيتها في لمظة رباطك !! وليت شعري اي دماغ يستطيع ان يحمل وقر هذه الكلمات الوحشية المهجنة ؟ لا سيما في عصرٍ ، ازدادت فيه عناصر الثقافة والعلم .

ـــ وشغل بذلك وقته ، حتى كان يقضي الساعات بحجرته . ويوقع باصابعه ويحركها ، واتفق ان رآه ولده على تلك الحال ، فظن ان به مساً من خبل ، فقال الخليل :

لو كنت تعلم ما اقول عذرتني ✱ او كنت تعلم ما تقول عذلتكا

لكن جهلت مقالتي فعذلتني ✱ وعلمت انك جاهل فعذرتكا

ولقد بلغ من طموح نفس الخليل الى العلياء ان قال كلمته المشهورة : « اريد ان اعمل نوعاً من الحساب تمضي به الجارية الى البقال فلا يظلمها ، ولكن يا للفشل ! ويا للحرمان ! دخل المسجد وهو يفكر في استخراج البغية ، فاصطدم في سارية صدمة هائلة ، ارتج منها مخه رجة اسكنته رمسه ، رحمة الله عليه . انتهى من كتاب « دروس الكرماني » .

لا فائدة في التربية التي تجعل الانسان مستودعاً
لافكار غيره ، لان الكلمات التي توضع في الكتب
لا يمكن ان تنتج معاني الا على نسبة التجارب
المكتسبة .

« سبنسر »

اللغة والتجدد

تنص المادة الثانية من المرسوم الملكي الذي اصدره صاحب الجلالة المرحوم، الملك فؤاد الاول ملك مصر، في تأليف المجمع العلمي المصري على مايلي:

اغراض المجمع هي:

١ — ان يحافظ على سلامة اللغة العربية، وان يجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون في تقدمها، ملائمة على العموم لحاجات الحياة في العصر الحاضر. وذلك بان يحدد في معاجم، او تفاسير خاصة، او بغير ذلك من الطرق، ما ينبغي استعماله او تجنبه من الالفاظ والتراكيب.

* * *

ويعرب لنا الاستاذ ترانش Tranch عن أثر التجدد في اللغة بقوله:

ان الأمم كلما اتجهت الى لغتها بالعناية والدرس، وتدرجت من طور السذاجة الى طور المدنية — وهى اكثر اشتباكاً وتعقيداً — وجدت امامها كثيراً من الاشياء يتطلب التسمية، وكثيراً من الافكار يعوزه التعبير، وكثيراً من الاسباب التي تدعو الى تحديد الفروق بين الكلمات.

حينئذ تدرك ان من التبذير في ثروتها ان تستعمل كلمتين او اكثر في معنى واحد، على حين قد تطلعت اليها الدنيا، وهى واسعة المدى، كثير المطالب، وقد اخذ كل شيء فيها يلح في طلب لفظ يحدد معناه، وقد جاشت الافكار وضروب الوجدان على اختلاف انواعها،

متلهفة الى تعبير يبرزها الى الوجود .

لا شك ان قصاص الاسراف في ناحية من نواحي اللغة، ضيق وتقتير في نواحٍ اخرى ، فكثيراً ما نرى فكراً او وجداناً تعوزه التسمية ، لان فكراً آخر ، او وجداناً سواه ظفر بتسميتين .

***

وكتب الاستاذ الكبير ابراهيم اليازجي مقالاً تحت عنوان « اللغة والعصر » جاء فيه :

ليت شعري ! ما يصنع احدنا لو دخل المعارف الطبيعية والصناعية ، ورأى ما ثمة من المسميات العضوية وغير العضوية، من انواع الحَيَوان، وضروب النبات وصنوف المعادن،وعاين ماهناك من الآلات والاجزاء، واراد العبارة من هذه المذكورات ؟؟!

ثم ما هو فاعل ، لو اراد الكلام فيما يحدث كل يوم من المخترعات المتنوعة ، وما لمكل ذلك من الاوضاع والحدود والمصطلحات ، التي لا تغادر جليلاً ولا دقيقاً الا تدل عليه بلفظه الخاص ؟ فهل يغنيه في مثل هذا الموقف ما عنده من مائتين وثمانين اسماً للطير ، وخمسمائة للاسد ، والف لفظ للسيف ،ومثلها للبعير، واربعة آلاف للداهية ؟؟... اتلك هى اللغة التي وصفها الواصفون بانها اغزر الالسنة مادة ، واوسعها تعبيراً ، واطوعها للمعاني تصويراً .

ويحدثنا شاعر العراق المبدع، ونابغها اليوم، الاستاذ الرصافي عن تجدد اللغة بقوله: « اذا رأيت امة لا يرغب ابناؤها في انشاء معجم لغوي مرّ على وضعه وطبعه بضع سنين فاعلم ان لتلك الامة لغة حية.

خذ بيد من لقيت وانت ماش في شارع المدينة، ثم ادخل به في سفينة تجارية: اوقف به امام قاطرة او سيارة او طيارة، او نحو ذلك من محدثات العصر، وسله عما دقّ وجلّ في هذه المحدثات من آلات وهنات، فان اجابك باسم كل مسمى سألته عنه، فاعلم ان ذلك الرجل يتكلم بلغة حية.

اما نحن فعن هذا عاجزون. ترانا نرجع في معرفة اللغة الى معاجم مرت على وضعها وطبعها القرون. كأن اللغة عندنا شيء لا يتغير: وكأنها ليست من صفات الحي الناطق تابعة له في تطوره بتأثير الزمان والمكان، ومرتقية معه بعوامل العلم والعرفان.

نحن اليوم لو جئنا باعلم رجل بالعربية، فسألناه عما حصل في العلوم والفنون العصرية من مصطلحات، وما جد فيها من آلات وادوات؛ وما رتب للتجارب فيها من مختبرات، لوجدناه شبه الاعجم لا يحير جواباً. فلغتنا الفصحى اذن ليست بلغة حية، وما حياة اللغة الا نموّها وتطورها باطوار المتكلمين بها.»

***

ويتجلى أثر التجدد في قول الأب انستاس الكرملي : « ان الاعجميات الثقيلة على اللسان والمخالفة للاوزان العربية تنبذ او تقصر، لتوزن وزناً حتى يأنس اليها ابناء لغتنا . واما الاعجميات الخفيفة اللفظ والوزن فتقبل وتدون « فلم وبالون ومناورة » من المستحسنات . ومثل ذلك فعل أجدادنا .

***

ويبدو جلياً ايضاً بما يخبرنا ، الرصافي : « نحن امام سيل جارف من هذه الكلمات الاجنبية لا يرد تياره تعصبنا للغة . ثم نحن في اشد الحاجة اليها اذ هي على مجرى حياتنا اليومية فليس من الممكن ان نحيد عنها أو ان نجتنبها مهما اردنا ذلك ، فالصواب هو ان نفتح باب التعريب على مصراعيه ، وان نأخذ منها ما تقرر باستعمال العامة اياه بعد صقله وتحويره ان كان فيه شيء من التنافر او الثقل او الخشونة بالنسبة الى لهجتنا العربية.

***

وبعد فان اللغة كائن حي ، ينمو ويتجدد ، حسب حاجات العصر وتطورات الزمن ، وما دام الفكر البشري يبتكر ويكتشف ، فان اللغات الحية تتبع ذلك في كل الامور ، وليس من العقل ولا من المنطق في شيء ان تتزاحم اسماء عديدة على مسمى واحد ، بصورة تربو على ما تقتضيه المصلحة ، وان تبقى امور كثيرة مهملة لا يدل عليها اسم ولا لفظ.

النهضة العربية

ان العالم العربي يتمخض اليوم بنهضة ، تكتنف مرافقه الحيوية جمعاء ، وهو يبذل المهج الغالية ، في سبيل نيل الاماني القومية ، والآمال الوطنية، التي تنشدها الشعوب اليقظة ، لتحيا حياة سعيدة راضية .

وللعرب ماض كريم ناصع ، وتاريخ مجيد قيم ، خلّده الدهر ، وشهد به الملوان ، فهم اليوم إنْ طلبوا الحياة الحقة ، فانما عليها عليهم الواجب المقدس ، ويدفعهم اليها ذلك الماضي المتلألئ ، ليستعيضوا تراثهم الخالد ، الذي شاده الآباء والجدود ، بحرارة دمائهم ، وثورات كراماتهم .

واللغة العربية رافقت ذلك المجد البازخ في مختلف تطوراته ، وكانت تنساب نحو المدنيات المتعاقبة ، وتتعانق معها مهما تحولت واعتلت ، ثم ترجع وهي اشد قوة من الأول واكثر قليلاً . قابلت اللغة العربية الحضارة الفارسية وجهاً لوجه ، واخذت شيئاً كثيراً من الحضارة الرومانية وامتزجت بالفلسفة اليونانية ، واتى عليها رشاش من التفكير الهندي ، ثم هبط عليها الأدب الاندلسي ؛ ووحقت نحو ثقافات عديدة ، تكوّن منها تاريخ اسلامي زاهر عربي ، طبعه الدهر بطابع خاص ، فعرف بهم ، وعرفوا به ، واستحق ان يلقبه المؤرخون بالعصور الذهبية العربية الاسلامية ، ومع هذا كله فلم يكبُ بها جواد ، ولا نبا بها سيف ، ولا

ضاقت الفاظها وكلماتها ، عن اخذ تلك الحضارات والثقافات .

ان تلك اللغة البدوية ، التي كان اهلوها مستغرقين في جاهلية جهلاء ، لم تجد اي عسر في الوفاء بمطالب تلكم الحضارة اللامعة ،ولا تخلفتْ عن اداء ما طلب اليها اداؤه ، في جميع ما نقلت ، وكافة ما استحدثت من العلوم والفنون ،العقلية واللسانية والصناعية على اختلاف انواعها واجناسها. وفي العصر العباسي ، والحضارة العباسية خير دليل على ما نقول .

أترى كان العرب في الجاهلية وصدر الاسلام يعرفون ما اوجدته حضارة هذا العصر العباسي وثقافته ؟ وحسبنا ان نقول : انه لم يكن في الجاهلية ، ولا في صدر الاسلام ، ذلك التراث العظيم من الالفاظ الطبية، واسماء الأدوات ، والجراحة واسماء الامراض ، والاصطلاحات الفلسفية ، وغير ذلك مما وُضِعَ في العصر العباسي ،امثال قولهم: صيدلية ،تشريح ،تشنج بنج ، نبض ،هضم . قابض ،مسهل ، مبردات ، ذات الرئة ،الهيولي ،القاموس والقانون ، الى غير ذلك من مئات الالفاظ ، من هذا النوع الذي تجده في امثال كتاب (شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل) لشهاب الدين الخفاجي . و كتاب (المعرب من الكلام الاعجمي) لابى منصور الجواليقي ، المتوفي في منتصف القرن السادس ، المطبوع في(ليبسك) عام / ١٨٩٧ / م .

واذا كنا نشدو بالعربية في عصر العباسيين وثقافتهم وحضارتهم ،

ونوه بما لاقته من رحابة صدر ، وعطف ، واستعداد لايجاد اسم لكل مسمى مبتكر حديث ، فان الأمة العربية عملت ايضاً عملها المشكور في الحضارة الاندلسية ، ولم تن في قبول مدنية هزت الكون هزة تزلزل لها العالم القديم اذ ذاك ، فالعرب دخلوا الاندلس «١» وهم لا يزالون في فوجهم الأول من الحضارة الاسلامية العربية ، وكان للاندلسيين ماض تردد فيه اصداء الحضارة ، ولكن العرب وصلوا الى القمة العلياء ، وتغلبوا على كل عقبة نسوف اعترضتهم ، وجارت لغتهم كل شعاع مدني ، وحسبنا ان

«١» يطلق كتاب العرب اسم الاندلس على شبه جزيرة أيبيريا المكونة من دولتي اسبانيا والبرتغال الحاليتين اذا ما رأوا معاملة التاريخ الاندلسي عامة، ولكن يحدث أن يطلق ذلك الاسم على ما كان يشمله الحكم الاسلامي بعد نهاية الفتوحات الشمالية التي أدت الى ضم قسم من فرنسا للخلافة وما شمله بعد استيلاء النصاري على الولايات الشمالية التى تكون ولايات اراجون ونافار وليون وجزأ من قسطيلة ، الا أن الاندلس الحقيقية لا تشمل الا الولاية التي سميت بذلك الاسم في مبدأ الدولة العربية والتى تقع في الجنوب الشرقي من شبه جزيرة ايبيريا ولقد تضاربت أقوال المؤرخين في أصل هذه التسمية والاشتقاق في النهاية مجهول لا ندري هل استحدثه العرب أو حرفوه عن اسم سابق استعمله القوط أو الوندال، فقد ذكر المقري أنها سميت بذلك باسم أول من سكنها على قديم الزمان وهم قوم من الاعاجم يقال لهم أندلوش (نفح ج ١ ص ٦٧). وقال عن ابن سعيد انما سميت بالاندلس بن يافث ابن نوح كما ان أخاه شيث بن يافت نزل بالعدوة المقابلة لها واليه تنسب سبتة (نفح جزء ١ ص ٦٣) وذكر ابن الاثير فوق ذلك أن النصاري يسمون الاندلس أشبانه باسم أشبانس أحد ملوكها، وهذا هو اسمها عند بطليموس (ج ٤ ص ٢١٢) وذكر دانفيل أن الاشتقاق مأخوذ من كلمة فاندالوسيا أي بلد الوندال (كتاب ممالك أوروبا) .

نورد ما قاله كاهن قرطبة السيد (فارو) في اواسط القرن التاسع للميلاد ، من انكباب ابناء ملته على دراسة اللغة العربية وادبها ، من منظوم ومنثور ، وكيف ان العربية ولجت كل ناحية من نواحي الوطن الاندلسي ، وهيمنت على ابنائه هيمنة كبرى .

يقول هذا الكاهن متحسراً متسائلاً : « انى يتاح لانسان في هذه الايام ، ان يقابل واحداً من ابناء جنسنا يقرأ التفاسير اللاتينية للكتب المقدسة ؟ ومَنْ ذا الذي يدرس منهم فصول الاناجيل وسِيَر الأنبياء والحواريين ؟ واحسرتاه !

ان كل الشبان المسيحيين ذوي المواهب . لا يعرفون الا العربية ، والا كتابات العرب ، فهم يقرءونها ويدرسونها بحماس بالغ منتهاه ، كما انهم ينفقون المبالغ الطائلة من النقود لاقتنائها في مكاتبهم ؛ وتراهم انى وجدوا ، يذيعون ان تلك الآداب جديرة بالاعجاب ، فاذا تجاوزت عن ذلك ، واخذت تحدثهم عن الكتب المسيحية . ازورّ جانبهم واجابوك باحتقار : انها اسفار لا تستحق الذكر . واحسرتا عليهم ! لقد نسي المسيحيون لغتهم ، حتى ليندر العثور بين الآلاف منا ، على فرد يستطيع ان يحرر الى احد اصدقائه رسالة لاتينية ، باسلوب لا بأس به ، على حين ترى العدد الجمّ قادراً على الابانة عما في نفسه ، باسلوب عربي خلاب ؛ وعلى حين ترى حذقهم في قرض الشعر العربي قد وصل الى حد فاقوا معه العرب انفسهم . »

ان هذه الكلمة التي فاه بها كاهن القوم ، لتدل دلالة صريحة على أثر اللغة العربية ، في بني جنسه ، وافتتانهم بها ، وكيف انه كان لها النفوذ البالغ في القوم .

الأمة الحية لا تستعمل الا لغة حية

إنَّ ما قدمناه يعطينا امثولة طيبة على ان العربية جارت نهضة العرب الكرام ، ولم تتأخر عن قبولها او منحها الكلمات اللازمة ، لتلك الحضارة العليا . ذلك ان الأمة الحية لا تستعمل الا لغة حية . ولما أنْ جاءت دولة العباسيين ، وقامت اركانها على سواعد العجم ، ودلف اليها السريان واليهود والفرس ، وضمّتهم الدولة الى احضانها ، وافرجت لهم بين ذراعيها ، وانزلتهم في كثير من امور الدولة وشئونها ، واجرت عليهم من الارزاق والخيرات ، وتقدموا لها بتراث آبائهم ، وعُصارة قرائح علمائهم ، وحولوا ميراثهم الى ميراثها ، افادت لغةُ العرب ، وامتزجت المدنية السامية بالآرية ، واتسعتْ دائرة المعارف ، وتشعبتْ اغراض اللغة ، وشمّر كل ذى فضل في تدوين العلوم ، واستنباط أحكامها ، ووضع الفنون واصطلاحاتها ، وترتيب الدواوين ومراسيمها ، وترجموا كتب الحكمة والمنطق ، وازدهرت الآداب ازدهار الفتاء والقوة ، فانتظمت رخاء الدنيا وسعادة الأنسان ، وازّينتْ بالحجج الحكمية ، والبراهين

العقلية ، وتولى كِبرَ ذلك بشار وابن المقفع وابو نُوَاس واضرابهم ، وادخلوا اليها الجديد عن طريق المجاز والقياس والاشتقاق ، ولم يحرجوا من استعمال الالفاظ الاعجمية، في اسماء الألوان والآنية والفرش وغيرها ، حتى تجدد إهاب اللغة ، وانفرجت شِعابها ، وتُنوّعتْ اساليبها ، بما دخل عليها من نعيم الدولة ، وتَرَف الحضارة ، وما احتوته من العلوم والفنون ، حتى كانتْ سيدة لغات العالم جميعاً .

امة حية بسمت لها النعماء ، وصافحتها السعادة والهناء ، وحفتْ بها شتى العلوم والمعارف ، ولم تترك فضلاً الا اخذته ، ولا علماً الا جمعْته ، فاتسعتْ امامها الحياة ، وطفق رجالها يكافحون ويناضلون في سبيل العلياء فغيروا معالم الدنيا ، ووضعوا اقدامهم في تاريخ الانسانية ، وحولوا وجهة التاريخ اليهم ، حتى اصبحوا ملوك الأمم ، وقادة الشعوب ، وورثة الأرض. فكان لزاماً على لغة هؤلاء ، ان تحيا حياة الأمة الطيبة، وتحف ذلك الرقي البهيج ، بكلماتها ، واسمائها ، والفاظها ، ومصطلحاتها ، ونسقها ، واسلوبها ؛ وهكذا كان شأن لغة قريش ، ازدهرت ازدهار العرب ، ورقت رقي الاسلام .



كيف استعمل اجدادنا المعرب والمولد؟

وانما رقت اللغة العربية برقي الأمة ، لان اجدادنا الكرام لم يقفوا واجمين ولا باهتين ، امام حضارات الاغيار ، المتدفقة عليهم ، تدفق صخرة حطها السيل مِنْ عَلُ ، ؛ ولا جمدوا عن اخذ ما يحتاجون اليه من كلمات الاغراب عنهم ، ولا عدوا هذا العمل عاراً عليهم او على لغتهم .

وها هي كتب التاريخ واللغة والعلوم والفنون ، مفعمة مترعة مليئة بالوف الكلمات الاعجمية الدخلية ، التي صقلها اللسان العربي ، واستعملتها لغة الضاد ، وكيف لا يتلقف اجدادنا الاولون كلمات الاقوام الغريبة عنهم ، وهم كانوا قبلاً يعيشون على هامش الدنيا ، وفي خارج منطقة التمدين ، راضين من عيشهم بايسر الطعام واهون اللباس ، ثم بعد زمن قليل ، انتقلوا من رعاية الغنم ، الى سياسة الأمم ، وارتجلوا لهم دولة مترامية الاطراف ، شاسعة الاكناف ، تمتد من نهر السند الى البحر المحيط (الاطلانطي) ، ومن زنجبار الى قلب فرنسا ..

ان امة ذاك اولها ، وهذا تطوّرها ، لحري بها ان تتناول اسماء ما استجدّ امامها من لغات الأمم المطيفة بهم ، العريقة في المدنية ومقوماتها ، التي اخذت عنهن ما لا عهد لها من ازدهارهنّ وعمرانهنّ ، لاسيما الأمتين

الفرس والروم .

وحسبنا ما قدمناه في فصول هذا الكتاب من الكلمات الاعجمية الدخيلة، التي استعملها القرآن الكريم. هذا ولا نرى مانعاً ان نورد نتفاً اخرى في ذلك.

ففي الحديث : « اكل الحسن او الحسين تمرة من تمر الصدقة فقال النبي صلى الله عليه وسلم كخٍ كخٍ » وكخٍ وكخٍ كلمة اعجمية عربت. وفي حديث ابي وائل قال : ورد علينا كتاب عمر ، وفيه : « اذا قال الرجل للرجل لا تدحل فقد أمّنه » وكلمة (تدحل) نبطية اى تخف .

وأهدى الى علي بن ابي طالب في النوروز الخبيص، فقال : «نورزوا لنا كل يوم . » والنوروز اكبر عيد فارسي ،وقد اشتق منه فعل (نورز) وربما قالوا :نيروز ...

ويحدثنا التاريخ الاسلامي ان علي بن ابي طالب رضى الله عنه ، سأل القاضى شريحاً عن مسألة ، فاجابه بما ادخل السرور على قلب علي ، وعندئذٍ قال علي لقاضيه : (قالون) وهي كلمة رومية معربة ، ومعناها (احسنت) او (مرحى مرحى) ، التي يقابلها في الفرنسية Bravo .

واحسب ان العالم العربي ، منذ العام الاول من الهجرة المباركة حتى الآن ، لا يستطيع ، بل لا يجرأ احد ان يمس فصاحة علي ، او ينتقد عليه ، او ينقص من تبيانه وبلاغته .

ويقول امير شعراء الجاهلية ، امرؤ القيس فى معلقته :

مهفهفة بيضاء غير مفاضة ترائبها مصقولة كالسجنجل .

والسجنجل كلمة اعجميه، ترادف الوذيلة والمرآة .

ويقول الشاعر البحتري :

والمنايا موائل وانوشر

وان يزجي الصفوف تحت الدرفس

والدرفس « بكسر الدال وفتح الراء وسكون الفاء » ومعناه العلم الكبير، وهو فارسي معرب .

واستعمل ابو الطيب المتنبي (المشخاب) ، هذا اللفظ الاعجمي ، الذي معناه ارداً الخرز فى قوله :

بياض وجه يريك الشمس حالكة

ودر لفظ يريك الدر مشخلباً

وهكذا فان امراء البيان ،وفحول العلماء ، وكبار البلغاء والكتاب ، اخذوا الكلمات الاعجمية من لغات شتى ، ودمجوها في لغة يعرب ، دون ان يروا في هذا الاستعمال نقيصة ولا شناراً ، ولم يعتقدوا ، بل ولا ظنوا ان هذا يخل بفصاحة ، او يناقض بلاغة ، حتى أن العرب الاقحاح ، الذين سما بهم البيان الى علياء الفخار ، والذين بعدوا عن الحضارات وطبائعها والتمدين وخوافيه ،قدنحوا هذا المنحى،واستعملوا اللفظ الغريب الدخيل.

ويحدثنا علماء الأدب ان أعرابيين كانا يسيران في بعض اسواق المدن ، فوطئت دابة اصبع احدهما ، فقطعتها ؛ فاخذ الأعرابيان بتلابيب صاحب الدابة ، وارغماه على دفع دية الاصبع ، ولما ان قبضا المال ذهبا الى بعض (الكرابج) «١» واكلا الى ان شبعا ، ثم طفق رفيق المقطوع الاصبع يتغنى ويقول :

فلا غرث ماكان في الناس كربج

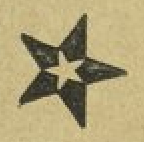
وما بقيت في رجل حيدان أصبع.

وبعد فان ماضي اللغة العربية متضافر مشتبك على استعمالها الكلمات الاعجمية ، سواء امست الحاجة اليها ام لم تمس ، وها هو افصح العرب ، وابلغ من نطق بالضاد «محمد بن عبدالله» صلى الله عليه وسلم يخاطب هرقل ملك الروم بقوله : « من محمد بن عبد الله الى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى . اما بعد فاني ادعوك بدعاية الاسلام ، اسلم تسلم يؤتك الله اجرك مرتين ، فان توليت فانما عليك اثم الأريسيين ... » فلقد استعمل محمد (الأريسيين) وهو لفظ دخيل ، وترك الحراث او الفلاح اللذين يفيدان معنى الأريس ، ولا يمكن أن يشك شاك أن هذا مخل

«١» جمع كربج وهو الحانوت او المتاع الذي يكون في حانوت البقال من خبز وجبن وسمن ، وهي كلمة فارسية معربة . ومعنى الغرث في البيت الجوع ، (وحيدان) اسم من قطعت اصبعه .

بالفصاحه ، او مناقض لبليغ القول ، لان محمداً افصح العرب قاطبة ، لا خلاف في ذلك ابداً .

ولا جرم ان هذا عمل يقتضي ان نسير عليه ، لا سيما عند مسيس الحاجة ، كما هي الحال لدينا اليوم . على ان العامل الاجتماعي سيضطرنا لذلك اضطراراً ؛ وهذا يقتضي قواعد المخالطة والمعاملة واشتباك مصالح العالم ، هذا الاشتباك الذي ادته سرعة مواصلات اليوم ، الا ترى ان الفاظاً اعجمية كثيراً تتردد اليوم على السنتنا تردداً طبيعياً ؟ ولو نظرنا — نحن السوريين — الى الكلمات الفرنسية ، التي يتداولها الشعب السوري لرأيناها عديدة جمة ، لا يمكن صدها ولا مصادرتها ، ولا العبث بها ؛ اذن فما علينا الا ان نقتفي أثر آبائنا الأولين ، ونرحب بكل كلمة اوجبتها مكتشفات هذا العصر ؛ على ان تصقلها الأوزان العربية ، وان تقرها المجامع العلمية ، حتى اذا ما استوفت هذين الشرطين ، احتضنتها معاجم العربية ، وهفا نحوها ادباء العرب وكتابهم .



اللغة ليست بكلماتها بل باساليبها

للاستاذ العلامة عبد القادر المغربي كلمة اودعها في كتابه (الاشتقاق والتعريب) ص ١٤٢ ؛ احببت ان استهل بها هذا الفصل ، لانها اعجبتني جداً ، اذ تدل على رأي ثاقب ، وفكر ناضج حصيف ، وانني اوافق عليها ، بل اراها الحقيقة بعينها ، التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ؛ وهي هي التي سارت عليها الشعوب المتمدينة الحية ، ممن تبغي الحياة الحرة الكريمة . يقول الاستاذ : « اللغات ليست بمادتها وكلماتها ، وإنما هي بأساليبها وتراكيبها ، فهذه هي الميزة التي تميز لغة عن لغة . وبالمحافظة على أساليب اللغة وتراكيبها تحصل المحافظة على نفس اللغة ؛ أما الكلم والألفاظ فانها تتغير وتتبدل وتتجدد من عصر الى آخر ، تبعاً لتجدد البيئات والمؤثرات ؛ فقد تموت وتندثر كلمات من قديم اللغة ، ويقوم مقامها كلمات حديثة من لغة أخرى ، احتكت بها ، أو بارتها في ميدان واحد ، فتتقمصها اللغة الأولى ، وتبقى على حالها ، فلا يقولنّ قائل إن تلك اللغة صارت بهذه الكلمات الجديدة الطارئة عليها — لغةً أخرى جديدة .

ليس له أن يقول ذلك لأن الاسلوب الخاص بتلك اللغة ثابت باق : فهو يطوّر الكلمات الدخيلة ، ويمثلها الى بنية لغته ، كما يمثل جسم الانسان الدقائق الغذائية التي يتناولها من لحوم الحيوان — الى جسمه ، ويبقى مع

هذا انساناً ، لمحافظته على شكله وصورته ، وإن كانت كل دقيقة من جسده محولة عن دقيقة من أجسام الحيوانات التي أكلها ....

اذا تنكرنا لتلك الكلمات الدخيلة . وأسأنا بها الظن . وقلبنا لها ظهر المجن ، وعملنا على طردها من بين اظهرنا — أخشى ان يدركها الحنق علينا، وتعمل على الانتقام منا ، فتغري بنات جنسها أعني الكلمات المعرّبة كلها من قديم وحديث — بالاعتصاب العام ، ويصممن على الجلاء والانسحاب من بين سطور لغتنا ، (وبيوت) أشعارنا . وبديهي أن كلمة « الله » تكون معهن لأنها سريانية او عبرانية . وما ظنك بفئة « الله » معها ؟ لمن يكون الفلح والنصر والغلبة ؟ لاجرم أن تلك الكلمات الدخيلة الاعجمية الاصل ، التي لا عداد لها ، لو غادرت لغتنا لأبقت فيها فراغاً واسعاً ، يعسر علينا أن نملأه بكلمات عربية أصلية : من ذلك عدة آيات واحاديث اذا غادرتها كلماتها الاعجمية مست الحاجة إلى ان يخلفها غيرها من العربية المحضة . وفي هذا ما يدعو الى وقف دورة الفلك ، وإعادة ما مضى من الزمن ، وتجديد أمر البعثة ، وإنزال الوحي . اللهم غفرا .

ما تعمله الأمم في لغاتها ؟؟

على انه ما من لغة حية ، الا وطرأ عليها تغيير في كلماتها ، وتبديل في الفاظها ، حسب تبدل المدنية وتطورها ، حتى ان بعض الأمم غيرت شكل الحروف الابجدية ، وفي ذلك من العسر والاقدام ما لا يعادله اخذ كلمات او ابدالها ، لسد خلة المدنية وحاجة العلم .

ماذا عملت الأمة اليابانية ؟ وبلادها ارقى بلاد الشرق ، وحكومتها عدها القانون الدولي حكومة عظمى ، تماثل انكلترا وفرنسا واميريكا وايطاليا ؟ انها اتخذت الحروف اللاتينية ، بدلاً من كتابتها الرمزية المستعملة من اقدم العصور ؟! .

وكذا فان الأمة الصينية — جارة اليابان — اخترعت حروفاً ابجدية اصطلاحية جديدة ، عوضاً عن الكتابة الرمزية المستعملة عندهم ، منذ اقدم الاجيال في المدارس والأدب .

وهكذا فان كلاً من الأمة الفارسية والكردية والتركية والرومية ابدلوا حروفهم الابجدية الاصلية ، بالحروف اللاتينية ، حباً منهم في احياء لغاتهم ، وتطورها التطور المطلوب .

انا لست من القائلين بابدال حروفنا العربية العزيزة ، بحروف لاتينية لاتتلاءم مع لغتنا ولا تليق بها ؛ ولا من الذين يرضون بمثل هذا العمل ؟ بل

اعده حوبا كبيراً ، تجب محاربته ، ولكنني اود ان الفت نظر الزجعيين ، الذين يزعمون انهم حماة اللغة وذادتها ، وانهم كبت وكبت ، ثم تراهم يقفون عند حد ، يكاد يودي بحياة اللغة ويقبرها .

ان اللغة العربية اليوم امام امر واقع ، وهو احتياجها الى كلمات تفي بحاجة مكتشفات هذا العصر ، فلم يقف هؤلاء عثرة في سبيل ذلك؟ وهلا يعملون ما عملته وتعمله الأمم العريقة في الرقي والثقافة ؟ وها هي اللغة الفرنسية القديمة المشتقة من اللاتينية ، فلقد كان يندر فيها وجود الكلمات المنحوتة ، لسد حاجات الشعب الفرنسي ،من نواحي العلم والفن والاجتماع ،ثم افعمت بها ،ولنترك الفرنسية ،ولنأخذ اللغة العبرانية ،فان الناطقين بها لم يقفوا مكتوفي الأيدي ،امام ذلك السيل العرم من المكتشفات والمخترعات؛ ويقدر بعض العلماء ان / ١٨ / الف كلمة ادخلت اليها ، وبين هذه الكلمات ثلاثة آلاف كلمة ، اخذت من اللغات المعروفة باسم الهند الأوروبية Inde - européennes.

وبعد فان ما اوردناه لكاف بان تنهض لغتنا العربية ، وتسير في طرق الحياة المنشودة ، لا سيما وان المجمع العلمي الملكي ، عمد الى عدة صيغ ، كانت سماعية من عهد العرب الاقدمين حتى الآن ، فجعلها قياسية . مطردة ، ودمجها في قواعد عامة ، واليك ما جاء في مجلة مجمع اللغة العربية الملكي المصري من القرارات العلمية ، التي تسد فراغاً واسعاً في هذا الشأن.

القرارات العلمية للمجمع الملكي

التضمين : أن يؤدى فعل أو ما فى معناه في التعبير مُؤدى فعل آخر او ما في معناه ، فيُعطى حكمه في التعدية واللزوم .

ومجمع اللغة العربية الملكي يرى انه قياسي لاسماعي ، بشروط ثلاثة :

الاول : تحقُّق المناسبة بين الفعلين .

الثاني : وجود قرينة تدل على ملاحظة الفعل الآخر ، ويؤمن معها اللبس .

الثالث : ملاءمة التضمين للذوق العربي .

ويُوصى المجمع الا يلجأ إلى التضمين إلا لغرض بلاغيّ .

التعريب : يجيز المجمع ان يستعمل الألفاظ الأعجمية — عند الضرورة — على طريقة العرب في تعريبهم .

المولّد : هو اللفظ الذي استعمله المولدون على غير استعمال العرب ، وهو قسمان :

١ — قسم جروا فيه على أقيسة كلام العرب : من مجاز ، او اشتقاق ، أو نحوهما ، كاصطلاحات العلوم والصناعات وغير ذلك . وحكمه أنه عربي سائغ .

٢ — وقسم خرجوا فيه عن أقيسة كلام العرب : إما باستعمال لفظ

أعجمي لم تعربه العرب ، وقد أصدر المجمع في شأن هذا النوع قراره . وإما بتحريف في اللفظ أو في الدلالة لا يمكن معه التخريج على وجه صحيح . واما بوضع اللفظ ارتجالاً .

والمجمع لا يجيز النوعين الأخيرين في فصيح الكلام .

﴿ الاشتقاق — فِعَالة للحرفة ﴾

١ً — يُصاغ للدلالة على الحرفة او شبهها ، من أي باب من ابواب الثلاثي مصدر على وزن (فِعالة) بالكسر .

﴿ فَعَلان : للتقلب والاضطراب ﴾

٢ً — يقاس المصدر على وزن (فعلان) لفَعَل اللازم مفتوح العين إذا دل على تقلب واضطراب .

﴿ فُعال : للمرض ﴾

٣ً — يُقاس من فَعَل اللازم المفتوح العين مصدر على وزن (فُعال) للدلة على المرض .

﴿ فُعال وفَعيل : للصوت ﴾

٤ً — إذا لم يرد في اللغة مصدر لفَعَل اللازم ، مفتوح العين ، الدال على صوت ، يجوز ان يصاغ له قياسا مصدر على وزن (فُعال) او (فَعيل) .

﴿ المصدر الصناعي ﴾

٥ً — إذا اريد صُنع مصدر من كلمة يزاد عليها ياء النسب والتاء .

﴿ فَعال : للنسبة الى شيء ﴾

٦ً — يصاغ (فَعّال) قياسا للدلالة على الاحتراف او ملازمة الشيء.
فاذا خيف لبس بين صانع الشيء وملازمه ، كانت صيغة (فَعّال) للصانع ، وكان النسب بالياء لغيره ، فيقال (زَجّاج) : لصانع الزُّجاج ، (وزُجاجيّ) : لبائعه .

﴿ اسم الآلة ﴾

٧ً — يصاغ قياسا من الفعل الثلاثي على وزن مِفعل ، ومفعلة ، ومِفْعال : للدلالة على الآلة التي يعالج بها الشيء .
ويُوصي المجمع باتباع صِيغ المسموع من أسماء الآلات ، فاذا لم يُسمع وزن منها لفعل ، جاز ان يصاغ من اي وزن من الأوزان الثلاثة المتقدمة .

﴿ الاشتقاق من أسماء الاعيان ﴾

٨ً — اشتق العرب كثيراً من اسماء الاعيان .
والمجمع يجيز هذا الاشتقاق — للضرورة — في لغة العلوم .

﴿ مطاوع فَعل الثلاثي ﴾

٩ً — كل فعل ثلاثي متعد دال على معالجة حسية ، فمطاوعه القياسي : انفعل ، ما لم تكن فاء الفعل واوا ، او لاماً ، او نوناً ، او ميما ، او راء ، ويجمعُها قولك (ولنمر) ، فالقياس فيه (افتعل) .

﴿ مطاوع فعّل بتشديد العين ﴾

١٠ً — قياس المطاوعة لفعّل (مضعف العين) تفعّل)
والأغلب فيما ضُعّف للتعدية فقط ان يكون مطاوعه ثلاثيه .

﴿ مطاوع فاعل ﴾

١١ً — فاعل الذي اريد به وصف مفعوله بأصل مصدره ، مثل باعدته ، يكون قياس مطاوعه تفاعل كتباعد .

﴿ مطاوع فعلل ﴾

١٢ً — فعلل وما ألحق به قياس المطاوعة منه على تفعلل، نحو: دحرجته فتدحرج ، وجلببته فتجلبب .

﴿ التعدية بالهمزة ﴾

١٣ً — يرى المجمع ان تعدية الفعل الثلاثي اللازم بالهمزة قياسية.

﴿ صيغة استفعل: للطلب وللصيرورة ﴾

١٤ً — يرى المجمع ان صيغة (استفعل) قياسية لإفادة الطلب او الصيرورة .

﴿ ملحقات الأصول العامة ﴾

الأول — يفضل اللفظ العربي على المعرب القديم، الا اذا اشتهر المعرب.
الثاني — ينطق بالاسم المعرب على الصورة التي نطقت بها العرب .
الثالث — تفضل الاصطلاحات العربية القديمة على الجديدة ، الا

اذا شاعت .

الرابع — تفضل الكلمة الواحدة على كلمتين فأكثر ، عند وضع اصطلاح جديد ، إذا امكن ذلك ، واذا لم يمكن ذلك تفضل الترجمة الحرفية .

تمّ الكتاب والحمد لله اولاً وآخراً .

اعتذار

لم ادخر وسعاً بالعناية في تصحيح هذا الكتاب ، ولكنني لم استطع ان امحو الخطأ المطبعي منه ، فقد وقعت اغلاط مطبعية يدركها القارئ لاول وهلة ، وذلك مثل :

خطأ	صواب	صحيفة
كف	كيف	٢٢٣
الجحم	الجم	٢٢٠
Yurik	Yurich	١

فمعذرة من القراء الكرام .

مصادر الكتاب

نفح الطيب للمقري
الخصائص لابن جنى
يتيمة الدهر للثعالبي
المزهر للسيوطي
همع الهوامع للسيوطي
القانون الدولي ومعاهدة فرساي للكرماني
عصر المأمون للرفاعي
مجلة المجمع العلمي الدمشقي
الاشتقاق والتعريب للمغربي
دروس الكرماني فى الاملاء
بلوغ الأرب في معرفة احوال العرب للألوسي
القاموس المحيط للفيروزابادي
مجلة مجمع اللغة العربية الملكي المصري
القواعد الفرنسية التامة
الأدب العربي للكرماني
الادب العربي للزيات

تاريخ الادب الاندلسي للكيلاني
الجامع الصغير (في الحديث النبوي الشريف) للسيوطي
حاشية الصبان على الاشموني
مجلة الكشاف البيروتية
مجلة الحديث الحلبية
القياس في اللغة لخضر الحسين
الفلسفة اللغوية لجرجي زيدان
تاريخ العرب في اسبانيا لعبدالله عنان
وفيات الاعيان لابن خلكان
الصاحبي في فقه اللغة لاحمد فارس.

فهرس الكتاب

صحيفة

